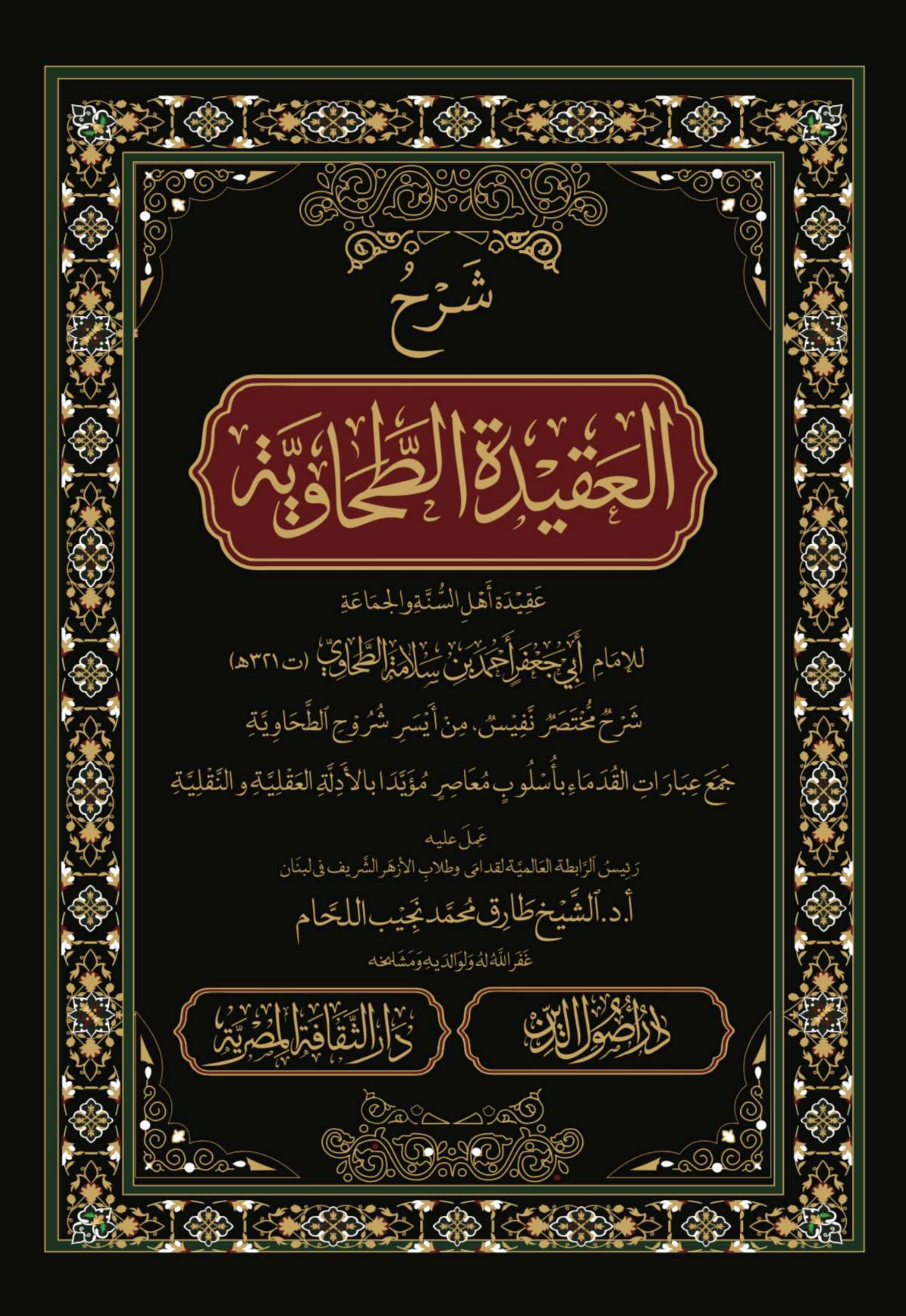


شَرح
العَقيدَة الطَّحاويَّة
عَقيدَة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ
للإمامِ أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ سلامةَ الطَّحاوي (ت ٣٢١هـ)
شَرحٌ مُختَصرٌ نَفيسٌ، مِن أَيسَرِ شُروحِ الطَّحاوِيَّةِ
جمعَ عِباراتِ القُدماءِ بأُسلوبٍ مُعاصرٍ مُؤيَّدا بالأَدِلَّةِ العقلِيَّةِ و النَّقلِيَّةِ
عَمِلَ عليه
رئيسُ الرَّابطة العالميَّة لقدامى وطلابِ الأزهرِ الشَّريف في لبنان
أ.د. الشَّيخ طارق محمَّد نجيب اللحَّام
غفرَ اللهُ لهُ ولوالديهِ ومشايخه
دار أصول الدين
دار الثقافة المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقولُ تلميذُ الإمامِ الشافعيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

الإمامُ أبو إبراهيمَ إسماعيلُ بنُ يحيى المزنيُّ:

«قرأتُ كِتَابَ الرِّسَالةِ على الشَّافِعِيِّ ثَمَانِينَ مرةً فمَا مِنْ مَرَّةٍ إلَّا وكانَ يَقِفُ على خَطَإٍ، فقالَ الشَّافِعِيُّ: هِيه -أي زِدْني- أَبَى اللَّهُ أنْ يكونَ كِتَابًا صَحيْحًا غَيْرُ كِتَابِهِ» اهـ

أخي القارئ

ما كان من خطإٍ في كتابنا فأرشدْنا إليه

فإنَّنا لا ندَّعي العصمةَ

ونحنُ لك من الشَّاكرين.

السِّيـرَةُ الشَّخصيَّةُ

للأستاذِ الدكتور الشيخِ طارق محمد نَجِيبٍ اللَّحَّام

تاريخ ومكان الولادة: (١٣٩١هـ - ١٩٧٢م) بيروت - لبنان.

الجنسية: لبناني.

الدرجة: أستاذ دكتور Professor

التخصص الدقيق: الفقه العام/ فقه مقارن/ علوم القرءان/ العقائد والفرق.

العنوان: برج أبي حيدر - بيروت - لبنان.

تلفون محمول: ٠٠٩٦١٣٢٢٢٠٥١

مكتب: ٠٠٩٦١١٦٥٣١١٧

عنوان العمل: برج أبي حيدر - بيروت - لبنان.

ص.ب: ١٤-٥٢٨٣

فاكس: ٠٠٩٦١١٦٤٦٧١٤

بريد إلكتروني: sh_tarek_laham@hotmail.com

البريد الإلكتروني للرابطة العالمية لقدامى وطلاب الأزهر الشريف في لبنان:

r.azhar.lb@gmail.com

النسب: يعود النسب إلى سيدنا رسول الله ﷺ من طريق سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وهذا النسب الشريف: السيد الشريف طارق بن محمد نجيب بن أحمد بن يوسف بن إسماعيل المتصل نسبه بالسيد محمد اللحام الشهير (بالقدّة) ابن

السيد علي اللحام بن أحمد الكريدي الملقب (بالكبريت الأحمر) ابن بهاء الدين داود بن عبد الحفيظ بن محمد الهمار بن بدر (المدفون في وادي النسور) ابن يوسف بن بدران بن يعقوب بن مطر بن سالم الوفائي بن محمد أبي الوفا بن محمد بن زيد بن علي بن الحسن بن محمد المرتضى بن زيد الشهيد ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط الشهيد ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم اللَّه وجهه من زوجته السيّدة فاطمة الزهراء رضي اللَّه عنها بنت سيد الخلق محمد صلى اللَّه عليه وعلى ءاله وصحبه وسلم.

السيرة الوظيفيَّة:

أ- الوظائف السابقة:

إمام وخطيب مسجد برج أبي حيدر - بيروت - لبنان.

باحث في الدائرة العلمية في جمعية المشاريع الخيريَّة الإسلاميَّة.

باحث ومحقق كتب في الشركة الدولية للطباعة والنشر والتوزيع.

نائب لرئيس مكتب الجمهورية اللبنانية لمجلس الشباب العربي للتنمية المتكاملة التابعة لجامعة الدول العربية.

عضو في اللجنة العلمية والثقافية في اتحاد الجامعات العربيَّة سابقًا.

ب- الوظائف الحاليَّة:

رئيس الرابطة العالمية لقدامى وطلاب الأزهر الشريف في لبنان.

أستاذ دكتور محاضر في الجامعة العالمية - لبنان.

محقق كتب لعدة دُور نشر.

خطيب ومدرس مكلَّف من دار الإفتاء اللبنانيَّة في لبنان.

مندوب العلاقات الخارجية في الجامعة العالمية - لبنان.

النشاط الإداري والعلمي:

عضو في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.

عضو في جمعية شباب المشاريع - لبنان.

عضو في جمعية الأشراف - لبنان.

عضو في جمعية المشايخ الصوفية - لبنان.

عضو في نادي المشاريع الرياضي - لبنان.

الأعمال العلمية:

مشاركة في مؤتمرات وندوات علمية وثقافيَّة.

عمل دورات تدريب لأئمة ووعَّاظ في بلاد عدة.

عمل دورات تدريب لأساتذة معاهد وجامعات إسلاميَّة.

الخبرة التدريسية:

عيّن في الجامعة العالمية معيدًا بعد أن نال الماجستير، ويهتمّ بمواكبة غير الناطقين بالعربية وتحضير الطلاب الناجحين في الثانويات للالتحاق بالجامعات.

عيّن أستاذًا محاضرًا في الجامعة العالمية - لبنان.

تدرج حتى نال درجة أستاذ مساعد وكان يشرف على رسائل ماجستير.

تدرّج إلى أستاذ مشارك مع إلقاء محاضرات في الدراسات العليا في الجامعة العالمية والمعاهد الشرعيَّة في عدة دول عربية وإسلامية.

تابع تدريسه الأكاديمي فضلًا عن التدريس الدَّعويّ والوعظ والإرشاد في المساجد والجامعات في لبنان وخارجه إلى أن نال رتبة الأستاذيَّة.

التدرج الوظيفي الأكاديـمي:

أستاذ في الجامعة العالمية – لبنان.

أستاذ مساعد في الجامعة العالمية – لبنان.

أستاذ مشارك في الجامعة العالمية – لبنان.

أستاذ دكتور في الجامعة العالمية – لبنان.

عضو في اللجنة العلمية للدراسات العليا في الجامعة العالمية – لبنان.

مواقع التواصل الاجتماعي:

يوتيوب: الشيخ الدكتور طارق اللحام

Youtube.com /DrTarikLahham

تلغرام: ٠٠٩٦١٣٢٢٢٠٥١

سكايب: Tareklaham

وتس اب: ٠٠٩٦١٣٢٢٢٠٥١

فيسبوك: الشيخ أ.د طارق اللحام

Facebook.com /DrTarikLahham

انستغرام: الشيخ أ.د طارق اللحام

Instagram: DrTarikLahham

تويتر: الشيخ أ.د طارق اللحام

Twitter: DrTarikLahham

المشاركات الإعلامية:

إعداد وإلقاء برامج تلفزيونيَّة وإذاعيَّة محلية وفضائيَّة.

مقابـلات إذاعية وتلفزيونية في برامج تعنى بالشـأن العـام في محطات محلية

وعالمية.

أبحاث ورسائل وكتب:

- المعاملات المعاصرة وحكم الشرع فيها.
- دور المرأة في إثراء المجتمع وإنصاف الإسلام لها.
- مختصر عمدة الراغب في مختصر بغية الطالب.
- الطريق المحبوب لدخول القلوب ج١.
- الوهابية تكفيريون شموليون.
- كتب في الميزان.
- تناقضات الوهابية.
- التحذير الشرعي ممن خالف أهل السنة (بيان حال بعض الفرق المعاصرة).
- رحلة التطرف من التكفير إلى التفجير.
- قصص لا تليق بالأنبياء.
- الله ليس جسمًا.
- نفائس المحاضرات.
- فتاوى الألباني في ميزان الشريعة.
- كيف تفسر الآيات المتشابهات.
- حزب التحرير في عين الناقد.
- الحضانة في الشريعة الإسلامية وقوانين الطوائف اللبنانية.
- تحقيق ودراسة: تفسير ءال عمران لمحمد بن سالم الشنقيطي.
- كيفية التعامل مع الجار بين الواقع والمرتجى.

- المساعدة والخدمة وإعانة الناس.

- الأنوار الزاهية من الدرة البهية شرح العقيدة الطحاوية.

- مائة نصيحة ونصيحة.

- مختصر كتاب الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم.

- أدلة ووثائق فضائح الوهابية.

- شرح كتاب عقيدة المسلمين المعتمد والمقرّ من كلية أصول الدين في الأزهر مع الأدلَّة والوثائق.

- التسهيل السديد لفهم علم التوحيد.

- شرح جوهرة التوحيد.

- مجموع شروح العقيدة المرشدة.

- الفكر والاستقطاب عند الجماعات المتطرفة باسم الإسلام والخطر الداهم.

- تهذيب بحث الخوارج والتيمية والوهابية والمودوديَّة وإخبار النبيّ محمد ﷺ بالعصريِّين الملاحدة الزنادقة وذكر أوصافهم التي هم عليها الآن.

- شرح العقيدة الطَّحاويَّة (وهو الكتاب الذي بين أيدينا).

- CD شكرًا رسول الله - CD العقيدة الصلاحية - CD أتوق إلى مكة وطيبة - CD معرفة الإسراء والمعراج - CD رمضان كريم - CD حبيبتي أمي وصية نبيِّي ﷺ - CD الملائكة عليهم السلام - CD الهجرة نور - CD التصوف.

الاهتمامات:

١- المطالعة.

٢- اقتناء الكتب النادرة والمخطوطات النفيسة والكتب المطبوعة في شتى

العلوم والفنون مع المكتبة السمعية والمرئية.

٣- زيارة المكتبات العامة المتخصصة بالمخطوطات.

٤- زيارة الآثار الإسلاميَّة والمقامات.

٥- اقتناء بعض الآثار الإسلامية للحفاظ عليها وتبريك الناس بها.

٦- التصدّي للمشاكل الاجتماعيَّة التي يواجهها الأفراد والأسر والمجتمعات.

٧- كتابة مقالات لصحف ومجلات.

٨- عمل برامج إذاعية.

٩- تخصيص الأطفال بدورات وأنشطة صيفية ونحوها.

١٠ - مشاركة الكشافة في مخيماتها وإلقاء محاضرات للكشفيين.

١١- الاهتمام بطلاب المدارس والثانويات، وإلقاء المحاضرات بالاستعانة بوسائل الإيضاح الحديثة والقديمة وتأمين الأشياء المساعدة لذلك.

١٢- تقوية الأعاجم باللغة العربية.

١٣- خدمة التراث بالاهتمام بالمخطوطات تحقيقًا وطباعة ونشرًا .

١٤- الاهتمام بشؤون صحية وبيئية ونشر ثقافة الوقاية في الأوساط الاجتماعية.

١٥- الاهتمام بدور المرأة واستثمار طاقتها في المجتمع.

١٦- الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة ودور الأيتام.

١٧- الاعتناء بعلم القراءات القرءانية، وإرسال طلبة الدراسات الإسلامية للقراء المشاهير.

١٨- المشاركة في الشؤون الوطنية والقضايا العامة التي تهم المواطن وتحفظ أمن الوطن.

الإجازات العلمية الأخرى:

- تَلَقَّى العلم مشافهة عن المشايخ والعلماء بالطريقة القديمة.

- مجاز بعلوم دينية في الأصول/ العقيدة/ الفقه/ التفسير/ الحديث وعلومه/ اللغة العربية وغيرها من الفنون، من محدثين وعلماء من مشاهير المشايخ في العالم العربي والإسلامي بأعلى الأسانيد.

- مجاز بالطرق الصوفية الأربعين وإعطائها كالرفاعية والقادرية والنقشبندية والشاذلية.

- مجاز بالخلوة والخرقة وتلقين الأذكار والأوراد والمشابكة والختم والحضرة.

- مجاز من كثير من العلماء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والقرّاء إجازة عامة مطلقة بكل ما تجوز لهم روايته، ومنهم:

مشايخه:

١- الشيخ الإمام الحافظ عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي. (الحبشة - أثيوبيا).

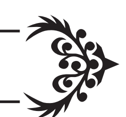
٢- الشيخ نزار رشيد حلبي الأزهري الرئيس الأسبق لجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية. (لبنان).

٣- الشيخ الدكتور حسام الدين بن مصطفى قراقيرة. (لبنان).

٤- محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي ابن الشيخ محمد الصادق بن الشيخ محمد الطاهر النّيفر. (تونس).

٥- المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار العلوم - كراتشي. (الهند).

٦- الشيخ الفقيه الشافعي أحمد بن محمد سعيد المعروف بأحمد نصيب المحاميد الحوراني ثم الدمشقي تلميذ محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني. (سوريا).




٧- مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد. (سوريا).

٨- الشيخ المعمّر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي. (سوريا).

٩- الشيخ المعمّر المسنِد محمد صالح الكمبولشي الهرري. (الحبشة - أثيوبيا).

١٠- الشيخ الأستاذ الدكتور طه حبيشي الدسوقي الرئيس الأسبق لقسم العقيدة في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر. (مصر).

١١- مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح. (سوريا).

١٢- مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري. (مكة المكرمة).

١٣- المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري. (مكة المكرمة).

١٤- الشيخ المسند المقرئ إدريس منديلي الشافعي. (جُدّة).

١٥- الشيخ المعمّر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي. (سوريا).

١٦- الشيخ الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمٰن أحمد حجازي رئيس قسم النقد والبلاغة في جامعة الأزهر. (مصر).

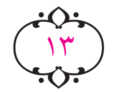
١٧- الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملا يوسف محمد سعيد الموصلي الشافعي. (العراق).

١٨- الشيخ المعمّر يوسف محمود عمر العتوم الأردني. (الأردن).

١٩- الولي الصالح الهائم السائح نورين تندلكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمّر عبد الباقي ابن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي. (السودان).

٢٠- المعمّر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني. (مكة المكرمة).

٢١- الشيخ الدكتور جميل حليم رئيس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان. (لبنان).





٢٢- الشيخ المعمر معوض عوض إبراهيم الأزهري. (مصر).
٢٣- الـمُتبحِّرِ في فنون الحديث الشيخ محمد ابن المفتي الشيخ محمد سراج بن محمد سعيد بن أبي بكر بن ءادم الآني الجبرتي. (الحبشة - أثيوبيا).
٢٤- الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المعروف بشيخ كَسر شيخ نحاة الحبشة. (الحبشة - أثيوبيا).
٢٥- الشيخ الأستاذ الدكتور كمال الحوت رئيس جمعية الأشراف في لبنان. (لبنان).
٢٦- المفتي الشيخ خطاب ابن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي. (تركيا).
٢٧- الفقيه ملا طيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحركي. (العراق).
٢٨- العلامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عيديد. (اليمن - مكة المكرمة).
٢٩- الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الطرطري الهرري الأورومي الشافعي. (الحبشة - أثيوبيا).
٣٠- الوجيه الشيخ السيد حسين ابن السيد عبد الرحمٰن ابن السيد عبد الصمد ابن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآنِّي الشافعي الحبشي. (الحبشة - أثيوبيا).
٣١- الشيخ الفاضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر الملا الأحسائي. (الأحساء - السعودية).
٣٢- الشيخ المعمّر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب. (سوريا).
٣٣- الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني. (سوريا).
٣٤- الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار محمد الخطيب. (سوريا).
٣٥- الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور بالشيخ بشرى. (الحبشة - أثيوبيا).

٣٦- السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسّابة العالم الإسلامي. (سوريا).

٣٧- العلامة الفقيه عبد الرحمٰن كنج كويا تنكل قاضي بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمٰن البخاري. (الهند).

٣٨- الشيخ المعمر محمد طاهر ءايت علجت الجزائري. (الجزائر).

٣٩- الشيخ العلامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف. (اليمن).

٤٠- الشيخ الشريف إدريس بن محمد بن جعفر الكتانيّ الإدريسي. (المغرب).

٤١- الشيخ الحبيب أبو بكر المشهور. (اليمن).

٤٢- الشيخ عبد الله ءادم المعروف بالخيرات. (الحبشة - أثيوبيا).

٤٣- الشيخ محمد نور عمر أبّاهرو. (الحبشة - أثيوبيا).

٤٤- الشيخ علي محمد يوسف الهرري. (الحبشة - أثيوبيا).

٤٥- الشيخ الشريف الدكتور نبيل بن محمد الشريف الأزهري. (لبنان).

٤٦- الشيخ الدكتور سمير بن سامي القاضي. (لبنان).

٤٧- الشيخ زين بن حسين الحِبْشيّ العلوي. (ماليزيا).

٤٨- الشيخ ضياء المصطفى القادريّ. (الهند).

٤٩- الشيخ رشيد أحمد ابن المحدّث حبيب الرحمٰن الأعظمي. (الهند).

٥٠- الشيخ مصطفى حاج ءادم حسين حديدو. (الحبشة - أثيوبيا).

٥١- الشيخ محمد أمين شيخ بدر الدين شيخ سرور. (الحبشة - أثيوبيا).

٥٢- الشيخ محمد صالح بن عبد الله الإيملاوي. (الحبشة - أثيوبيا).

٥٣- الشيخ الدكتور محمد التاويل. (المغرب).

٥٤- الأستاذ الدكتور محمد السيسي. (مكناس- المغرب).

٥٥- الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم عبد الباعث الكتاني. (الإسكندرية - مصر).

٥٦- الشيخ شريف ثابت. (الصومال).

٥٧- الشيخ الدكتور محمد مطيع بن محمد واصل الحافظ. (سوريا - الإمارات).

٥٨- الشيخ الفرضي نور الدين خزن كاتبي. (سوريا).

٥٩- الشيخ سعيد الطاري بن محمد بن زياد. (الجزائر).

٦٠- الشيخ الأستاذ الدكتور محمد عبد الفضيل القوصي نائب رئيس المنظمة العالمية لخريجي الأزهر. (مصر).

٦١- الشيخ عبد الله محمد وانغ. (الصين).

٦٢- الشيخ عبد القادر رومان. (الجزائر).

٦٣- الشيخ نورو محمد حسن الغوندري. (الحبشة - أثيوبيا).

٦٤- الشيخ ملا حسن سيد أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري النقشبندي القونوي التركي. (تركيا).

٦٥- الشيخ أحمد بن إدريس الكديّ. (الحبشة - أثيوبيا).

٦٦- الشيخ الأمين عثمان. (أرِتريا).

٦٧- الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم. (مصر).

٦٨- الشيخ محمد عبد الرحيم بن محمد علي سلطان العلماء. (إيران - الإمارات).

٦٩- الشيخ الدكتور عثمان محمدي. (ماليزيا).

٧٠- الشيخ محمد بصري علوي مرتضى. (أندنوسيا).

٧١- الشيخ محمد محفوظ أسيرون. (أندنوسيا).

٧٢- الشيخ محبّ الدين بن محمد مدا ولي الآجيّ. (أندنوسيا).

٧٣- الشيخ الحبيب بن طاهر. (تونس).

٧٤- الشيخ بشرى عثمان علي البالي. (الحبشة - أثيوبيا).

٧٥- الشيخ محمد أرواح ابن الشيخ محمد توفيق الجبرتي. (الحبشة - أثيوبيا).

٧٦- الشيخ الدكتور محمد هشام سلطان. (الأردن).

٧٧- الشيخ ملا عبد الجبار بن أحمد بن محمد الزركزويّ. (العراق).
٧٨- الشيخ محمد نور الإسلام بن إحسان الزمان بن عبد الرحيم. (بنغلادش).
٧٩- الشيخ الدكتور تقي الدين الندوي. (الهند - الإمارات).
٨٠- الشيخ المسنِد محمد حسن زاتي. (الحبشة - أثيوبيا).
٨١- الأستاذ الدكتور عبد الحيّ عزب عبد العال رئيس جامعة الأزهر الأسبق. (مصر).
٨٢- الشيخ عبد الرحمٰن ابن الشيخ عبد الحيّ الكتاني الإدريسيّ. (المغرب).
٨٣- الشيخ الحبيب شيخ بن أحمد المساوي. (أندنوسيا).
٨٤- الشيخ الحبيب محمد صلاح الدين بن سالم بن جندان. (أندنوسيا).
٨٥- الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الحكيم الأنيس. (سوريا - الإمارات).
٨٦- الشيخ المقرئ أحمد إسكندراني. (بيروت - لبنان).
٨٧- الشيخ ملا عبد الله هرتلي. (العراق).
٨٨- الشيخ المعمّر صالح بن عيسى. (الحبشة - أثيوبيا).
٨٩- الشيخ زين بن إبراهيم بن سميط. (اليمن - السعودية).
٩٠- الشيخ بشير المكاشفي خادم سيدي المكاشفي. (السودان).
٩١- الشيخ محسن ابن الشيخ خالد المفتي الكردي. (العراق).
٩٢- الشيخ أحمد الأوفي الملنوزي المعروف غوندر زاده. (تركيا).
٩٣- الشيخ المعمر محمد بدر الدين السعردي العباسي. (تركيا).
٩٤- الشيخ بسانو مامادو. (أبدجان).
٩٥- الشيخ المسنِد محمد بن حماد الصقلي. (المغرب).
٩٦- الشيخ أحمد نور سيف. (الإمارات).
٩٧- الشيخ محمد سعيد بن هانئ الكحيل. (سوريا).
٩٨- الشيخ إدريس الحبشي. (الجزائر).
٩٩- الشيخ الدكتور وان عز الدين بن وان إبراهيم. (ماليزيا).
١٠٠- الشيخ محمد علي بدر رشيد أبو رشيد الحريري الرفاعي. (سوريا).

١٠١- الشيخ محمد بن علي الكلنتاني. (ماليزيا) .

١٠٢- الدكتور فضل الرحمٰن مصباحي. (الهند).

١٠٣- الشيخ الحبيب محمد بن أبي بكر الحبشي. (جُدة - السعودية).

١٠٤- الشيخ الحبيب أحمد بن أبي بكر الحبشي. (جُدة - السعودية).

١٠٥- الدكتور احتشام الحق قريشي. (الهند).

١٠٦- الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف اللكديديين العفري الأرتري. (جيبوتي).

١٠٧- الشيخ حامد بن أحمد بن أكرم بن سيد محمود بن علي البخاري. (الجزائر).

١٠٨- الشيخ الطيب التونسي القيرواني. (تونس).

١٠٩- الشيخ محمد بن محمد عبده سليمان الأهدل. (اليمن).

١١٠- الشيخ محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الهرري. (مكة المكرمة).

١١١- الشيخ عبد الرزاق قسوم. (الجزائر).

١١٢- الشيخ محمد اختر رضا خان. (الهند).

١١٣- الشيخ الفقيه الحنفي عبد الرزاق الحلبي. (سوريا).

١١٤- الشيخ طه بن حسن فدعق. (مكة المكرمة).

١١٥- الشيخ أحمد بن محمد بن بكري بن محمد بن محمد سردار الحلبي. (سوريا).

١١٦- الشيخ خضر ابن الشيخ محمد الزقطمي الأورومي. (الحبشة - أثيوبيا).

١١٧- الشيخ حسن الطيب. (كينيا).

١١٨- الشيخ عبد الله شفا عبد الرحمٰن. (الحبشة - أثيوبيا).

١١٩- الشيخ أبو الفيض عيسى أبافيتا. (الحبشة - أثيوبيا).

١٢٠- الشيخ محمد الهادي عبد الجليل علي. (الحبشة - أثيوبيا).

١٢١- الشيخ عبده إبراهيم عبده. (الحبشة - أثيوبيا).

١٢٢- الشيخ الدكتور القارئ أحمد عيسى المعصراوي. (مصر).

١٢٣- الشيخ المقرئ أحمد الحساني الفاسي. (المغرب).

١٢٤- الشيخ المعمر القارئ محمد محمد عيسى الزقازيقي. (مصر).

١٢٥- الأستاذ الدكتور حامد بو طالب عميد كلية الشريعة السابق في جامعة الأزهر. (مصر).

١٢٦- الأستاذ الدكتور عبد السميع الأنيس. (سوريا - الإمارات).

١٢٧- الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الرحمٰن عماش. (لبنان).

١٢٨- الشيخ عبد المجيد محمد نور. (ماليزيا).

١٢٩- الشيخ بلفضل البخيتي التلمساني. (الجزائر).

١٣٠- الشيخ الدكتور محمد نجم الدين الكردي النقشبندي. (مصر).

١٣١ -الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي. (سوريا).

١٣٢- المعمر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي الأَرُوسي الأورومي. (الحبشة - أثيوبيا).

١٣٣- الشيخ الشريف الدكتور عبد الرزّاق الشريف. (لبنان).

١٣٤- الشيخ المقرئ سمير الكعكي. (لبنان).

١٣٥- الأستاذ الدكتور الشيخ محمد بكري. (لبنان).

١٣٦- الأستاذ الدكتور محمد محرصاوي رئيس جامعة الأزهر السابق. (مصر).

١٣٧- الشيخ التقي ابن الشيخ عبد الباقي المكاشفي السوداني القادري (السودان).

١٣٨- الشيخ ناجي الراوي الرفاعي. (العراق).

١٣٩- الشيخ الدكتور عبد العزيز الشهاوي الشافعي. (مصر).

وغيرهم كثير كثير، جزاهم الله عنه وعن الإسلام والمسلمين خيرًا.

اللغات: العربية - الإنجليزية.

الدورات وورشات العمل التي أقامها، ومنها:

- دورات في العِلم الأشعري والماتريدي - دورات في فن الترجمة وعدم التحريف - دورات بمعنى الوطنية وحفظها - دورات لحفظ عرى الإسلام - دورات في إدارة الوقت وتوزيع الأعمال - دورات في تجهيز الميت وأحكام الجنائز - دورات تأهيل وتدريب العاملين في المؤسسات الدينية - دورات لأساتذة المدارس في مفاهيم الرحمة والتربية - دورات في طريقة التدرج للطلاب بين مرحلتي الثانوية والجامعية - دورات بعنوان «كي لا ننسى التاريخ» - دورات في التيارات الفكرية والفرق والأديان - دورات في الخطابة وفن المناظرة - دورات في ضوابط وشروط كتابة بحث محكم - دورات في إعداد مدرّسي معاهد شرعية - دورات في البحث العلمي وكتابة الرسائل - دورات في المنهج الوسطي - دورات في التعايش الحسن في المجتمعات المعاصرة - دورات في استعمال وسائل الإيضاح والدمج بين الطرق القديمة والحديثة - دورات في معرفة الدخيل والإسرائيليّات - إقامة ندوات للأسر لإعفاف البنات ووقف الانحلال.

قام بالإشراف على عشرات الرسائل والأطروحات في عدة جامعات في لبنان والعالم الإسلامي، وناقش عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه وراقب وحكّم عشرات الأبحاث في جامعات مختلفة في الفقه وأصوله وعلوم القرءان والفقه المقارن والعقيدة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

إِجَـازَةٌ بالكِتَابِ

الحمـدُ للهِ ربّ العالمـين وصـلّى اللَّهُ وسـلَّمَ عـلى سـيّدي محمَّـدِ بـنِ عبدِ اللَّهِ خـيرِ الأوَّلـينَ والآخِريـنَ وعـلى ءالِهِ وأصْحَابِـهِ إلى يـومِ الدِّيـنِ.

وبعـدُ، فـإنَّ العِلْـمَ بالتَّعَلُّـمِ والفِقْـهَ بالتَّفَقُّـهِ، وعلامـةُ الفـلاحِ في المؤمـنِ طلـبُ المزيـدِ مـن عِلـمِ الدِّيـنِ، فهنيئًـا لمـن كانَ مَنْهُومًـا معلَّقَ القلـبِ بشريعـةِ معلِّـمِ النَّـاسِ الخيرَ ﷺ، وصَرَفَ نَفيسَ وقتِهِ في طَلَـبِ العِلْـمِ النَّافِـعِ.

وعلـمُ الدِّيـنِ يُؤْخَـذُ مـن أفـواهِ أهـلِ العِلْـمِ الصَّادِقِـينَ، بالسَّـندِ المتَّصِـلِ إلى النَّبـيِّ عليه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ، دِرايَـةً ورِوايَـةً. اللَّهُ يعلِّمُنـا ما جَهِلنـا، ويجعـلُ القُـرءانَ ربيـعَ قلوبِنـا، ونُـورًا لأبْصارِنـا وبَصائِرِنـا.

أُجِيزُ بهذا الكتابِ «**شرح العَقِيدةِ الطَّحاويَّة**»

الأخ/ ت.............................

وذلـك بالـشُّروطِ المنصُـوصِ عليهـا عنـد علمـاءِ الحديـثِ والأثـرِ، مـع الوصيَّـةِ بتقـوى اللهِ عـزَّ وجـلَّ، والتَّمسُّـكِ بعقيـدةِ أهـلِ السُّـنَّةِ، عقيـدةِ الأشـاعِرَةِ والماتُرِيدِيَّـةِ.

وحُرِّر في ....

برسم وختم.............................

واللَّهُ وليُّ التَّوفِيقِ

ترجمةُ الإمامِ الطَّحاويِّ رضي اللهُ عنه[1]

هو الإمامُ العلَّامةُ الحافظُ الكبيرُ محدِّثُ الدِّيارِ المصريَّةِ وفقيهُها أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ بنِ سلمةَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ سلمةَ بنِ سليمِ بنِ سليمانَ بن جنابٍ الأزديُّ الحَجْرِيُّ المصريُّ الطحاويُّ صاحبُ التصانيف.

ولدَ سنةَ سبعٍ وعشرين ومائتين، وقيل: تسعٍ وعشرين ومائتينِ، وقيل: تسعٍ وثلاثين ومائتين، وماتَ سنةَ إحدى وعشرين وثلاثِمائةٍ، وقيل: سنةَ اثنتين وعشرين وثلاثِمائةٍ، وقد بلغَ الثَّمانينَ.

صَحِبَ المُزَنِيَّ وتفقَّه بهِ، ثم تركَ مذهبه وصار حنفيَّ المذهبِ، تفقَّه على أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ أبي عمرانَ موسى بنِ عيسى، وخرجَ إلى الشَّامِ فلقيَ بها أبَا خازمٍ عبدَ الحميدِ بنَ جعفرٍ فتفقَّهَ عليهِ وسَمِعَ منه.

وله مؤلفاتٌ عديدةٌ منها: «**أحكامُ القرءانِ**» يزيدُ على عشرين جزءًا، و«**معاني الآثارِ**» و«**بيانُ مُشْكِلِ الآثارِ**» و«**اختلافُ العلماءِ**» و«**الشُّروطُ الكبيرُ**» و«**الشُّروطُ الصغيرُ**» و«**الشُّروطُ الأوسطُ**»،

---

(١) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، (٥/ ٣٦٧-٣٧٠) . ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، (١/ ٧١، ٧٢). الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (٨/ ٧، ٨). أبو الوفاء القرشي، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، (١/ ١٠٢-١٠٥).

والعقيدةُ المشهورةُ وهي التي بين أيدينا، وغيرُها الكثيرُ.

روى عنهُ ابنُ مظفرٍ الحافظُ، والحافظُ أبو القاسم الطبرانيُّ، وأبو بكرِ بنُ المقرئِ وءاخرون، توُفِّيَ في القاهرةِ ودفنَ فيها في القَرافَةِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقَدِّمَةُ

الحمدُ للَّهِ الذي جعلَ علمَ التوحيدِ مبنى قواعدِ عقائدِ الإسلام وأساسَ علمِ الشَّرائعِ والأحكامِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّد المُنجي من ظُلماتِ الشكوكِ والأوهامِ، وعلى ءالهِ وصحبِه أُولِي الهدايةِ والإلهامِ.

أمَّا بعدُ، فإنَّه لمَّا كانَ شرفُ العلمِ بشَرفِ المعلومِ، وكان علمُ التَّوحيدِ متعلِّقًا باللَّهِ أعظمِ موجودٍ، وبأنبيائِه صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم وهُم أفضلُ الخلقِ، كان علمُ التَّوحيدِ سيِّدَ العلومِ وأفضلَها وأولاها وأجلَّها وأرفعَها.

ولذا رُوِي عن الأكابرِ أمثالِ أبي حنيفةَ النُّعمانِ ومالكِ بنِ أنسٍ ومحمَّدِ بنِ إدريسَ الشَّافعيِّ وأحمدَ بنِ حنبلٍ ما يقضِي بأنَّ الفقهَ في العقيدةِ أفضلُ من الفقهِ في الأحكامِ ومقدَّمٌ عليهِ، لأنَّ العبادةَ لا تصحُّ إلَّا بعدَ معرفةِ المعبودِ(١).

ولَمَّا كانَ حفظُ عقائدِ المسلمينَ والدِّفاعُ عنها واجبًا قامَ العلماءُ سلفًا وخلفًا بنشرِ هذا العلمِ والتَّصنيفِ فيه وبيانِه وشرحِه وتوضيحِه على أتمِّ وجهٍ وأدقِّ تفصيلٍ، مُسْتَنِّينَ بسُنَّةِ

---

(١) الغزاليُّ، **منهاج العابدين**، (ص ٦٠، ٦١). ونصُّه: «إنَّك أولًا يجب عليك أن تعرفَ المعبودَ ثم تعبُده، وكيفَ تعبُدُ من لا تعرفُه» اهـ

النبيّ محمّدٍ ﷺ وسنَّةِ الخلفاءِ الرّاشدين المهديّين رضيَ اللَّهُ عنهم في تقريرِها ونصبِ الأدلَّة عليها.

وإنَّ مِنْ أقدمِ تصانيفِ العقائدِ التي ملأ اسمُها الخافقَينِ إلى يومِنا هذا، ووضعَ اللَّهُ لَها البركةَ والقبولَ بين الناس في المشرقَينِ والمغربَين، وكثُرَ الاعتناءُ بها تحقيقًا وتدقيقًا وشرحًا وتفهيمًا وتحشيةً ونظمًا وتعليقًا وتحفيظًا وتدريسًا وروايةً بالأسانيد المتصلة المتنَ الذي وُسِمَ بأنَّه: «**ذكرُ عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ**» أعني متنَ «**العقيدةِ الطحاويَّةِ**».

فالمِيزةُ التي تميَّزَ بها هذا المتنُ إلى جانبِ ذيوعِه وشيوعِه أنَّ واضعَه أحدُ أفرادِ السلفِ الصالح الذين قال فيهم رسول اللَّه ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ**»[(١)].

وأيضًا فقد صَدر بأنَّه إجماعُ المسلمين واتفاقهم كما تقدَّمت الإشارةُ إليه بعبارةِ: «**هذَا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ**».

وقد حوى التَّصريحَ الصَّريحَ بردِّ عقيدةِ التَّجسيمِ والتَّشبيهِ، وعقيدةِ القدريَّةِ مكذِّبي القَدَرِ، والاعتزالِ، والإرجاءِ، وغيرِ ذلك من العقائدِ التي خالفتْ عقيدةَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ. ولِهذا أقبلَ عليه العلماءُ وطلبةُ العلمِ الشَّريفِ.

وقد كان شيخُنا الحافظُ العلَّامةُ الفقيهُ المتكلِّم عبدُ اللَّهِ بنُ

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة زور إذا أشهد، (٣/ ١٧١).



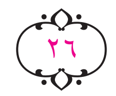

محمدٍ الهرريُّ العبدريُّ رضي اللَّه عنه ورحمه رحمةً واسعةً قد شرح هذا المتنَ بشرحٍ كبيرٍ أسماهُ «**إظهارَ العقيدة السُّنّيّة بشرحِ العقيدةِ الطحاويّة**» وهو من أنفعِ شروحِه لكنَّه رحمه اللَّهُ بسطَ العبارةَ في مواضعَ منه، وأتى بِنقولٍ تعلُو عن درك المبتدئ، فألْهَم اللَّهُ تلميذَ الشيخِ الدكتورَ الشيخَ سميرَ بنَ سامي القاضي حفظَه اللَّهُ ونفعَ بهِ أن يختصرَ هذا الشرحَ تسهيلًا وإيضاحًا، مع الاستعانةِ أيضًا بالشرحِ الصغيرِ للشيخِ الهرريِّ المسمَّى «**الدُّرَّةَ البَهِيَّةَ**»، فيسَّر اللَّهُ ذلك، وخرجَ حلًّا مختصرًا لكلّ ألفاظِ المتنِ مع المحافظةِ على مقاصدِ الشارحِ وعلى عباراتِه أسماه: «**مختصرَ إظهارِ العقيدةِ السنيَّةِ بشرحِ العقيدةِ الطحاوية**».

ولأهمّيتِه وفائدتِه الكثيرةِ النَّفعِ رأينا مساسَ الحاجةِ الدَّاعيةِ إلى ضبطِ هذا المتنِ، وضبطِ شرحٍ لطيفٍ لهُ، مع العنايةِ بطبعه، فوقع الاختيارُ على «**مختصرِ إظهارِ العقيدةِ السُّنّيّة**» فقُمنا بتهذيبه وبتحقيقِ نصوصِه والتعليقِ على عباراتِه، مع زياداتٍ توضحُ المرادَ وَفْقَ منهجٍ التزَمنا به وهو:

١- تخريجُ الآياتِ القرءانيَّةِ الشَّريفةِ بعزوِها إلى سورِها وذكرِ رقمِها.

٢- تخريجُ الأحاديثِ الشَّريفةِ من الصّحيحين ما أمكنَ وإلَّا فمِنْ غيرِهما.

٣- تخريجُ النُّقولِ والأقوالِ بعزوِها إلى مصادرِها حيثُ أمكنَ ذلكَ، وإلَّا فإلى منْ أثبتَ هذه النُّقولَ عن أصحابِها.



٤- حيثُ كانَ النَّقلُ بالمعنى ابتدأتُ التَّخريجَ بكلمةِ «يُنْظَر».

٥- تحليةُ الكتابِ بجواهرِ تفسيرِ أهلِ العلمِ لكثيرٍ منْ ءاياتِ الشَّرحِ بما يوافقُ ما ذهبَ إليه المصنِّفُ رحمه اللَّهُ.

٦- شرحُ بعضِ الألفاظِ، وبيانُ الغريبِ منها، وزيادةُ عباراتٍ توضِّحُ مرادَ الشارحِ والمصنِّف رحمهما اللَّهُ تعالى.

٧- زيادةُ بعضِ العباراتِ والجملِ لزيادةِ الإيضاحِ.

٨- العملُ على فهارسِ المصادرِ والمراجعِ.

٩- عملُ فهرسٍ مفصَّلٍ بحسبِ المسائلِ لتسهيلِ الرُّجوعِ إلى المسألةِ.

١٠- وضعُ متنِ العقيدةِ الطَّحاويَّةِ مشكولًا قبلَ الشُّروعِ في الشَّرحِ ليسهلَ على الطَّالبِ حفظُه.

هذا وأرجُو اللَّهَ سبحانَه وتعالى أن يكونَ هذا الكتابُ مرجِعًا لكلِّ مسلمٍ عمومًا، ولطلبةِ العلمِ الشَّريفِ خصوصًا، وقد أسميناه «**شرحَ العقيدةِ الطَّحاويَّةِ**» ليكونَ اسمُه عنوانًا على مضمُونِه، راجينَ اللَّهَ تعالى أن يجعلَه وسيلةً لمعرفةِ أصولِ الدِّينِ، وحفظِها من التَّحريفِ والتَّلويثِ بضلالِ المضلِّينَ، والحمايةِ من أهلِ البدعِ والزَّنْدَقَةِ، وأنْ يتقبَّله ويضعَ له القبولَ كما وضعَهُ لمتنِهِ، وأن يعتِقَنا به من النَّارِ بجاهِ رسولِ اللَّه ﷺ، واللَّهُ الموفِّقُ والهادِي إلى الصَّوابِ.

سندُ الأستاذِ الدكتور الشيخ طارق اللحَّام

بمتنِ العقيدةِ الطَّحاويّة

أروي هـذا المتـن عـن شـيخي العلَّامـة المتكلِّـم المتفنِّـن الشَّـيخ عبد الله الهرريّ العبدريِّ عليه رحمة الله (ت ١٤٢٩ هـ) عن شيخه المفتي محمَّد سراج بن محمَّد سعيد الجبرتـي (ت ١٣٩٢ هـ) عن الشَّيخ الرّحلة المسند أحمد بن موسى الموريسي (ت بعد ١٣٥١ هـ) عن مسند المدينة أبي اليسر فالح بن محمَّد الظَّاهريّ (ت ١٣٢٨ هـ) عن المسند العالم محمَّد بن عليّ السَّنوسيّ الخطَّابيّ (ت ١٢٧٦ هـ) عن العلَّامة المحدِّث عمر بن عبد الكريم بن عبد الرَّسول المكِّيّ (ت ١٢٤٩ هـ) عن الحافظ اللُّغويّ الفقيه محمَّد مرتضى الزبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ) عن محمَّد بن سالم الحَفْنيّ (ت ١١٨١ هـ) عن محمَّد بن عبدِ العزيز الزِّياديّ (ت ١١٤٨ هـ) عن الحافظ محمَّد بن علاء الدِّين البابليّ (ت ١٠٧٧ هـ) عن سالم بن محمَّد السَّنهوريّ (ت ١٠١٥ هـ) عن النَّجم محمَّد بن أحمد الغيطيّ (ت ٩٨١هـ) عن ملحق الأحفاد بالأجداد زكريّا بن محمَّد الأنصاريّ (ت ٩٢٦هـ) عن الحافظ ابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ) عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التَّنوخيّ (ت ٨٠٠هـ) عن أبي محمَّد عبد الرَّحمـٰن بن عبد المولى اليلدانيّ (ت ٧٢٥هـ) عن إسماعيل ابن أحمد العراقيّ (ت ٦٥٢هـ) عن الحافظ أبي موسى محمَّد بن أبي بكر بن عمر المدينيّ (ت ٥٨١هـ) عن إسماعيل بن الفضل

ابـن الإخشـيد (ت ٥٢٤هـ) عـن أبي الفتـح منصـور بـن الحسـين التَّـاني (ت ٤٥٠هـ) عـن الحافظ أبي بكـر محمَّـد بن المقـرئ (ت ٣٨١هـ) عن الإمـام الحافـظ الفقيـه أبي جعفـر أحمـد بـن سـلامة الطَّحـاويّ المـصريّ رحمـه الله (ت ٣٢١هـ).

ولي –بفضـل الله– طـرق كـثيرة لـكنّي اقـتصرت على طريـق شـيخي العلَّامـة الحافـظ عبـد الله الهـرريّ رحمـه الله رحمـة واسـعة.

مَتْنُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّة



مَتْنُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال العلَّامة حُجَّةُ الإسلامِ أبو جعفر أحمدُ بن سلامةَ الطَّحاويّ رحمه الله:

هذا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ على مَذهَبِ فُقَهَاءِ المِلَّةِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بنِ ثَابِتٍ الكُوفِيّ، وأَبِي يوسُف يَعْقُوبَ بنِ إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيّ، وأَبِي عَبْدِ الله مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الشَّيبانيّ، رضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمعينَ وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيدِينُون بِهِ لِرَبِّ العَالَمِينَ.

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ الله مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ الله: إنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ. وَلا شَيءَ مِثْلُهُ، وَلا شَيءَ يُعْجِزُهُ، وَلا إِلٰـهَ غَيْرُهُ. قَدِيمٌ بِلَا ابْتِداء، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاء، لا يَفْنَى وَلا يَبِيدُ، وَلا يَكُونُ إِلَّا ما يُرِيدُ، لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ وَلا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ، وَلا يُشْبِهُ الأَنَامَ، حيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ، خَالِقٌ بلا حاجةٍ، رَازِقٌ بلا مؤنَةٍ، مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِث بلا مَشَقَّةٍ.

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكنْ قَبلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ. وكما كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْها أَبَدِيًّا، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الخَالِقِ، وَلا بِإِحْدَاثِهِ البَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ البَارئ.

لَـهُ مَعْنَـى الرُّبُوبِيَّـةِ وَلا مَرْبُـوبَ وَمَـعْنَى الـخَالِقِ وَلا مَـخْلُوقَ، وَكَمَـا أَنَّـهُ مُحْيِـي الـمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيا اسْتَحَقَّ هـذا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِـم، كَذَلِـكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الـخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ. ذَلِـكَ بِأَنَّهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيـرٌ، وَكُلُّ شَيءٍ إِلَيْـهِ فَقِيـرٌ، وَكُلُّ أَمْـرٍ عَلَيْـهِ يَسِيـرٌ، لا يَـحْتَاجُ إِلى شيءٍ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى/ ءاية ١١].

خَلَقَ الـخَلْقَ بِعِلْمِـهِ، وَقَدَّرَ لَـهُمْ أقدَارًا، وضَرَبَ لَـهُم ءاجالًا، وَلَـمْ يَخْفَ عَلَيْـهِ شَيءٌ قَبْلَ أَنْ يَـخْلُقَهُمْ، وَعَلِـمَ مَا هُمْ عَامِلُـون قَبْلَ أَنْ يَـخْلُقَهُمْ، وَأَمَرَهُـمْ بِطَاعَتِـهِ وَنَـهَاهُمْ عَـنْ مَعْصِيَتِـهِ. وَكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيـرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنفُـذُ لا مشيئةَ للعبـادِ إِلَّا مـا شاءَ لَـهُمْ، فَمَـا شَاءَ لَـهُمْ كَانَ، وَمَا لَـمْ يَشَـأْ لَـمْ يَكُنْ، يَـهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِـمُ وَيُعَافِـي فَـضْلًا، وَيُضِـلُّ مَـنْ يَشَاءُ وَيَـخْذُلُ وَيَبْتَلـي عَـدْلًا. وَكُلُّهُـمْ يتقلَّبُـون في مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِـهِ وَعَدْلِـهِ.

وَهُـوَ مُتَعَـالٍ عـن الأَضْـدَادِ وَالأنْـدادِ، لا رَادَّ لِقَضَائِـهِ، ولا مُعَقِّبَ لِـحُكْمِهِ، وَلا غَالِـبَ لأمْـرِهِ. ءامَنَّـا بِذَلِـكَ كُلِّـهِ، وَأَيْقَنَّـا أَنَّ كُلًّا مِـنْ عِنْـدِهِ.

وإِنَّ مُحَمَّـدًا ﷺ عَبْـدُهُ الـمُصْطَفَى ونَبيُّـهُ الـمُجْتَبَـى، وَرَسُـولُهُ الـمُرْتَضَـى، وَإِنَّـهُ خَاتَـمُ الأَنْبِيَـاءِ وإمـامُ الأتقيـاءِ وسيّدُ الـمُرْسَلين وَحَبِيبُ ربِّ العالَـمِيـنَ، وَكُلُّ دَعْـوَى نُبُـوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَغَيٌّ وَهَوًى. وَهُـوَ الـمَبْعُوثُ إِلى عَامَّـةِ الجِـنِّ وَكَافَّـةِ الـوَرَى بِالـحَقِّ وَالـهُدَى وَبِالنُّـورِ والضِّيَـاءِ.

وإنَّ القُرءانَ كلامُ اللَّه، مِنْهُ بَدا بلا كَيْفِيةٍ قولًا، وَأَنزلَهُ على رَسُولِهِ وَحيًا، وَصَدَّقَهُ المُؤْمِنُونَ عَلى ذَلِكَ حَقًّا، وأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّه تَعالَى بِالحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلامِ البَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّه كلامُ البَشَرِ فقد كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّه وَعَابَهُ وأَوْعَدَهُ بسَقَرَ حيثُ قال تعالى: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾ [سورة المدثر/ ءاية ٢٦]، فلمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بسَقَرَ لِمَن قَالَ: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾ [سورة المدثر/ ءاية ٢٥] عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أنَّه قَوْلُ خَالِقِ البَشَرِ، وَلا يُشْبِهُ قَوْلَ البَشَرِ.

ومَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعنًى مِنْ مَعاني البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّارِ انْزَجرَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْس كَالبَشَرِ.

والرُّؤيةُ حقٌّ لأهْلِ الجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنا: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [سورة القيامة/ ءاية ٢٢، ٢٣]، وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعالى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ في ذَلِكَ مِنَ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ كَما قَالَ وَمَعْنَاهُ على ما أراد، لا نَدْخُلُ في ذلكَ مُتَأَوِّلِينَ بآرائنَا وَلا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوائِنا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ في دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلى عالِمِهِ.

وَلا تَثْبُتُ قَدَمٌ في الإسلام إلَّا على ظهرِ التَّسْليم والاستسلامِ، فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِص التَّوْحِيدِ، وَصَافي المَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ

الإِيـمَـانِ، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْـنَ الكُفْرِ وَالإِيـمَـانِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإِقْـرَارِ وَالإِنْـكَارِ، مُوَسْوِسًـا تائهًـا شـاكًّا، لا مؤمنًـا مصدِّقًـا، ولا جاحِـدًا مكذِّبًـا.

ولا يَصِـحُّ الإيـمَـانُ بالرُّؤيـةِ لأهـلِ دارِ الـسَّلامِ لِـمَنِ اعتبـرَها مِنْهُـم بوَهْـمٍ أو تأوَّلَـها بفَهْـمٍ، إِذْ كان تأويـلُ الرُّؤيـةِ وتأويـلُ كلِّ معنًـى يُضـافُ إلى الرُّبوبيَّـةِ بتركِ التَّأويـلِ ولـزومِ التَّسـليمِ وعليـهِ ديـنُ الـمُسلِميـنَ.

وَمَـنْ لَـمْ يَتَـوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَـمْ يُصِـبِ التَّنْزِيـه. فَـإِنَّ رَبَّنـا جَـلَّ وَعَلَا مَوْصُـوفٌ بِصِفَـاتِ الوَحْدَانِيَّـةِ، مَنْعُـوتٌ بِنُعُـوتِ الفَرْدَانِيَّـةِ، لَيـسَ فِي مَعْنَـاهُ أَحَـدٌ مِـنَ البَـرِيَّةِ. وَتَعَـالَى عَـنِ الـحُدُودِ وَالغَايَـاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَـاءِ وَالأَدَوَاتِ، لا تحويـهِ الجهـاتُ السِّـتُّ كسـائرِ المبتدعـاتِ.

والـمِعْرَاجُ حـقٌّ، وقـد أُسْرِيَ بالنَّبِـيِّ ﷺ وَعُـرِجَ بشَـخْصِهِ فـي اليَقَظَـةِ إِلَى السَّمَـاءِ ثُـمَّ إِلَى حَيْـثُ شَـاءَ اللَّهُ مِنَ العُلَى، وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَـا شَـاءَ، وَأوحَـى إِلَيْـهِ مَـا أوحـى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [سورة النجم/ ءاية ١١]، فـصلى الله عليـه وسـلم في الآخِـرَةِ والأُولى.

والـحَوْضُ الـذي أَكْرَمَـهُ اللَّه تَعَـالى بـه غِياثًـا لأُمَّتِـهِ حَـقٌّ، والشَّفَاعَةُ التي ادَّخَرَهَا لَـهُمْ حَقٌّ، كمـا رُوِيَ في الأخبارِ، والـمِيثَاقُ الـذي أَخَـذَهُ اللَّه تعـالى مِـنْ ءادَمَ وَذُرِيَّتِـه حَـقٌّ.

وَقَـد عَلِـمَ اللَّه تعالى فيمـا لَـمْ يَـزَلْ عَـدَدَ مَنْ يَدْخُـلُ الـجَنَّةَ وَعَدَدَ مَـنْ يَدْخُـلُ النَّـارَ جُـمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يُـزادُ في ذَلِـكَ العَـدَدِ وَلا يُنْقَصُ

مِنْـهُ. وَكَذَلِكَ أَفْعَالُـهُمْ فِيمَـا عَلِم مِنْهُـمْ أَنْ يَفْعَلُوه.

وكلٌّ مُيسَّـرٌ لِـمَـا خُلِقَ لَـهُ، والأَعْمَـالُ بالخواتيـمِ، وَالسَّـعِيدُ مَنْ سَـعِدَ بِقَضَـاءِ اللهِ تَعَـالَى، وَالشَّـقِيُّ مَـنْ شَـقِيَ بِقَضَـاءِ اللهِ تَعَـالَى.

وَأَصْـلُ القَـدَرِ سِـرُّ اللهِ تَعَـالَى فِي خَلْقِـهِ، لَـمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِـكَ مَلَكٌ مُقَـرَّبٌ وَلا نَبِـيٌّ مُرْسَـلٌ، وَالتَّعَمُّـقُ وَالنَّظَـرُ فِي ذلِـكَ ذَرِيعَـةُ الخِـذْلانِ وَسُـلَّمُ الحِرْمَـانِ وَدَرَجَـةُ الطُّغْيَـانِ.

فَالـحَذَرَ كُلَّ الـحَذَرِ مِـنْ ذلِـكَ نَظَـرًا وَفِكْـرًا وَوَسْوَسَـةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَـالَى طَـوَى عِلْـمَ القَـدَرِ عَـنْ أَنَامِـهِ، وَنَـهَاهُمْ عَـنْ مَرَامِـهِ، كَمَـا قَالَ تَعَـالَى فِي كِتَابِـهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ [سـورة الأنبياء/ ءايـة ٢٣]، فَمَـن سَـأَلَ لِـمَ فَعَـلَ فَقَـدْ رَدَّ حُكْـمَ الكِتَـابِ، وَمَـنْ رَدَّ حُكْـمَ الكِتَـابِ كَانَ مِـنَ الكَافِرِيـنَ.

فَهذِهِ جُـمْلَةُ مَـا يَـحْتَاجُ إِلَيْـهِ مَـنْ هُـوَ مُنَـوَّرٌ قَلْبُـهُ مِـنْ أَوْلِيـاءِ اللهِ تَعَـالَى، وَهِـيَ دَرَجَـةُ الرَّاسِخِيـنَ فِي العِلْـم، لأنَّ العِلم علمـانِ: عِلمٌ فِي الـخَلقِ مَوْجُـودٌ، وَعِلْـمٌ فِي الـخَلْقِ مَفْقُـودٌ، فإنـكارُ العلـم الموجودِ كُفْـرٌ، وادِّعـاءُ العِلْـمِ الـمَفْقُودِ كُفْـرٌ، ولا يَثْبُـتُ الإِيـمَـانُ إِلَّا بقبـولِ العِلْـمِ الموجـودِ وتَـرْكِ طلـبِ العِلْـمِ الـمَفْقُودِ.

ونُؤْمِـنُ باللَّـوْحِ والقَلَـم وبـجَميع مَـا فِيـهِ قَـدْ رُقِـمَ. فَلَـو اجْتَمَـعَ الـخَلْقُ كُلُّهُـمْ عَلَى شَيءٍ كَتَبَـهُ اللهُ تَعَـالَى فِيـهِ أَنَّـهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْـرَ كَائِـنٍ لَـمْ يَقْـدِرُوا عَلَيْـهِ. وَلَـو اجْتَمَعُـوا كُلُّهُـمْ عَلَى شَيءٍ لَـمْ يَكْتُبْـهُ اللهُ تَعَـالَى فِيـهِ لِيَجْعَلُـوهُ كَائِنًـا لَـمْ يَقْـدِرُوا عَلَيْـهِ. جَـفَّ القَلَـمُ بِمَـا هُـو كَائِـنٌ إِلى يَـوْمِ القِيَامَـةِ، وَمَـا أَخْطَـأَ العبـدَ لَـمْ يَكُـنْ ليصيبَـهُ، وَمَا



أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَهُ. وعلى العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ بكلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلا مُعَقِّبٌ وَلا مُزيلٌ ولا مُغَيِّرٌ وَلا مُحَوِّل ولا نَاقِصٌ وَلا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَـٰواتِه وَأَرْضِهِ، وَذَلِكَ مِنْ عَقدِ الإيمانِ وَأُصُولِ المَعْرِفَةِ والاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [سورة الفرقان/ ءاية ٢] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [سورة الأحزاب/ ءاية ٣٨].

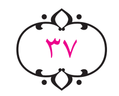
فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لله تَعَالَى فِي القَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ التَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

والعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ حَقٌّ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شيءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبراهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا.

وَنُؤْمِنُ بالمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، والكُتُب المُنَزَّلَةِ عَلَى المُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الحَقِّ المُبِينِ.

وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ به النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، ولَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ غَيْرَ مُنْكِرِينَ.



وَلَا نَخُوضُ فِي اللَّهِ، ولا نُماري في دِينِ اللَّهِ. وَلا نُجَادِل في القرءانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَل بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَه سَيِّدَ المرْسَلِينَ مُحَمَّدًا، وَهُوَ كَلامُ الله تَعَالى لا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ المَخْلُوقِينَ، وَلا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ.

وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نقُولُ لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ. نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ أَن يَعفُو عَنهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بالجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا نُقَنِّطُهُمْ. وَالأَمْنُ والإِياس يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلامِ، وَسَبِيلُ الحَقِّ بَيْنَهُمَا لأهلِ القِبْلَةِ. وَلا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إلا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فيه.

والإيمانُ هُوَ الإِقرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصْدِيقُ بِالجَنَانِ، وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ. وَالإِيمَانُ واحد، وأَهْلُهُ في أَصْلِهِ سَوَاءٌ وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُم بِالخَشْيَةِ والتُّقى وَمُخَالَفَةِ الهَوَى وَمُلَازَمَةِ الأَوْلى.

وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّهُم أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلقُرْءان.

والإيمَانُ هُوَ الإِيمَانُ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ الله تَعَالَى، وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بذَلِكَ كُلِّهِ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَنُصَدِّقُهُمْ

كُلَّهُـم على مَـا جَـاؤوا بِـهِ.

وَأَهْـلُ الكَبائِـرِ مِـنْ أُمَّـةِ محمـدٍ في النَّـارِ لا يَـخْلُدُونَ إِذَا مَاتُـوا وَهُـمْ مُوَحِّـدُونَ وَإِنْ لَـمْ يَكُونُـوا تَائِبِيـنَ بَعْـدَ أَنْ لَقُـوا اللهَ عَارِفِيـنَ مُؤْمِنِيـنَ، وَهُـمْ في مَشِـيئَتِهِ وَحُكْمِـهِ، إِنْ شَـاءَ غَفَـرَ لَـهُمْ وَعَفَـا عَنْهُـمْ بِفَضْلِـهِ، كَمَـا ذَكَـرَ عَـزَّ وَجَـلَّ في كِتَابِـهِ: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء/ ءاية ١١٦]، وإِنْ شاءَ عذَّبَـهُم بعدلِـهِ ثُـمَّ يُـخْرِجُهُم منها برَحْـمَتِهِ وشفاعة الشَّافعيـنَ مِنْ أَهْلِ طاعتِـهِ ثُـمَّ يبْعَثُهُـم إلى جَنَّتِـهِ، وذلـك بـأَنَّ اللهَ تـولَّى أهـلَ معرفتِهِ ولَـمْ يَـجْعَلْهُمْ في الدَّارَيـنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِـهِ، الذِيـنَ خَابُـوا مـن هدايتِـه ولَـمْ يَنَالُـوا مِنْ وِلايَتِـهِ. اللهُـمَّ يـا ولـيَّ الإسلامِ وأهْلِـهِ ثَبِّتْنَـا على الإسلامِ حتَّى نَلْقَـاكَ بـه.

وَنَـرَى الـصَّلَاةَ خَلْـفَ كُلِّ بـرٍّ وَفَاجِـرٍ مِـن أهـلِ القِبْلَـةِ، وَعَلَى مَـنْ مَـاتَ مِنْهُـمْ، وَلا نُنَـزِّلُ أَحَـدًا منهـم جنَّـةً ولا نَـارًا، وَلا نَشْـهَدُ عَلَيْهِـمْ بِكُفْـرٍ وَلا بِشِـرْكٍ ولا بِنِفَـاقٍ مـا لَـمْ يظهر منهـم شَيءٌ مِـنْ ذلـكَ، وَنَـذَرُ سَـرَائِرَهُمْ إلى اللهِ تَعَـالَى.

ولا نـرى السَّيْفَ عَلَى أحدٍ مِنْ أُمَّةِ مُـحمَّد إلَّا مَنْ وَجَبَ عليه السَّـيف. وَلا نَـرى الـخُروجَ على أَئِمَّتِنَـا وَوُلاةِ أمُورِنَـا وإِنْ جَـاروا، ولا ندعـو عَلَيْهِـمْ، ولا نَنْـزِعُ يَـدًا مـن طَاعَتِهِـمْ، وَنَـرَى طَاعَتَهُـمْ مِنْ طاعـةِ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ فريضَـةً مـا لَـمْ يَأْمُـرُوا بِمَعْصِيَـةٍ. وَنَدْعُـو لَـهُمْ بالصَّلاحِ والـمُعَافَاةِ.

وَنَتْبَعُ السُّنَّةَ والـجَمَـاعَةَ، ونَـجْتَنِبُ الشُّذوذ والـخِلاف والفُرْقَةَ،

وَنُحِبُّ أهل العَدْلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أهل الجَوْر والخِيَانَةِ.

وَنَقُولُ اللّه أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَه علينا عِلْمُهُ. ونرى المسح عَلَى الخُفَّيْنِ في السَّفَرِ والحَضَرِ كما جَاءَ في الأثر. والحجُّ والجِهادُ مَاضِيَان مع أُولي الأمرِ مِنَ المُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وفاجِرِهِم إلى قيامِ السَّاعَةِ، لا يُبطِلُهُمَا شيءٌ ولا يَنْقُضُهُمَا.

وَنُؤْمِنُ بالكِرامِ الكاتبِيْنَ، فَإِنَّ اللّه قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنا حَافِظِينَ. وَنُؤْمِنُ بمَلَكِ الموتِ المُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِينَ، وَبعذابِ القَبْرِ لِمَنْ كان له أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ في قبْرِهِ عَن رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيّهِ على ما جَاءَتْ بهِ الأخبارُ عَنْ رَسُولِ اللّه ﷺ وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللّه عَلَيْهِم. والقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ. وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالعَرْضِ وَالحِسَابِ وَقِرَاءةِ الكِتَابِ، والثَّوَابِ والعِقَابِ والصِّراطِ والمِيزَانِ. والجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لا تَفْنيانِ أَبَدًا ولا تَبيدانِ، وَإِنَّ اللّه تَعَالَى خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إلى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ. وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فرغَ لَه وَصَائِرٌ إلى مَا خُلِقَ لَهُ.

والخَيْرُ والشَّرُّ مُقَدَّرَانِ على العِبَادِ، وَالاسْتِطَاعَة التي يَجِبُ بِهَا الفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الذي لا يَجُوزُ أَن يُوصَفَ المَخْلُوقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ، وَأَمَّا الاستطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالوُسْع وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الآلاتِ فهي قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ،

وَهِيَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة/ ءاية ٢٨٦].

وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلا يُطَيَّقُونَ إِلَّا ما كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيرُ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ، نَقُولُ: لا حِيلَةَ لِأَحَدٍ وَلا حَرَكَةَ لأَحَدٍ وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إلا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بتَوْفِيقِ اللهِ. وَكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا. يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأنبياء/ ءاية ٢٣].

وفي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ، وَاللهُ تَعَالى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيءٍ وَلا يَمْلِكُهُ شيءٌ، وَلا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرفَةَ عَيْنٍ، وَمَنْ [زَعَمَ أَنَّهُ] اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَد كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ. واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى.

وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا نُفْرِطُ في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، ولا نذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وإِيمانٌ وإِحْسَانٌ وَبُغْضُهُمْ كُفرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغيانٌ.

وَنثبتُ الخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ

اللَّه عَنْـهُ، تَفْضِـيلًا لَـهُ وَتَقْدِيـمًـا عَلَى جَـمِيعِ الأُمَّـةِ. ثُـمَّ لِعُمَـرَ بـنِ الـخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنْـهُ، ثُـمَّ لِعُثْمَـانَ رَضِيَ اللَّه عَنْـهُ، ثُـمَّ لِعَلِيِّ بـنِ أَبِي طَالِـبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْـهُ، وهُـم الـخُلَفَاءُ الرَّاشِـدُونَ وَالأَئِمَّةُ الـمُهْتَدُونَ.

وَإِنَّ العَشَـرَةَ الذِيـنَ سَمَّـاهُـمْ رَسُـولُ اللَّه ﷺ وَبَشَّـرَهُـمْ بِالـجَنَّةِ نَشْـهَدُ لَـهُـمْ بِالـجَنَّةِ عَلَى مَا شَـهِدَ لَـهُـمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَقَوْلُهُ الـحَقُّ، وَهُـمْ أَبُـو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَـانُ وَعليٌّ وَطَلْحَةُ والزبيْـرُ وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَعَبْدُ الرَّحْـمَنِ بْنُ عَوْفٍ وأَبُـو عُبَيْدَةَ بْنُ الـجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِيـنُ هَذِهِ الأُمَّـةِ رَضِيَ اللَّه عَنهُـم أَجْـمَعِيْـنَ.

وَمَـنْ أَحْسَـنَ القَـوْلَ فِي أَصْحَـابِ رَسُـولِ اللَّه ﷺ وَأَزْوَاجِـهِ الطَّاهِـرَاتِ مِـنْ كُلّ دَنَسٍ وَذُرِّيَّاتِـهِ الـمُقَدَّسِيـنَ مِـنْ كُلّ رِجْسٍ فَقَدْ بَـرِئَ مِـنَ النِّفَـاقِ.

وَعُلَمَـاءُ السَّـلَفِ مِـنَ السَّابِقِيـنَ وَمَـنْ بَعْدَهُـمْ مِـنَ التَّابِعِيـنَ أَهْلُ الـخَيْـرِ والأَثَـرِ، وَأَهْلُ الفِقْـهِ وَالنَّظَرِ، لا يُذْكَـرُونَ إِلَّا بِالـجَمِيلِ وَمَنْ ذَكَـرَهُـمْ بِسُـوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْـرِ السَّـبِيلِ.

ولا نفضِّـلُ أَحَـدًا مِـنَ الأَوْلِيَـاءِ عَلَى أَحَـدٍ مِـنَ الأَنْبِيـاءِ عَلَيْهِـمُ الـسَّلَامُ، وَنَقُـولُ نَبِـيٌّ وَاحِـدٌ أَفْضَـلُ مِـنْ جَـمِيعِ الأَوْلِيَـاءِ، وَنُؤْمِـنُ بِمَـا جَـاءَ مِـنْ كرَامَاتِـهِمْ، وصـحَّ عـن الثِّقـات مِـنْ روَايَاتِـهِـمْ.

وَنُؤْمِـنُ بِأَشْـرَاطِ السَّـاعَةِ مِـنْ خُـرُوجِ الدَّجَّـالِ، وَنُـزُول عيسى ابـنِ مَرْيَـمَ عَليـهِ الـسَّلَامُ مِـنَ السَّمَـاءِ، وَنُؤْمِـنُ بِطلـوعِ الشَّـمْسِ مِـن مَغْرِبِـهَا، وَخُـرُوجِ دَابَّـةِ الأَرْضِ مِـنْ مَوْضِعِهَـا.

ولا نُصَـدِّقُ كَاهِنًـا وَلا عَرَّافًـا، وَلا مَـنْ يَدَّعِـي شَـيْئًا يُـخَالِفُ الكِتَـاب والسُّـنَّةَ وإجمـاعَ الأُمَّـةِ.

وَنَـرَى الـجَمَـاعَةَ حَقًّـا وَصَوَابًـا، والفُرْقَـةَ زَيْغًـا وَعَذَابًـا، وَدِيـنُ اللهِ فِي الأَرْضِ والسَّمَـاءِ وَاحِـدٌ وَهُـوَ دِيـنُ الإِسْلَامِ، قَـالَ اللهُ تعَـالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة ءال عمران/ ءاية ١٩]، وقـال تعـالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة/ ءايـة ٣]، وَهُـوَ بَيْـنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيـرِ، وَبَيْـنَ التَّشبيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْـنَ الـجَبْـرِ والقَدَرِ، وَبَيْـنَ الأَمْنِ والإِيـاسِ.

فَهـذَا دِيْنُنَـا وَاعْتِقَادُنَـا ظَاهِـرًا وَبَاطنًـا، وَنَـحْنُ بُـرَءَاءُ إِلَى اللهِ مِـنْ كُلِّ مَـنْ خَالَـفَ الـذِي ذَكَرْنَـاهُ وَبَيَّنَّـاهُ.

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنا على الإِيـمـانِ وَيَـخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِـنَ الأَهْـوَاءِ الـمُخْتَلِفَةِ والآراءِ الـمُتَفَرِّقَةِ وَالـمَذَاهِبِ الرَّدِيَّـةِ، مِثْلِ الـمُشَبِّهةِ والـمُعْتَزِلَةِ والـجَهْمِيَّةِ وَالـجَبْـرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ، وغَيْـرِهِمْ مِن الذِيـنَ خَالَفُـوا السُّـنَّةَ وَالـجَمَـاعَةَ وَحالَفُـوا الضَّلَالَـةَ، وَنَـحْنُ مِنْهُمْ بَـرَاءٌ وَهُـمْ عِندَنَـا ضُلالٌ وَأَرْدِيـاء. وبـاللهِ العِصْمـةُ وَالتَّوْفِيـقُ.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطّحاوِيّة

شرحُ العَقيدَةِ الطَّحاوِيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للَّهِ والصلاةُ والسلامُ على سيّدنا محمدٍ أشرفِ المرسلين وحبيبِ ربِّ العالمينَ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ.

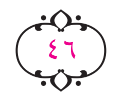
قال المؤلف رحمه الله: (هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ على مَذْهَبِ فُقَهَاءِ المِلَّةِ، أَبِي حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ بنِ ثَابتٍ الكُوفِيِّ، وأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بنِ إبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيِّ، وأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِم أجْمَعِينَ، ومَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ ويَدِينُونَ بِهِ لِرَبِّ العالَمِينَ).

معنى أهلِ السنَّةِ والجماعةِ

الشَّرْحُ: المرادُ بأهلِ السُّنَّةِ الصحابةُ رضوانُ اللَّهِ عليهم ومن تَبِعَهُم في المعتقَدِ ولو كانَ مقصِّرًا في الأعمالِ، والمرادُ بالجماعةِ في هذا الموطنِ جمهورُ المسلمين، لأنَّ جمهورَ المسلمينَ بعدَ الصَّحابةِ رضي اللَّهُ عنهم ثبَتُوا على ما كانَ عليهِ الصَّحابةُ مِنْ حيثُ المعتقَدُ ولَمْ يخرجُوا عنه.

سَبْكُ العِباراتِ على طريقةِ أبي حنيفةَ وصاحبَيهِ

يقولُ الطَّحاويُّ رحمهُ اللَّه: إنَّ هذه الرِّسالةَ هِيَ (ذِكْرُ عقيدةِ



أهلِ السُّنةِ والجماعةِ) على حسبِ ما قرَّره الأئِمةُ أبُو حنيفةَ[1] وأبُو يوسفَ يعقوبُ بنُ إبراهيمَ الأنصاريّ[2] وأبُو عبدِ الله محمَّدُ بنُ

---

(١) النعمان بن ثابت الكوفي الإمام المشهور، أحدُ الأئمة الأربعة المتبوعين، ولد سنة (٨٠هـ)، أدرك أربعة من الصحابة: أنس بن مالك بالبصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة بمكة، وروى عن عطاء بن أبي رباح وطبقته، وتفقّه على حماد بن سليمان، وروى عنه عبدُ الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، والقاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم. كان عالـمًا عاملًا، زاهدًا عابدًا، ورِعًا تقيًّا، كثيرَ الخشوع، دائمَ التضرُّع إلى الله تعالى، وكان من الأذكياء جامعًا بين الفقه والعبادة، وكان لا يقبل جوائز الولاة بل ينفق ويؤثر من كسبه، قال الشافعي: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة» اهـ توفي سنة (١٥٠هـ) رحمة الله عليه رحمة واسعة. بامخرمة، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، (٢، ١٧٠، ١٧١). الأدنه وي، **طبقات المفسّرين**، (ص ١٨، ١٩).

(٢) يعقوبُ بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، قاضي القضاة، وهو أول من دعي بذلك، جالس جماعة من الكبار، وتفقه على الإمام أبي حنيفة، وسمع عطاء بن السائب وطبقته، وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني الحنفي، والإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم من الأئمة، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة، وخالفه في مواضع، وهو أول من نشر علم أبي حنيفة في أقطار الأرض، وكان مع معرفته بالفقه يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثله، ولد سنة (١١٣هـ) وتوفي سنة (١٨٢هـ). ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، (٦/ ٣٧٨-٣٩٠). بامخرمة، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، (٢/ ٢٧٥- ٢٧٨).

الحسنِ الشَّيبانيُّ[1] رضي اللَّه عنهم، أي مِنْ حيثُ سبكُ العباراتِ أضعُ هذهِ الرِّسالةَ على أسلوبِ هؤلاءِ الأئمَّةِ الثَّلاثةِ. أمَّا مِنْ حيثُ المعنى فهو مذهبُ أهلِ الحقِّ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ كلِّهم بلا استثناءٍ.

وقد سمَّاهم أبو جعفرٍ الطَّحاويُّ فقهاءَ الملَّةِ، وأرادَ بالملَّةِ مِلَّةَ الإسلامِ، والملَّةُ الدينُ والشريعة[2]، فإنَّه لـمَّا وقفَ على مذهبِهم في الأصولِ والفُروعِ ووجَدَهُ موافقًا للقرءانِ والسُّنَّةِ الثابتة وإجماعِ الصَّحابةِ والبراهينِ العقليَّةِ سمَّاهم فقهاءَ الـمِلَّةِ رحمهم اللَّهُ وأثابَهم الجنَّةَ.

وهؤلاء الثَّلاثةُ مِن السَّلفِ لأنَّ أبا حنيفة تُوُفِّيَ سنةَ مِائَةٍ وخمسين ثم تُوفِّي صاحباه أبو يوسفَ ومحمَّدُ بنُ الحسن بعد نحوِ ثلاثينَ سنةً من وفاةِ أبي حنيفةَ.

تعريفُ السَّلفِ

والسَّلفُ أهلُ القرونِ الثَّلاثة الأُوَل الذين ذكرهم الرَّسول ﷺ

---

(١) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم صاحب أبي حنيفة وإمام أهل الرأي، أصله دمشقي من أهل قرية تسمى حرستا، قدم أبوه العراق فولد بواسط، ونشأ بالكوفة، وطلب الحديث، وسمع سماعًا كثيرًا، وجالس أبا حنيفة وسمع منه، وقدم بغداد فنزلها واختلف إليه الناس وسمعوا منه الحديث والرأي، ولد سنة (١٣٢هـ) وتوفي بالري سنة (١٨٩هـ). الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، (٢/ ٥٦١).

(٢) الجوهري، **الصحاح**، (٥/ ١٨٢١).

بقوله: «خَيْـرُ النَّـاسِ قَرْنِـي ثُـمَّ الذِيـنَ يَلُوْنَهُمْ ثُـمَّ الذِيْنَ يلُوْنَـهُم» رواه البخاريُّ[1]. والقرن مائةُ سنةٍ كما بيَّن ذلك ابنُ عساكرَ رحمه اللَّهُ[2].

وأبو جعفرٍ لم يَلْقَ أبا حنيفةَ ولا صاحبَيْهِ لكن وصل إليه عِلمُهم بواسطةِ الطَّريق الصَّحيح.

قال رحمه الله: (نَقُـولُ في توحِيـدِ اللّهِ معتَقِدِيـنَ بتوفيـقِ اللّهِ إنَّ اللّهَ واحـدٌ لا شريـكَ لـهُ).

معنى التَّوحِيدِ

الشَّرْحُ: التَّوحيدُ إيمانٌ باللّه وحدَه، كما عرَّفه اللُّغويون ومنهم صاحبُ القاموس[3]، وهو عند المتكلِّمين من أهل السُّنّة: إفراد اللّه بالعبادة، أي عدمُ إشراكِ شيءٍ بهِ، واعتقاد وحدته في ذاته[4] وصفاتِه وأفعالِه، وتنزُّهه عن مشابهةِ خلقه بأيِّ وجهٍ من الوجوهِ.

وقوله رحمه اللّه: (مُعْتَقِدِين) فيه نفيٌ للنفاقِ وتحقيقٌ للإيمان، لأنَّ النفاقَ يَجْتَمِعُ مع الاعترافِ اللفظيِّ لكن لا يكونُ مقرُونًا بالاعترافِ القلبيِّ على وجهِ الجزمِ.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جَوْرٍ إذا أشهد، (٣/ ١٧١).

(٢) ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، (ص ١٤٦).

(٣) الزبيدي، تاج العروس، (٩/ ٢٦٨).

(٤) ذات اللّه أي حقيقة اللّه الذي لا يُشبِهُ الحقائقَ.

معنى التَّوفيقِ والخِذلانِ

التَّوفيقُ خلقُ قدرةِ الطَّاعةِ ويقابله الخِذلانُ[1]، فَمَنْ خلقَ اللَّهُ فيه قدرةَ الطَّاعةِ أي عندَ فِعْلِها يُقال فيه موفَّق، ومَن خلقَ فيه قدرةَ المعصيةِ أي عندَ فِعْلِها يقالُ فيه مَخْذُول.

وإنَّما قيلَ عند فعلِها لأنَّ الاستطاعةَ التي يفعل العبدُ بها الفعلَ تكونُ مع الفعلِ عند أهلِ السُّنَّةِ لا قبلَه ولا بعدَه وسيأتي بيانُه إنْ شاءَ اللَّهُ[2].

وليس معنى التَّوفيقِ مرادفًا للإعانةِ لأنَّ اللَّهَ تعالى يُعِينُ العبادَ على الخيرِ والشرِّ، فمن أعانه على الخير فهو موفَّق ومن أعانه على الشَّرِّ فهو مخذول كما ذكر ذلكَ الإمامُ ابنُ فورك في جَمْعِهِ لمقالاتِ الأشعريِّ[3]، فالإعانةُ التمكينُ والإقدارُ.

إبطالُ بدعةِ الوهَّابيةِ بتقسيمِ التَّوحيدِ إلى ثلاثةٍ

اعلمْ أرشدَنا اللَّهُ وإيَّاك أنَّ تقسيمَ الوهَّابيَّةِ[4] التَّوحيدَ إلى

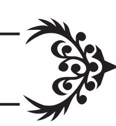
---

(١) السيوطي، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، (ص ٧٥).

(٢) ينظر: (ص ٢٣٤، ٢٣٥).

(٣) ينظر: ابن فورك، **مجرد مقالات الأشعري**، (ص ١٠٩).

(٤) الوهابيَّة فرقةٌ منحرفةٌ متطرّفةٌ تكفِّرُ المسلمين وتستحلُّ دماءَهم، مؤسِّسُها محمدُ بنُ عبد الوهاب وأصله من بني تميم، وكانت ولادته سنة (١١١٥هـ) ووفاته سنة (١٢٠٦هـ). ومن ضلالاتهم أيضًا تشبيه اللَّه بخلقه ونسبة الجلوس له والعياذ باللَّه، وتحريم التوسّل والتبرك بالأنبياء والصالحين، قال العلامة محمد=



ثلاثـةِ توحيـداتٍ توحيـدِ ربوبيَّـةٍ وتوحيـدِ ألوهيَّـةٍ وتوحيـدِ أسمـاءٍ وصفـاتٍ هـو بدعـةٌ باطلـةٌ منكـرَةٌ، لم تـرِدْ في القـرءانِ الكريـمِ ولا في الحديـثِ الـشَّـريفِ ولا على لسـانِ واحـدٍ مـن السَّلفِ الصَّالحِ أو أحـدٍ

=ابن عبد الله بن حميد النجديّ الحنبلي في ترجمة والد محمد بن عبد الوهاب ما نصه: «عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق، لكن بينهما تباين مع أن محمدًا لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده. وأخبرني بعض من لقيتُه عن بعض أهل العلم عمّن عاصر الشيخ عبدَ الوهاب هذا أنه كان غاضبًا على ولده محمد لكونه لم يرضَ أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته، ويتفرَّسُ فيه أنه يحدث منه أمر، فكان يقول للناس: يا ما ترون من محمدٍ من الشر، فقدّر الله أن صار ما صار. وكذلك ابنه سليمانُ أخو محمد كان منافيًا له في دعوته، وردّ عليه ردًّا جيدًا بالآيات والآثار وسمى الشيخ سليمان ردَّه عليه «**فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب**» وسلّمه الله من شرِّه ومكره مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأباعد، فإنه كان إذا باينه أحد ورد عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلًا لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله» اهـ محمد بن عبد الله ابن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، (ص ٢٧٥، ٢٧٦). وألَّف في الردّ على أخيه محمد أكثر من كتاب ورسالة منها «**الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**»، فيقول فيه ردًّا عليهم ما نصه: «ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم وفارقتم الإجماعَ وكفَّرتم أمة محمدٍ ﷺ كلهم» اهـ سليمان بن عبد الوهاب، **الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**، (ص ١٩). ويقول أيضًا ما نصه: «بل والله كفَّرتم من قال الحقَّ الصّرف حيث خالف أهواءكم» اهـ سليمان بن عبدالوهاب، **الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**، (ص ٤٢). ولزيادة المعرفة بحال هذه الفرقة وضلالاتِها وتناقضاتها والرد عليها راجع كتابنا: «**الوهابيون تكفيريون شموليُّون**».

من العلماءِ المعتبَرينَ المتقدِّمينَ منهم والمتأخِّرينَ.

وإنَّما هي بدعةٌ سيِّئةٌ خالفت الدِّينَ، تفرَّدت بها هذهِ الطَّائفةُ وهم مشبِّهةُ العصرِ وخوارجُه مع زعمهم أنَّهم يحارِبونَ البِدعَ السَّيِّئةَ.

وهدفُهم من ذلك الوصولُ إلى تكفيرِ أهلِ السُّنَّةِ الذين يتوسَّلون بالأنبياءِ والصَّالحينَ، والذين ينزِّهون اللَّهَ عن مشابهةِ الخلقِ بتأويلِ الآياتِ والأحاديثِ المتشابهاتِ التي دلَّ الدَّليلُ على أنَّها لا تُؤخَذُ على ظاهِرِها، زاعمين أنَّ المتوسِّلين لم يوحِّدُوا اللَّهَ توحيدَ ألوهيَّة، بل هم عندهم عابدون لغيرِ اللَّه.

وزاعمين أنَّ الذين يؤوِّلون الآياتِ المتشابهاتِ والأحاديثَ المتشابهةَ التي دلَّ الدَّليلُ على وجوبِ صرفها عن الظَّاهرِ لَمْ يوحِّدُوا توحيدَ أسماءٍ وصفاتٍ، فهم عندَهم معطِّلةٌ لصفاتِ اللَّهِ تبارك وتعالى.

والجوابُ عمَّا قالُوه وزعموه أنْ يقال:

إنَّ توحيدَ الألوهيَّةِ داخلٌ في عمومِ توحيد الرُّبُوبيَّةِ، بدليل ما ورد أنَّ اللَّه تعالى لـمَّا أخذ الميثاقَ أي العهدَ على ذريَّةِ ءادمَ أمرَ المَلَك أن ينادِيَ فيهم إنَّ اللَّهَ يقولُ: «**ألستُ بربِّكم**»[1] ولم يقُل بإلـٰهكم فاكتفى منهم بتوحيد الرُّبوبيَّة. ومنَ المعلومِ أنَّ من أقرَّ له بالرُّبوبيَّةِ فقد أقرَّ له بالأُلوهيَّةِ، إذ ليس الرَّبُّ غيرَ الإلـٰهِ بل

(١) الحاكم، **المستدرك**، كتاب الإيمان، وأمَّا حديث معمر، (١/ ٨٠).

هو الإلـٰـهُ، وأيضًا وردَ في الحديث أنَّ المَلَكَيْنِ يسألانِ العبدَ في القبر فيقولان «مَنْ رَبُّك»[1] ولَمْ يقولا من إلـٰهك، فدلَّ على أنَّ توحيدَ الرُّبوبيَّةِ شاملٌ له.

ثُمَّ أهلُ السُّنَّة يُثبتُون للهِ تعالى من الصِّفاتِ ما أثبتَه لنفسِه، وما يُشَوِّشُهُ المجسِّمةُ عليهم من أنَّهم جَهْمِيَّة[2] أي معطّلةٌ تشويشٌ فارغٌ لا قيمةَ لهُ بعدَ التَّمحيصِ[3] العلميِّ والتَّدقيقِ، إذ ليس تأويلُ ما يوهمُ ظاهرُه تشبيهَ اللّهِ بخلقه من التَّعطيل في شىءٍ، بل هذا من إثباتِ ما أثبتَه اللّهُ لنفسِه مع نفي ما لا يليقُ باللّهِ عن اللّهِ، بل في ذلك موافقةٌ لقولِه تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، (٤/ ٢٢٠١).

(٢) الجهميَّةُ أتباع جهم بن صفوان، وقد قال بالإجبارِ زاعمًا أنه إنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين، وزعم أن علمَ اللّه تعالى حادث، وقال بحدوث كلام اللّه تعالى كما قالته القدريَّة، وكان جهم مع ضلالاته يحمل السلاح ويقاتل السلطان، وقتله سَلْمُ بن أحوز المازنيُّ في ءاخر ملك بني أمية. ينظر: أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ١٩٩).

(٣) قال ابن منظور: «التمحيصُ: الاختبارُ والابتلاءُ» اهـ ابن منظور، **لسان العرب**، (٧/ ٩٠).

شَيْءٌ ﴾[1]، وهي أصرحُ ءايةٍ في التَّنْزيهِ[2].

معنى الواحدِ والأحدِ في حقّ اللَّهِ

والواحدُ في حقّ اللَّهِ تعالى فُسّر بأنَّه الذي لا شريكَ له في ذاتِه ولا في صفاتِهِ ولا في أفعالِهِ[3]، أمَّا الأحدُ فمعناهُ الذي لا ينقَسِمُ[4] لأنَّه ليس جسمًا ولا جَوْهرًا يتركَّبُ منه الجسمُ[5].

قال البيهقيُّ في «**الأسماء والصِّفات**» في بيانِ معنى اسمِ اللَّهِ الأحدِ: «قال الحليميُّ: وهو الذي لا شبيهَ له ولا نَظيرَ، كما أنَّ الواحدَ هو الذي لا شريكَ له ولا عَدِيد»[6] اهـ

---

(١) سورة الشورى/ ءاية (١١).

(٢) راجع كتابنا: «**نفائس المحاضرات**» المحاضرة الخامسة والعشرين، فإن فيه توسُّعًا في مسئلة الرد على تقسيم الوهابيَّة للتوحيد.

(٣) قال الملَّا علي القاري: «ومعنى الواحدِ أنَّه لا يتجزَّأُ في ذاتِه ولا نظيرَ لهُ في صفاتِه، وليسَ لهُ شريكٌ في فِعالِهِ» اهـ الملا علي القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، (٤/ ١٥٨٣).

(٤) قال المناوي: «الأحدُ الذي انقسامُه مستحيلٌ» اهـ المناوي، **فيض القدير**، (٢/ ٤٨٨).

(٥) قال الجرجاني: «الجزء الذي لا يتجزأ: جوهر ذو وضع لا يقبل الانقسام أصلًا، لا بحسبِ الخارج ولا بحسب الوهمِ أو الفَرْضِ العقليّ، وتتألفُ الأجسامُ من أفرادِه بانضمامِ بعضها إلى بعضٍ، كما هو مذهبُ المتكلِّمين» اهـ الجرجاني، **التَّعريفات**، (ص ٧٥).

(٦) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (١/ ٩٠).

العَالَـم جَواهرُ وأعراضٌ

ثُم إنَّ الـمُتَكَلِّمِينَ حصرُوا العالَـمَ فِي الجوهَرِ والعَرَضِ[(١)]، والعَرَضُ عند المتكلِّمين اسمٌ للصِّفاتِ القائمةِ بالجواهرِ والأجسامِ الزَّائدةِ على ذواتِها، كالألوانِ والأكوانِ[(٢)] والطُّعومِ والرَّوائحِ والأصواتِ والقُدَرِ والإراداتِ، وَهِيَ قريبةٌ مِن نَيِّفٍ وثلاثين نوعًا[(٣)]، وهو أحدُ نَوْعَي العالَـم.

والنَّوعُ الآخرُ الجوهرُ، وهو ما يقومُ بنفسِه وهو الحجمُ، ويُقالُ له العين[(٤)].

ثُمَّ الجرمُ القَائمُ بنفسِه إمَّا أن يكونَ مُرَكَّبًا وهو الجسمُ وأقلُّهُ جوهران[(٥)]، أو يكونَ غيرَ مُرَكَّبٍ وهو الجوهرُ[(٦)].

---

(١) قال أبو منصور البغدادي: «وأجمعوا -أي أهلُ السنة والجماعة- على أن أجزاء العالم قسمان جواهرُ وأعراض» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٣١٥).

(٢) الأكوانُ أعراضٌ مخصوصةٌ، قال المازريُّ: «الأكوانُ: الحركةُ والسكونُ والاجتماعُ والافتراقُ» اهـ المازري، **إيضاح المحصول من برهان الأصول**، (ص ٤٠٧).

(٣) الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٦٣١).

(٤) زكريا الأنصاري، **غاية الوصول في شرح لب الأصول**، (ص ١٦٢).

(٥) السمرقندي، **ميزان الأصول في نتائج العقول**، (١/ ٢٩٥).

(٦) زكريا الأنصاري، **غاية الوصول في شرح لب الأصول**، (ص ١٦٢).

قال رحمه الله: (ولا شَيءَ مثلُهُ ولا شيءَ يُعجِزُهُ ولا إلـهَ غيرُه).

الشَّرْحُ: لا يماثِلُ اللَّهَ تعالى شيءٌ، لا مِنْ جميعِ الوجوهِ ولا من بعضِ الوجوهِ، ولا يعجزه شيءٌ، بل يدخلُ تحتَ قُدرتِه تعالى كلُّ مُمْكِنٍ من الممكِناتِ.

معنى الإلـهِ

وأمَّا الإلـهُ فهُو المعبودُ بحقٍّ[1]، وأطلقَه المشركونَ بالباطلِ على ما عبدُوه من دونِ اللَّه[2]، قال ابن الملقِّن في «**الإعلام بفوائد عمدة الأحكام**»: «الإلـهُ عبارةٌ عن موجود قائم بذاته قديم لا حدَّ له ولا نهاية حيٌّ عالم قادر مدبر سميعٌ بصير متكلِّمٌ فَرْدٌ صَمَدٌ»[3] اهـ

قال رحمه الله: (قَدِيمٌ بِلا ابتداءٍ).

معنى القديمِ والأزليّ

الشَّرْحُ: القديمُ في اصطلاحِ علماءِ الكلامِ ما لا ابتداءَ لِوُجُودِهِ[4] وهو اللَّه وصفاته، ويُرادفُهُ الأَزَلِيُّ[5]، ويُطلَقُ مِن حيثُ اللُّغةُ على ما

---

(١) الدميري، **النجم الوهاج**، (١/ ١٩٢).

(٢) الفيومي، **المصباح المنير**، (١/ ١٩).

(٣) ابن الملقّن، **الإعلام بفوائد عمدة الأحكام**، (١/ ٨٨).

(٤) قال البيهقي: «القديمُ الموجودُ لَمْ يَزَلْ» اهـ البيهقي، **الاعتقاد**، (ص ٥٩).

(٥) قال الزبيدي: «الأزَل بالتحريك القِدَم الذي ليس له ابتداء» اهـ الزبيدي، **تاج العروس**، (٢٧/ ٤٤٢).

تقـادَم عهـدُه أي مرَّ عليـه زمـانٌ طويـل، وهـذا يطلـق على المخلـوق، وكذلـك الأزليّ مـن حيـثُ اللُّغـةُ يُطلـق على الشَّيء الـذي تقـادم عهـده[١]. وقـد نقـل الزبيـدي الإجماع على جـواز إطلاقِ القديـمِ على اللَّهِ فقـال: «قـد أجمعـت الأمـة على وصفـه تعـالى بـه»[٢] اهـ

قال رحمه الله: (دائِمٌ بلا انتِهاءٍ).

معنى الدائمِ في حقّ ِاللَّهِ

الشَّرْحُ: الدائـم إذا أُطلـق على اللَّه فمعنـاه الـذي لا يلحقـه ولا يجـوز عليـه الفنـاء، وبمعنـاه الباقي لأنـه يسـتحيل عليـه الفنـاء عقلًا. وهـذا يُفْهَـمُ مِـن القديـم، لأنَّ القديـمَ لا يَصِـحُّ أنْ يطـرأَ عليـهِ فنـاءٌ، لذلـك يقولـون مـا ثبـتَ قدمُـه اسـتحالَ عدمُـه[٣]، إذ القديـمُ عنـد علماءِ الكلامِ يستحيلُ عليـه التَّغَيُّـرُ، والعَدَمُ تغيُّـرٌ فلا يلحـقُ القديـمَ فنـاءٌ، وإنَّمـا ذكـرَ قولَـه: (دائـمٌ بلا انتِهـاءٍ) وإن كان يلـزمُ مـن قولـه: (قديـمٌ بلا ابتِـداءٍ) لأن علمـاءَ الـكلام يحرِصُـون على بيـانِ المعاني، ولا يكتَفُـون باللُّـزُومِ[٤].

---

(١) قال الزبيدي: «الـهَرَمان بالتَّحريك بناءان أزليَّان بمصر» اهـ الزبيدي، **تاج العروس**، (٣٤/ ٨٣).

(٢) الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، (٢/ ٢١).

(٣) الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٦٤٠).

(٤) قال الجرجاني: «الملازمة لغةً: امتناعُ انفكاكِ الشيء عن الشيء، واللزومُ والتلازُمُ بمعناه، واصطلاحًا: كونُ الحكم مُقْتَضِيًا للآخرِ على معنى أن الحكمَ بحيثُ لو وقعَ يقتضي وقوعَ حكمٍ ءاخرَ اقتضاءً ضَروريًّا، كالدُّخانِ للنَّارِ في=

قال رحمه الله: **(لا يَفنَى ولا يَبِيدُ، ولا يَكُونُ إلَّا ما يُرِيدُ)**.

الشَّرْحُ: اللَّهُ عزَّ وجلَّ لا يطرأُ عليه فناءٌ، لا يُصيب وجودَه انقطاعٌ، ولا يحصلُ في السمٰواتِ وما فوقَها ولا في الأرضِ وما تحتَها ولا فيما بينهما إلَّا ما شاءَ وأراد، والإرادةُ هنا بمعنى المشيئةِ، وهي تخصيصُ الممكناتِ العقليَّةِ ببعضِ ما يجوزُ عليها دونَ بعضٍ[1]، وليست هنا بمعنى المحبَّة.

وقد قسَّم العلماءُ الحكمَ العقليَّ إلى ثلاثةٍ وهي:

الواجبُ العقليُّ وهو ما لا يقبلُ العقلُ عدمَه وهو اللَّهُ وصفاتُه.

والمستحيلُ العقليُّ وهو ما لا يقبَلُ العقلُ وجودَه كوجودِ الشَّريكِ للَّهِ.

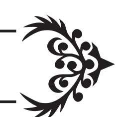
والجائزُ العقليُّ وهو ما يَقبَلُ العقلُ وجودَهُ تارةً وعدمَه تارةً أخرى، وهو كل ما دخلَ في الوجودِ من هذا العالَمِ.

قال رحمه الله: **(لا تَبلُغُه الأوهامُ ولا تُدرِكُهُ الأفْهامُ)**.

الشَّرْحُ: قولُه: **(لا تبلغُه الأوهامُ)** معناهُ لا تَصِلُ إلى اللَّهِ أوهامُ

=النَّهارِ، والنار للدُّخانِ في الليلِ» اهـ الجرجاني، **التعريفات**، (ص ٢٢٩).

(١) قال التفتازاني عند قولِ النسفي والإرادة صفة للَّه تعالى أزلية قائمةٌ بذاتِه ما نصُّه: «كرَّرَ ذلك تأكيدًا وتحقيقًا لإثباتِ صفةٍ قديمة للَّه تعالى تقتضي تخصيصَ المكونات بوجهٍ دون وجهٍ في وقت دون وقت» اهـ التفتازاني، **شرح العقائد**، (ص ٥١). وقال الرازي: «الإرادةُ عبارةٌ عن صفةٍ تقتضي ترجيحَ أحدِ طرفَي الممكنِ على الآخرِ» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (١٦/ ٦٢).



الخلائقِ أي تصوُّراتُهم، لأنَّ أوهامَ الخَلْقِ لا تصلُ إلَّا إلى ما أَلِفَتْهُ، وهو ما فيه صفةٌ من صفاتِ الحادثاتِ.

وأما قولُه: (ولا تدرِكُه الأفهامُ) فمعناهُ لا تحيطُ بهِ أفهامُ الخلائقِ لأنَّه لا يعلمُ اللهَ على الحقيقةِ إلَّا اللهُ، قال ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما: «تَفَكَّرُوا في كلِّ شيءٍ ولا تَفَكَّرُوا في ذاتِ اللهِ»[1] اهـ

وقال الشافعيُّ رضي اللهُ عنه: «من انتهَضَ لطَلَبِ مُدَبِّرِه فانتهى إلى موجودٍ يَنْتَهِي إليه فكرُه فهو مشبِّهٌ، وإن اطمأنَّ إلى العَدَمِ الصِّرْفِ فهُو معطِّلٌ، وإن اطمأنَّ إلى موجودٍ واعترفَ بالعَجْزِ عن إدراكِه فهُو مُوَحِّدٌ»[2] اهـ

قال رحمه الله: (ولا يُشْبِهُ الأنامَ).

الشَّرْحُ: هذهِ الجملةُ إيضاحٌ لما قبلَها، والأَنامُ الخلقُ[3] والشَّبيهُ ما يشاركُ غيرَه ولو في أمرٍ واحدٍ[4]، فاللهُ لا يُشْبِهُهُ شيءٌ ولا يُشبِهُ شيئًا.

قال رحمه الله: (حَيٌّ لا يموتُ قَيُّومٌ لا يَنامُ).

الشَّرْحُ: الحَيُّ في حقِّ اللهِ تعالى يُفَسَّرُ بأنَّه المتَّصِفُ بالحياةِ

---

(١) البيهقي، الأسماء والصفات، (٢/ ٦٤).

(٢) الزركشي، تشنيف المسامع، (٤/ ٦٤٣).

(٣) ابن سيده، المحكم، (١٠/ ٤٩١).

(٤) الفيومي، المصباح المنير، (١/ ٣٠٣).

التي هي أزليَّةٌ أبديَّةٌ ليست بروحٍ ولحمٍ ودمٍ، وهي صفةٌ تصحِّحُ الاتِّصافَ بالعلمِ والقدرةِ والإرادةِ[1]، أي لا بدَّ لمن كان عالمًا قادرًا مُريدًا أن يكون حيًّا، فلو لَمْ يكن اللَّهُ حيًّا لم يكنْ متَّصفًا بالعلمِ والقدرةِ والإرادةِ.

والقَيُّومُ معناهُ الدَّائمُ الذي لا يزولُ، وقيلَ: القائمُ بتدبيرِ الخلائقِ[2]، أي يتصَرَّفُ في خلقِهِ كيفَ يشاءُ.

قال رحمه الله: (**خالِقٌ بلا حاجَةٍ**).

الشَّرْحُ: اللَّهُ تعالى خَلَقَ العالَم بلا حاجةٍ إليه، أي لا يَنتفِعُ بخلقِه ولا يدفعُ بهم ضررًا عن نفسه، فإن قيل: إذًا لِمَ خَلَقَ الخَلْقَ؟ فالجوابُ أنَّه خَلَقَ الخَلْقَ إظهارًا لقُدرتِهِ[3]، أي حتَّى يعرفُوه، ويعرفُوا أنَّه قادرٌ، وأنَّه كاملُ القُدرةِ لا يُعجِزُه شَيءٌ، ثُمَّ هم بمعرفةِ ذلك ينتفعون، لأنَّ مَن ءامَنَ باللَّهِ تعالى واعتقدَ أنَّه متَّصِفٌ

---

(١) قال أبو منصور البغدادي: «وأجمع أهلُ السُّنة على أن حياة الإلـه سبحانَه بلا روحٍ ولا اغتذاء، وأنَّ الأرواح كلَّها مخلوقةٌ خلاف قول النصارى في دعواها قدمَ أبٍ وابنٍ ورُوح، وأجمعُوا -أي أهلُ السنة والجماعة- على أنَّ الحياةَ شرطٌ في العلم والقُدرةِ والإرادَةِ والرؤيةِ والسَّمعِ وأن مَنْ ليسَ بحيّ لا يَصِحُّ أنْ يكونَ عالمًا قادِرًا مُريدًا سامِعًا مُبصِرًا» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٣٢٥).

(٢) ينظر: البيهقي، **الأسماء والصفات**، (١/ ١٣١).

(٣) قال سيدنا عليٌّ رضي اللَّه عنه: «إنَّ اللَّه خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِه ولَمْ يتَّخِذْه مكانًا لذاته» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٣٢١).

بصفاتِه الكاملة اللائقة به كان ذلك له سعادةً أبديَّةً، فاللَّهُ تعالى لا ينتفِع بطاعةِ الطَّائعينَ ولا يلحَقُهُ ضَررٌ بعِصيانِ العُصاةِ.

قال رحمه الله: (رازِقٌ بلا مُؤنَةٍ).

الشّرْحُ: اللَّهُ تعالى يُوصِلُ إلى العبادِ أرزاقَهم بلا مؤنةٍ تلحَقُهُ، لأنَّ فعلَه بلا علاجٍ[1] ومباشرةٍ ولا يحتاجُ إلى جارحةٍ أو ءالةٍ، يخلقُ الأشياءَ بلا ءالَةٍ ولا مشقَّةٍ ولا حركةٍ ولا مُمَاسَّةٍ، فهو تعالى يُوصِلُ إلى عباده أرزاقَهم بلا مشقَّةٍ تلحَقُه.

والرِّزقُ ما ينفعُ ولو كانَ محرَّمًا[2]، وخالفت المعتزلةُ في تعريفِ الرزقِ فقالوا: إنَّ الرِّزقَ مخصوصٌ بما يكون مملوكًا للإنسانِ[3]، فبناءً على قولهم لا يكونُ اللَّهُ رازقًا للبهائِم والعياذُ باللَّه، وفي ذلك مخالفةٌ لقولِه تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾[4].

قال رحمه الله: (مميتٌ بلا مخافَةٍ، باعِثٌ بلا مَشَقَّةٍ).

الشّرْحُ: اللَّهُ تبارك وتعالى يُـمِيتُ عبادَهُ لا خوفًا مِن ضررٍ وأذًى

---

(١) قال الجوهري: «عالجتُ الشيء معالجةً وعِلاجًا إذا زاولته» اهـ الجوهري، الصحاح، (١/ ٣٣٠).

(٢) الغزنوي، أصول الدين، (ص ١٧٧).

(٣) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، (ص ١٢٣).

(٤) سورة هود/ ءاية (٦).




يلحقُه إن لَمْ يُمِتهُم[(١)]، ثُمَّ يبعثُهم أي يُحييهم بلا مشقَّةٍ، كما أَنَّ بَدْءَ خَلْقِهِمْ لم يكنْ فيه عليه مشقَّةٌ، فَبَدْءُ خَلْقِهِمْ ثُمَّ إماتَتُهُمْ ثُمَّ بَعْثُهُمْ كُلُّ ذلك هيِّنٌ عليه، قال تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾[(٢)].

قال رحمه الله: (ما زالَ بصِفاتِه قديمًا قَبْلَ خَلْقِه، لَمْ يَزْدَدْ بكونِهم شيئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُم مِنْ صِفَتِهِ).

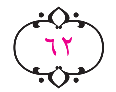
الأزليُّ يستحيلُ أن تحدُثَ له صفةٌ

الشَّرْحُ: اللَّهُ تبارك وتعالى أزليٌّ، أي موجودٌ في الأزلِ بصفاتِه القديمةِ بقِدَمِ الذاتِ، لأنَّه يستحيلُ على الذَّاتِ القديمِ الاتِّصافُ بصفةٍ حادثَةٍ، لأنَّ اتِّصافَ الذَّاتِ بصفةٍ حادثةٍ يُوجِبُ عقلًا حدوثَ الذَّاتِ، فَمِنْ هنا قالَ أهلُ الحقّ إنَّه تعالى حَيٌّ لا كالأحياءِ قادر لا كالقادِرين مريدٌ لا كالمريدِين عالمٌ لا كالعالِمينَ، وهكذا سائرُ صفاتِه لا تُشبهُ صفاتِ خَلْقِه، فَيُفهَمُ من هذا أنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى لم يَزْدَدْ بوجودِ الخَلْقِ شيئًا مِن الكمالِ، بل كمالُه أزليٌّ لا يزدادُ ولا ينقُصُ.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾ [سورة الشمس/ ءاية (١٥)] قال النسفي في قصةِ إرسال العذابِ على قوم صالح عليه السلام: «﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾ ولا يخافُ اللَّهُ عَاقبةَ هذه الفِعلة، أي فَعَلَ ذلك غيرَ خائفٍ أن تلحقَه تَبِعةٌ من أحدٍ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٦٤٦).

(٢) سورة لقمان/ ءاية (٢٨).



الصفاتُ الواجبُ معرفتُها للّهِ تعالى

وصفاتُ اللَّهِ تعالى الواجبُ معرفتُها على كلِّ مكلَّفٍ ويجبُ على الآباءِ والأمهاتِ تعليمُها لأولادِهم(١) هي:

* الوجودُ: وهي صفةٌ نفسيَّة، أي لا يُتَعَقَّلُ الذاتُ بدونِها.

* والقِدَمُ: أَيِ الأزلِيَّةُ وهيَ تَنفي الحدوثَ عن اللَّهِ تَعالى.

* والمخالفةُ للحوادثِ: أي عَدَمُ المشابهةِ للخلقِ وهي تنفي الشَّبيهَ وَالنَّظيرَ عن اللَّهِ تَعالى.

* والوحدانيَّةُ في الذَّاتِ وَالصِّفاتِ وَالأفعَالِ، وهي تنفي الشَّريكَ عَنْهُ تَعالى.

* والقيامُ بنفسِهِ: وهو الاستغناءُ عن الغيرِ، وهي تنفي الحاجةَ عنه تَعالى.

وهذه الصفاتُ الأربعةُ تسمَّى سَلْبِيَّةً وَالسَّلْبُ النفيُ، وَسمِّيت سلبيَّةً لأَنَّها تنفِي النَّقْصَ عن اللَّه تَعالى.

* والبقاءُ: وهو استمرارُ الوجود(٢).

* والقُدرَةُ: صفة يؤثِّرُ اللَّه بها في الممكنات إيجادًا وإعدَامًا على ما يشاءُ.

* والإرادةُ: أي المشيئةُ.

---

(١) ينظر: الدمياطي، **إعانة الطالبين**، (١/ ٣٥).

(٢) أبو زرعة العراقي، **الغيث الهامع**، (ص ٧٣٨).

* والحياةُ التي لا تشبهُ حياةَ الأحياءِ ولا يَطرَأُ عليها فَناءٌ.

* والعِلْمُ الشَّامِلُ لكُلِّ معلومٍ.

* والكلامُ بغيرِ حَرْفٍ وصوتٍ.

* والسَّمعُ المتعلِّقُ بجَمِيعِ المَسْمُوعَاتِ بلا ءالةٍ ولا كيفيَّةٍ.

* والبَصَرُ المُتَعَلِّقُ بِجَمِيعِ المُبْصَرَاتِ بلا ءالةٍ ولا كيفيَّةٍ[١].

وهذهِ الصِّفاتُ صفاتُ مَعانٍ، إذ كُلٌّ منها مَعْنًى وُجُودِيٌّ قائِمٌ بذاتِ اللَّهِ أي ثابتٌ له يصِحُّ عقلًا أن يُرَى لو كُشِفَ الحِجابُ المعنويّ عن العبدِ.

وعَدُّ البَقاءِ مِن صفاتِ المعاني هو ما عليه أَبو الحسنِ الأَشعريُّ رحمه الله وأكثرُ أتباعِه.

ويجب على المكلَّفِ أيضًا معرفةُ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ على اللهِ مَا ينافِي أي ما يُضَادُّ ويقابِلُ هذه الصِّفاتِ.

ولمَّا كانت هذه الصِّفاتُ ذُكِرَتْ كثيرًا في النُّصوصِ الشَّرْعِيَّةِ قال العُلَمَاءُ: تجِبُ معرفتُها أي معرفةُ معانِيها وجوبًا عينيًّا، أي على كلِّ مُكلَّفٍ بعينِه[٢].

والذي عليه جمهورُ الأشاعرةِ أنَّ صِفَاتِ اللَّه الواجبةَ لهُ ثَلاثَ

(١) ولأهل السنة قولٌ آخر وهو أنَّ سمعَ اللَّه وبَصرَه متعلقان بكلِّ موجودٍ، فيسمع الطعوم والروائح ويراها. الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، (٢/ ٢٨).

(٢) ينظر: الفضاليّ، **كفاية العوامّ**، (ص ٢٥).

عَشْرَةَ صفـةً.

وقال بعضُ الأشاعرةِ[1] بوجوبِ معرفةِ عِشْـرِينَ صفـةً، فزادُوا سَبْعَ صفاتٍ معنويَّـةٍ على الثَّلاثَ عَشْرَةَ التي سبقَ ذكرها، قَالُوا: وكونُه تعالى قادرًا ومريدًا وحيًّا وعالِمًا وَمُتكلِّمًا وَسميعًا وبصيرًا، والطَّريقةُ الأولى هي الرَّاجِحَةُ، لأنَّهُ يُعْلَمُ من ثُبُوتِ القدرةِ كونُه قَادرًا، وهكذا البَقِيَّة.

مذهبُ الماتريديَّة في عددِ صفاتِ اللَّهِ الواجبِ معرفتُها

وما ذكرناه ءانفًا هو مذهب الأشاعرة في الصفات، أما عند السادة الماتريديَّة فيجب عندهم معرفة أربعَ عشرة صفة لله تعالى، فيزيدون على ما ذكر الأشاعرة صفةَ التكوين.

والتكوين أي التخليقُ[2] وهو صفة أزليةٌ أبديةٌ لله تعالى بها يبرز كل شيء من الأحجام والأعراض من العدم إلى الوجود، فالتكوينُ متعلِّقٌ بوجودِ المقدور، ونسبتُه إلى الفعل الحادثِ كنسبةِ الإرادة إلى المرادِ، أي أنَّ وظيفتَه إيجادُ الممكن وإعدامُه.

وأما صفة القدرة عندهم فهي تصحِّح وجود الأشياء، وهي صفة أزلية أبدية فالله قادرٌ على كل شيءٍ أي كلّ ممكنٍ عقليٍّ وهو

(١) السنوسي، أم البراهين، (ص ١٧٩).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [سورة البقرة/ ءاية (١١٧)]. أي إذا قدر شيئًا يكونُ، لكنه عبَّر بقوله: ﴿كُن﴾ إخبارًا عن سرعة تكوُّنِ الأشياءِ بتكوينه. النسفي، تفسير النسفي، (١/ ٢٥٦).

ما يجوز عقلًا وجوده وعدمه، لا يُعجزه شيء[1]، قال اللَّه تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[2].

فالإحياءُ والإماتةُ وغيرُها من صفات الفعل ترجع إلى صفة التكوين، فالإحياءُ تكوينٌ مخصوص والإماتةُ تكوينٌ مخصوص وهكذا في باقي الصفاتِ.

ويدلُّ لذلك كلامُ أبي حنيفةَ في الفقه الأكبر ونصُّه: «لم يزلْ ولا يزالُ بأسمائِه وصفاتِه لم يحدثْ له اسمٌ ولا صفةٌ، لم يَزَلْ عالمًا بعلمه والعلمُ صفةٌ في الأزل، وقادرًا بقدرتِه والقدرةُ صفةٌ في الأزل، ومتكلِّمًا بكلامِه والكلامُ صفةٌ في الأزل، وخالقًا بتخليقِه والتخليقُ صفةٌ في الأزل، وفاعلًا بفِعْلِهِ والفعلُ صفةٌ فى الأزل، والفاعلُ هو اللَّه تعالى، والفعلُ صفةٌ في الأزل والمفعولُ مخلوقٌ وفعلُ اللَّه تعالى غيرُ مخلوقٍ، وصفاتُه فى الأزلِ غيرُ محدثةٍ ولا مخلوقة فمن قال إنَّها مخلوقةٌ أو محدَثة أو وَقَفَ فيها أو شكَّ فيها فهو كافرٌ باللَّهِ تعالى»[3] اهـ

قال رحمه الله: (وكمَا كانَ بصِفاتِه أزليًّا كذلك لا يَزالُ عليها أبدِيًّا. ليسَ بعدَ خَلْقِ الخَلْقِ استَفادَ اسمَ الخالِقِ ولا بإحْداثِهِ البَرِيَّةَ استَفادَ اسمَ البارِئِ).

---

(١) ينظر: سمير القاضي، **الملخَّص النقي لشروح الفقه الأكبر من كلام الماتريدية وأهل المذهب الحنفي**، (٣٨، ٣٩).

(٢) سورة الملك/ ءاية (١).

(٣) أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، (١، ٢).

الشَّرْحُ: كما ثبتَ أنَّ اللَّهَ تعالى أزليٌّ وصفاتِه أزليَّةٌ، كذلك لا يزال أبديًّا بصفاتِه الذَّاتيَّةِ والفعليَّة، إذ كُلُّها قديمةٌ عند الماتريديَّة ومعهُم البخاريُّ حيثُ قال في «صحيحه» في كتابِ التوحيدِ ما نصُّه: «فالرَّبُّ بصفاتِه وفِعْلِهِ وأَمْرِه وهُو الخالقُ المكوِّن غيرُ مخلوق، وما كانَ بفعلِه وأمْرِهِ وتخليقِه وتكوينِه فهو مفعولٌ مخلوقٌ مُكَوَّن»[1] اهـ

فهُو تعالى لم يتجدَّدْ له صفةٌ بإحداثِ البريَّةِ أي الخلقِ[2]، أي هُو تعالى خالقٌ أي لهُ صفةُ التَّخليقِ قبل حدوثِ المخلوقاتِ، وبارئٌ قبل حدوثِ البَرِيَّة، كما أنَّه قادرٌ قبل وجودِ المقدوراتِ أي المخلوقاتِ.

فائدةٌ في تعريفِ الصفاتِ الذاتيَّةِ والفعليَّةِ

قال ابن نجيم: «كلُّ صفةٍ يوصَفُ -اللَّه- بها وبضِدِّها كالرحمةِ والرأفةِ والسَّخَطِ والغَضَب فهي من صفاتِ الفعلِ، وكلُّ صفةٍ يُوصَفُ بها ولا يُوصَفُ بضدِّها كالقُدرةِ والعِزَّةِ والعظمةِ فهي من صفاتِ الذاتِ»[3] اهـ

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب ما جاء في تخليق السمٰوات والأرض وغيرها من الخلائق، (٩/ ١٣٤).

(٢) الرازي، **مختار الصحاح**، (ص ٣٤).

(٣) ابن نجيم، **البحر الرائق**، (٤/ ٣٠٧). قال الزبيدي: «اعلم أن الصفاتِ ضربان: صفاتُ الذاتِ وصفاتُ الفعلِ، والفرق بينهما أنَّ كلَّ ما وُصِفَ اللَّهُ به تعالى ولا يجوز أن يُوصَفَ به وبضدِّه فهو من صفات الذاتِ كالقدرة والعلم والعِزَّة والعظمةِ، وكلَّ ما يجوز أن يُوصَفَ به وبضدِّه فهو من صفاتِ الفعل=

خلافُ الماتريديةِ والأشاعرةِ في صفاتِ الأفعالِ

اعلم أنَّه لا خلاف بين الأشاعرة والماتريدية أنَّ صفاتِ الذات أزليَّةٌ أبديَّة، وصفاتُ الذَّاتِ كما تقدم هي التي يتَّصف الله بها ولا يجوزُ اتصافُه بمقابلها، لأن مقابلَها لا يليق به تبارك وتعالى، فالله متصف بالعِلْمِ والقُدرة والحياة وغيرِها من صفات الذات، ولا يجوزُ اتصافُه بضدها من الجهل والعجز والموتِ، لأن هذا نقصٌ والنقصُ مستحيلٌ في حقّ ِالله.

وأما صفاتُ الأفعال وهي كما تقدَّم أيضًا ما يتصف الله بها وبمقابلها كالإحياءِ والإماتةِ والإسعادِ والإشقاء، فهذه اختلف فيها العلماء فذهبَ بعضُ الأشاعرة إلى أنَّها حادثةٌ لأنها لا تقوم بذات الله بل هي ءاثارُ القدرة الأزليَّة فيقولون مثلًا: يحيي الله من شاء أي يحدثُ فيه الحياةَ بقدرته، فالإحياء عندَهم أثر القدرة، وليس صفةً قائمةً بذات الله.

وأما الماتريديةُ وكثير من متقدّمي الأشاعرة فذهبوا إلى أنَها أزليَّة قائمةٌ بذات الله تعالى، فيقولون: أحيا اللّهُ هذا المخلوقَ بصفته التي هي أزليَّةٌ وهي صفة الإحياء، فالـمُحْيا حادثٌ وأما إحياءُ الله تعالى له فهو أزليٌّ.

وكلا الفريقين متَّفِقون على أنَّه لا تقومُ بالله صفة حادثَة لأن من قامت به صفةٌ حادثة فهو حادثٌ، فاختلافهم هل صفات الأفعال قائمةٌ بذات الله أم هي ءاثار القدرةِ، فمن قال هي قائمة

=كالرأفةِ والرحمةِ والسَّخَطِ» اهـ الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، (٢/ ١٥٦).



بذات اللَّه أي ثابتة له فهي عنده أزليَّة، ومن قال هي ءاثار القدرة فهي عنده مخلوقة لأنها ليست صفاتٍ قائمةً بذاتِ اللَّه تعالى.

قال رحمه الله: (لَهُ معنَى الرُّبُوبِيَّةِ ولا مَرْبُوب، ومعنَى الخالِقِ ولا مَخْلُوق).

الشَّرْحُ: أرادَ بذلك أنَّ اللَّهَ تعالى موصوفٌ بمعنى الرُّبوبيَّةِ وهو المالكيَّةُ[1] قبل وجودِ المربُوبين، وموصوفٌ أيضًا بمعنى الخالقيَّةِ قبل وجودِ المخلوقين، وموصوفٌ بصفاتِ الكمالِ قبل أن يكونَ أحدٌ من خلقِه موجُودًا، فصفاتُه تعالى لا تزيدُ ولا تنقُصُ.

قال رحمه الله: (وكَما أنَّهُ مُحيِي المَوْتَى بعدمَا أحيَا استحقَّ هذا الاسمَ قَبْلَ إِحيائِهِم، كذلك استَحَقَّ اسمَ الخالِقِ قَبْلَ إنْشائِهِم).

الشَّرْحُ: هذا إيضاحٌ لِما تَقَدَّمَ، وهو أنَّ اللَّهَ تعالى له صفةُ الإحياءِ قبلَ وجودِ مَنْ أحياهُم، وله صفةُ الخالقيَّةِ قبلَ إبرازِ المخلوقينَ مِنَ العدَمِ إلى الوجودِ.

أسماءُ اللَّهِ توقيفيَّةٌ

اعلم أنه لا يجوزُ تسميةُ اللَّهِ تعالى بغيرِ ما وردَ في القرءانِ الكريمِ أو السُّنَّةِ الصَّحيحَةِ أو الإجماعِ، كما قالَ بذلك الإمامُ أبو حنيفةَ النُّعمان رضي اللَّه عنه كما نقلَ عنهُ البياضيُّ في «**إشاراتِ المرامِ**»[2]،

---

(١) قال ابن منظور: «الربُّ هو اللَّه عزَّ وجلَّ، هُو ربّ كلِّ شيءٍ أي مالكُه، وله الربوبيَّةُ على جميعِ الخلقِ» اهـ ابن منظور، **لسان العرب**، (١/ ٣٩٩).

(٢) البياضي، **إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان**، (ص ١٢٧).

وبذلك أيضًا قال الإمام أبو الحسنِ الأشعريُّ رضي اللَّه عنه[(١)] كما نقل ذلك عنه ابنُ فورك[(٢)] وذكرَ مثلَ ذلك الإمامُ أبو منصورٍ البغداديُّ في كتابِه «**تفسيرِ الأسماءِ والصفاتِ**»[(٣)]، وهذا هُو المختار والمعتمدُ كما نقله الجلالُ الدَّوَّانيُّ عن أبي الحسن الأشعريِّ رضي اللَّه عنه وبعضِ أتباعه قائلًا: «إنَّه لا بُدَّ من التَّوقيف، وهو المختار للاحتياط في الاحتراز عمَّا يوهم باطلًا، لِعِظَمِ الخطرِ في ذلك فلا يجوزُ الاكتفاءُ في عدم إيهامِ الباطل في إدراكِنا، بل لا بُدَّ منَ الاستنادِ إلى إذنِ الشَّرعِ»[(٤)] اهـ

ولا يجوزُ تسميةُ اللهِ بالقُوَّةِ كما فعلَ سيد قطب[(٥)]، وكذلك

---

(١) قال الأشعري: «فالأسماءُ ليست إلينا ولا يجوزُ أن نسمِّي اللَّه تعالى باسم لَمْ يسمِّ به نفسه ولا سمَّاه به رسوله ولا أجمع المسلمون عليه ولا على معناه» اهـ الأشعري، **اللمع**، (ص ١٨).

(٢) ابن فورك، **مجرد مقالات الأشعري**، (ص ١٠٠).

(٣) أبو منصور البغدادي، **تفسير الأسماء والصفات**، (١/ ٣٦٥).

(٤) الجلال الدَّوَّاني، **شرح العقائد العضدية**، (ص ٤٦٠).

(٥) سيد قطب بن إبراهيم (ت ١٣٨٧هـ)، كاتب مصريّ، تخرَّج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة (١٩٣٤م) وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتَي (الرسالة) و(الثقافة) وعُيّن مُدرِّسًا للعربية، فموظفًا في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقبًا فنيًّا للوزارة. وأُوفِد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا (١٩٤٨م - ١٩٥١م)، ولـمَّا عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وانضم إلى ما يسمّى حزب الإخوان، فترأس ما يسمّى قسم نشر الدعوة وتولَّى تحرير جريدتهم (١٩٥٣م - ١٩٥٤م) وسجن معهم، فعكف على تأليف=

تسميةُ سيد قطب للَّهِ بالرِّيشةِ المبدِعةِ، والنَّبع الذي لا يغيضُ، وبالعقلِ المدبِّرِ ونحوِ ذلك من الألفاظ[1]. وكذلك لا يجوزُ تسميةُ اللَّهِ عِلَّةً[2] ولا سببًا، فقد قال الإمامُ ركنُ الإسلامِ عليٌّ السُّغديُّ الحنفيُّ رحمه اللَّه وهو من علماءِ القرن الثَّامنِ الهجريّ: «مَنْ سمَّى اللَّهَ عِلَّةً أو سَبَبًا كفرَ» اهـ نقله عنهُ الكمالُ بن أبي شريفٍ في كتابه «**المسامَرة شرح المسايرة**»[3]، وقال النسفي في تفسيره: «ومن الإلحادِ تسميته -تعالى- بالجسمِ والجوهرِ والعقلِ والعلَّةِ»[4] اهـ

وأجاز بعضُ الأشاعرةِ إطلاقَ الوصفِ المشتقّ على اللَّهِ مما يثبُتُ سمعًا اتِّصافُه بمعناهُ ويُشعِرُ بالجلالِ ولا يُوهِمُ نقصًا كتسميةِ اللَّه

=الكتب ونَشْرِها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. من كتبه -المشحونة بالكفر والضلال والفساد ومخالفة الإسلام ما أسماه-: «العدالة الاجتماعية في الإسلام» و«التصوير الفنِّيّ في القرءان» و«في ظلال القرءان»، و«معالم في الطريق». الزركلي، **الأعلام**، (٣/ ١٤٧، ١٤٨). راجع كتابنا: «**الفكر والاستقطاب عند الجماعات المتطرفة باسم الإسلام والخطر الداهم**» وكتاب: «**البيان الموثَّق** (دراسة موثَّقة لمقالات الفرق الثلاث)» للشيخ عبد اللَّه الهرري.

(١) الكتاب المسمى في **ظلال القرءان**، سيد قطب، المجلد ١، (٢/ ٢٠٤، ٢٠٦).

(٢) العلة هي كالسبب، وهي مثلُ حركة الإصبع الذي فيه خاتم، فحركةُ الإصبع علةٌ لحركة الخاتم، تتبعُ حركةَ الإصبع. ولمزيد بيان معنى العلة ينظر: الجرجاني، **التعريفات**، (ص ١٥٤).

(٣) الكمال بن الهمام، **المسامرة شرح المسايرة**، (ص ٢٨).

(٤) النسفي، **تفسير النسفي**، (١/ ٦٢٠).

بالطَّاهِرِ ومعناهُ المنزَّهُ عن النَّقائصِ[1].

قال رحمه الله: (ذلك بأنَّه على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وكلُّ شَيءٍ إليهِ فقِيرٌ وكُلُّ أَمْرٍ عليهِ يسيرٌ، لا يَحْتاجُ إلى شيءٍ).

الشَّرْحُ: قولُه: (ذلك) إشارةٌ إلى جميعِ ما تَقَدَّمَ ممَّا ذُكِرَ مِن صفاتِه تبارك وتعالى، يعني أنَّه تبارك وتعالى قدرتُه مؤثِّرَةٌ في كُلِّ شيء، أي في كلِّ ما يقبلُ الدخولَ في الوجودِ، وذلك الممكناتُ العقليَّةُ، وكلُّ ما هو كذلك فهو فقيرٌ إلى اللَّهِ تعالى، أي محتاجٌ إليه في أصلِ وجودِه وكذلك فيما بعدَه، وكلُّ ما هو كذلك فهو عليه يسيرٌ، أي يُحْدِثُهُ بقدرتِه ومشيئته من غير تعبٍ يلحقُه، فَيُحْدِث ما شاءَ من غيرِ علاجٍ ومباشرةٍ، وهو سبحانه لا يحتاجُ إلى شيءٍ من خلقه، فكل الخلق بحاجةٍ إلى اللَّهِ تعالى، واللَّه تعالى لا يحتاج إلى أحد.

ويُعْلَمُ مِن هذا أنَّ ما كانَ مقدورَ العبدِ فهو مقدورٌ للَّهِ تعالى لأنَّ مقدورَ العبدِ شَيءٌ، وكلُّ شَيءٍ مقدورٌ للَّهِ تعالى، وقدرةُ العبد ليست مؤثِّرةً على الحقيقةِ أي العبدُ لا يخلقُ شيْئًا.

وما تقدَّمَ من أنَّ وظيفةَ القدرةِ الإيجادُ والإعدامُ هذا هو مذهبُ الأشاعرةِ، وأمَّا الماتُريديَّةُ فعندهم الإيجادُ والإبرازُ من العدَمِ إلى الوجودِ هُو وظيفةُ التَّكْوِيْنِ[2].

---

(١) ينظر: الزركشي، تشنيف المسامع، (٤/ ٨٦٩).

(٢) ينظر: سمير القاضي، الملخَّص النقي لشروح الفقه الأكبر من كلام الماتريدية=

قال رحمه الله: (لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ[١]).

الشَّرْحُ: المرادُ بنفي المَماثَلَةِ عن اللهِ تعالى نَفْيُ المماثلةِ من جميعِ الوجوهِ، ونفي المماثلةِ من وجهٍ واحدٍ، فكلُّ ذلك مستحيلٌ.

وهذهِ الآيةُ من المحكَماتِ[٢] اللاتي هُنَّ أمُّ الكتابِ أيْ مَرْجِعُ المتشابِهاتِ[٣] إليها لفَهْمِها على وجهٍ لا يقعُ فيه الشَّخصُ في

=وأهل المذهب الحنفي، (ص ٣٨، ٣٩).

(١) فائدة: قال أبو زرعة العراقي: «وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ تَتِمَّته في التّنزيل: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى/ ءاية (١١)] فأوّلُ هذه الآيةِ تنزيهٌ، وءاخرُها إثباتٌ، وصدرُهَا ردٌّ على المجسّمةِ، وعَجُزُها ردٌّ على المعطّلةِ، والنكتةُ في نفي التَّشبيهِ أوّلًا أنّه لو بدأَ بذكْرِ السَّميعِ والبصيرِ لأوهمَ التشبيهَ، فاستُفيدَ من الابتداءِ بنَفْيِ التَّشبيهِ أنَّه لا يُشابِهُهُ في السَّمْعِ وَالبَصَرِ غيرُه» اهـ أبو زرعة العراقي، **الغيث الهامع**، (ص ٧٣٣).

(٢) الآياتُ المُحكمةُ هي ما لا يَحْتَمِلُ من التَّأويلِ بحَسَبِ وضعِ اللُّغةِ إلَّا وَجْهًا واحدًا من المعاني أو هو ما عُرِفَ المرادُ منه بوضوحٍ بأن اتَّضَحَتْ دلالتُه، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى/ ءاية (١١)]. قال التوربشتي: «المحكمُ ما لا يعرِضُ فيه شبهةٌ من حيث اللفظُ، ولا من حيث المعنى، فكأنَّ عبارتَه أحكَمتْه: بأنْ حُفِظَتْ عن الاحتمالِ والاشتباهِ» اهـ التوربشتي، **الميسر في شرح مصابيح السنة**، (١/ ٨٠).

(٣) الآياتُ المتشابهةُ هي ما لَمْ تتَّضحْ دلالتُها على المعنى المرادِ منها، أو كانت تَحتمِلُ بِحَسَبِ وضعِ اللُّغةِ العربيَّةِ أَوْجُهًا عديدةً واحتاجَت لمعرفةِ المعنى المراد منها إلى نَظَرِ أَهْلِ النَّظَرِ والفهمِ الذينَ لهم دِرايةٌ بالنُّصوصِ الشَّرعيَّةِ ومعانيها ولهمْ درايةٌ بلُغةِ العَرَبِ لِحَمْلها على الوجهِ المُطابق. قال التوربشتي: «وأما=

التَّشبيهِ ولا في التَّعطيلِ.

قال رحمه الله: (خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ).

الشَّرْحُ: هذا إشارةٌ إلى أنَّ شَرْطَ قدرةِ التَّخليقِ عِلْمُ الخالقِ بالمخلوقِ، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[1] ومعناه أنَّ الذي يخلقُ شيئًا يكون عالمًا به، فيستحيلُ أنْ يَخْلُقَ اللَّهُ شيئًا لا يكون عالِمًا به، فوجبَ أن يكونَ اللَّهُ عالِمًا لثبوتِ أنَّه الخالقُ.

وفيه إشارةٌ إلى فسادِ قَوْلِ مَن يقولُ بأنَّه تعالى غيرُ عالِمٍ بالجزئيَّاتِ وهُم الفلاسفةُ، وهذه إحدى المسائلِ الثَّلاثِ التي كَفَّرَ العلماءُ الفلاسفةَ فيها[2].

=المتشابهُ فإنَّه من حيثُ الاعتبارُ اللفظيُّ: ما أشكلَ تفسيرُه؛ لمشابهةِ غيرِه، ومن حيثُ الاعتبارُ المعنويُّ: ما لا ينبئُ ظاهرُه عن مرادِه الذي يقتضيه النَّظَرُ» اهـ التُّوربشتي، **الميسر في شرح مصابيح السنة**، (١/ ٨٠).

(١) سورة الملك/ ءاية (١٤). قال النسفي: «﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ «مَنْ» في موضعِ رفعٍ بأنه فاعلُ «يَعْلَمُ» ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أنكرَ أنْ لا يُحيطَ علمًا بالمضمَرِ والمُسَرِّ والمُجهَرِ مَنْ خَلَقَهَا، وصفتُه أنَّهُ ﴿اللَّطِيفُ﴾ أي العالِمُ بدقائقِ الأشياءِ ﴿الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ العالِمُ بحقائقِ الأشياءِ، وفيه إثباتُ خلقِ الأقوالِ، فيكونُ دليلًا على خلقِ أفعالِ العبادِ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٥١٤).

(٢) قال الزركشي: «وأطبق المسلمون على أنَّ اللَّه تعالى يعلمُ دبيبَ النَّملةِ السوداءِ على الصخرةِ الصمَّاءِ في الليلة الظلماءِ، وأنَّ معلوماتِه لا تدخلُ تحت العدِّ والإحصاءِ، وعلمَه محيطٌ بها جملةً وتفصيلًا، وكيف لا، وهو خالقُها وقد قال=

معاني خَلَقَ

والمرادُ بالخَلْق هنا الإحداثُ من العدم إلى الوجود، وهو بهذا المعنى خاصٌّ بالله، قال الله تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [(١)].

لكن يُطْلَقُ خلَقَ أيضًا بمعنى التَّقديرِ وبمعنى التَّصويرِ [(٢)]. فبهذينِ المعْنَيينِ يُوصَفُ بهِ اللَّهُ تعالى ويُوصَفُ به غيرُه، كما في قولِ الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [(٣)]، ويُطْلَقُ خلَقَ لغةً أيضًا بمعنى افتراء الكذب، وبهذا المعنَى يُطلَقُ على المخلوق

=تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ [سورة الملك/ ءاية (١٤)] وضلَّت الفلاسفةُ حيث زعمُوا أنه يعلمُ الجزئياتِ على الوجه الكليِّ لا الجزئيِّ» اهـ الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٦٥٨، ٦٥٩).

(١) سورة فاطر/ ءاية (٣). قال القرطبي: «والآيةُ حجةٌ على القدريَّةِ لأنَّه نفى خالقًا غيرَ الله وهم يُثبتُون معه خالقِين» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (١٤/ ٣٢٢).

(٢) كما في قوله تعالى في حقّ عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾ [سورة المائدة/ ءاية (١١٠)] قال الطبري: «يعني بقوله: ﴿تَخۡلُقُ﴾ تعمَلُ وتُصْلِحُ ﴿مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي﴾ يقول: بعوني على ذلك وعِلْمٍ منّي ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ يقول: فتنفخُ في الهيئَةِ فتكونُ الهيئةُ والصورةُ طيرًا بإذني» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (١١/ ٢١٥).

(٣) سورة المؤمنون/ ءاية (١٤). قال النسفي: «﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ فتعالى أمرُه في قدرته وعلمِه ﴿أَحۡسَنُ﴾ بدلٌ أو خبرُ مبتدإ محذوف، وليس بصفةٍ لأنَّهُ نكرةٌ وإن أضيف، لأن المضافَ إليه عوضٌ مِنَ ﴿ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ المقدِّرين، أي أحسنُ المقدِّرين تقديرًا» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٢/ ٤٢٦).

فقط، كما في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[1].

العالَمُ حادثٌ

وفُهِم مِن ذلك أنَّ العالَمَ أي ما سوى اللهِ حادثٌ، فالجواهرُ والأجسامُ محدَثَةٌ ذواتُها وصفاتُها، ولا فرقَ عند المسلمينَ بين ذواتِ العالَمِ وصفاتِه القائمةِ بذواتِهِ في كونِه مُحدَثًا، فليس شَىءٌ منها أزليًّا. وقال أرسطاطاليس[2] وأتباعُه من الفلاسفة إنّها قديمةٌ بذواتِها، وبطلانُ هذا الرَّأيِ ظاهرٌ، وقالَ أكثرُ الفلاسفةِ إنَّها قديمةُ النَّوعِ محدَثَةُ الذَّواتِ، وهذا لا يقبَلُهُ العقلُ السَّليمُ، فإنَّ النَّوعَ لا وجودَ له خارجَ الذَّواتِ. ومع هؤلاءِ أحمدُ ابنُ تيميةَ[3] فإنَّه موافقٌ لهذه الطَّائفةِ منهم وليس على مذهبِ أرسطو

---

(١) سورة العنكبوت/ ءاية (١٧). قال البغوي في تفسير الآية: «﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ أصنامًا ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تقولون كذبًا» اهـ البغوي، **تفسير البغوي**، (٦/ ٢٣٦).

(٢) أرسطاطاليس -وقيل فيه: أرسطوطاليس- بن نيقوماخوس من أهل أسطاغيرا، الفيلسوف اليوناني، وهو المقدَّم المشهور عندهم -أي الفلاسفة-، وكان مولده في أول سنةٍ من مُلْك أردشير بن دارا، أَسْلَمَه أبوه إلى أفلاطون فمكث عنده يدرس. وكتبه معروفة، ولها شروحٌ كثيرة، -وله ضلالات عديدة منها قولُه بأنَّ العالم العلوي قديمٌ بمادّته وأفراده-. الشّهرستاني، **الملل والنحل**، (٢/ ١٧٨).

(٣) أحمد بن عبد الحليم الدمشقيّ المعروف بابن تيمية (المجسم)، ولد بحرّان سنة (٦٦١هـ)، ظهرت منه بدع كثيرة حتى قال الحافظ أبو زرعة العراقيّ: «إنَّه خرق الإجماع في أكثر من ستينَ مسألة، بعضها في الأصول وبعضها في الفروع» اهـ=

وكان يقول: «العالمُ العلويُّ قديمٌ بمادَّتِه وأفرادِه» اهـ وليس بين المسلمين اختلافٌ في تكفيرِ القائلين بالمقالتين.

الإجماعُ قائمٌ على تكفيرِ من يخالفُ في أنَّ اللهَ كانَ في الأزلِ وحدَه

وقد ذَكَرَ اتِّفاقَ المسلمينَ على تكفير الطَّائفتين الفقيهُ المحدِّثُ الأُصوليُّ بدرُ الدِّين الزَّركشيُّ(1)، بل ونَقَلَ القطعَ بتكفير قائلِ

=وقال فيه: «عِلْمُهُ أكبَرُ من عقله» اهـ ردّ عليه علماءُ عصره وبدّعوه وكفَّرُوه وألّفوا في ذلك كتقي الدين السبكيّ فإنه صنّف: «**شفاء السقام في زيارة خير الأنام**»، و«**الاعتبار ببقاء الجنة والنار**» في الردّ عليه. استتيب عدّة مرات وكان في كل مرّة ينقض عهوده ومواثيقه حتى حُبِس بفتوى من قضاة المذاهب الأربعة سنة (٧٢٦هـ) بقلعة دمشق ومات فيها سنة (٧٢٨هـ). ينظر: السبكي، **مقدمة الدرة المُضيَّة في الردّ على ابن تيمية**. العسقلاني، **الدرر الكامنة**، (١/ ١٦٨-١٧٤). الهيتميّ، **الفتاوى الحديثية**، (ص ٨٣-٨٥) وغيرها.

(١) قال الزركشي: «وهذا العالَمُ بجُملتِه علويّه وسفليّه جواهرِه وأعراضِه محدَثٌ، أي بمادَّتِه وصورتِه، كان عدمًا فصارَ موجودًا، وعليه إجماعُ أهلِ المللِ، ولم يخالفْ إلا الفلاسفةُ ومنهم الفارابيّ وابنُ سينَا، قالوا: إنه قديمٌ بمادَّتِه وصورتِه وقيل: قديمُ المادَّةِ محدثُ الصُّورة» ثم قال: «وكلُّ هذه الأقوالِ باطلةٌ وقدْ ضَلَّلَهُم المسلمون في ذلك وكفَّرُوهم، وقالوا: من زعم أنَّه قديم فقد أخرجه عن كونه مخلوقًا للَّهِ تعالى، قالوا: وهذا أخبثُ من قولِ النصارى، لأن النصارى أخرجوا من عمومِ خلقه شخصًا واحدًا أو شخصَين، ومن قال بقدم العالم فقد أخرج العالمَ العلويَّ والسفليَّ والملائكةَ عن كونه مخلوقًا للّه تعالى، وقد برهنَ الأئمةُ على حدوثِه بالبراهين القاطعة، ومنها: أن تتغيَّرَ عليه الصفاتُ ويخرجَ من حالٍ إلى حالٍ وهو ءايةُ الحدوث -أي علامة الحدوث-، واقتفَوا في ذلك بطريقة الخليلِ صلواتُ اللّه عليه فإنَّ اللّه تعالى سمّاها حُجَّةً، وأثنى عليها فاستدلَّ=

ذلك أيضًا العلَّامتان الحافظان الكبيران الفقيهان اللَّذانِ قيل ببلوغهما درجةَ الاجتهاد تقيُّ الدِّين محمَّدُ بنُ دقيق العيد[1]، وتقيُّ الدِّين عليٌّ السُّبكيُّ[2]، والقاضي عياضٌ المالكيُّ[3]، وكذا نقل ابنُ حزمٍ الظاهريُّ[4] اتِّفاقَ علماء الإسلام على تكفيرِ من يخالفُ في

=بأُفُول الكواكب وشروقِها وزوالِها بعد اعتدالِها على حدوثِها، واستدلَّ بحدوث الأَفْلِ -أي الغياب- على وجود المحدِثِ، والحكم على السموات والأرض بحكم النيِّرات الثلاثة وهو الحدوث طردًا للدليل في كل ما هو مدلوله لتساويها في علة الحدوث وهي الجسمانية، فإذا وجب القضاءُ بحدوثِ جسمٍ من حيثُ إنه جسمٌ، وجب القضاءُ بحدوثِ كلِّ جسمٍ، وهذا هو المقصودُ من طردِ الدليل» اهـ الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٦٣٣).

(١) العسقلاني، **فتح الباري**، (٢١/ ٢٠٢).

(٢) السبكي، **الدرة المضية في الرد على ابن تيمية**، (ص ٦، ٧).

(٣) القاضي عياض، **الشفا**، (٢/ ٢٨٣).

(٤) علي بن أحمد الأموي المعروف بابن حزم، قال فيه التاج السبكي: «وهذا ابنُ حزم رجلٌ جريءٌ بلسانه متسرِّع إلى النقل بمجرد ظنِّه، هاجِمٌ على أئمة الإسلام بألفاظه، وكتابه هذا -**الفصل في- الملل والنحل** من شر الكتب، وما برح المحققون من أصحابنا ينهون عن النظر فيه لما فيه من الإزراء بأهل السنة ونسبة الأقوال السخيفة إليهم من غير تثبُّت عنهم والتشنيع عليهم بما لَمْ يقولوه، وقد أفرط في كتابه هذا في الغضِّ من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري وكاد يصرِّح بتكفيره في غير موضع، وصرَّح بنسبته إلى البدعة في كثير من المواضع، وما هو عنده إلا كواحد منَ المبتدعة، والذي تحقَّقْتُه بعد البحث الشديد أنه لا يعرفه ولا بلغَهُ بالنقل الصحيح معتقدُه، وإنما بلغته عنه أقوال نقلَها الكاذبون عليه فصدَّقها بمجرد سماعه إياها ثم لم يكتف بالتصديق بمجردِ السَّماع حتى أخذ يشنِّع» اهـ=

أنَّ اللَّهَ تعالى كان في الأزلِ وحدَهُ لم يزلْ وحدَه لمْ يكن معه شيءٌ ثُمَّ خلقَ الخَلْقَ، ذَكَرَ ذلك في كتابِه «**مراتب الإجماع**»[1]، فكلامُ هؤلاء كُلِّهِمْ مُنْصَبٌّ على ابنِ تيميةَ ومَن قال بمقالتِه كابن سينا والفارابيّ وابنِ رشدٍ الحفيدِ لا ابن رشدٍ الجدّ فإنه لا يقول بذلك.

الكتبُ التي صرَّحَ فيها ابنُ تيميةَ بأنَّ نوعَ العالَم لمْ يزلْ مع الله في الأزل

وابنُ تيمية نصَّ على ما نقلنا عنه في كتابِه المسمَّى «**منهاج السنة النبويَّةِ**»[2]، والكتابِ المسمَّى «**موافقة صريح المعقول لصحيح المنقولِ**»[3]، وكتابِ «**شرح حديثِ النزولِ**»[4]، وكتابِ «**شرحِ حديثِ عمرانَ بنِ حصينٍ**»[5]، وكتابِ «**نقدِ مراتبِ**

=التاج السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، (١/ ٩٠).

(١) ابن حزم، **مراتب الإجماع**، (ص ١٦٧).

(٢) ابن تيمية، الكتاب المسمى **منهاج السنة النبوية**، (١/ ٢٢١).

(٣) ابن تيمية، الكتاب المسمى **موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**، (١/ ٢٤٥) و (٢/ ٧٥).

(٤) ابن تيمية، **تفسير حديث النزول**، (ص ١٥٩-١٦١).

(٥) هذا الكتاب ألّفه ليثبت بزعمه أنَّه يوجد شيءٌ أزليٌّ مع الله وأما المخلوق بزعمه فهو هذا العالم المشهود وأما ما قبل ذلك فهو ليس مخلوقًا ولذلك يحاولُ تضعيفَ روايةِ حديث البخاري: «**وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ**» وأنَّ الرواية الصحيحةَ هي فقط: «**وَلَمْ يَكُنْ شيءٌ قَبْلَهُ**» ليصلَ بذلك إلى أنه كان مع الله شيء في الأزل والعياذُ بالله.

الإجماعِ»[١]، وغيرِ ذلك من كتُبِهِ.

قال رحمه الله: (وقدَّر لَهُم أقدارًا).

الشَّرْحُ: اللَّهُ سبحانَه وتعالى قدَّر في الأَزَلِ مقاديرَ الخلقِ من الخيرِ والشَّرِّ والطَّاعةِ والمعصيةِ والرِّزقِ والسَّعادةِ والشَّقاوةِ ونحو ذلك[٢].

وكتب اللَّهُ تعالى في اللَّوحِ المحفوظِ ما قدَّر حصولَه إلى يومِ القيامة، أي أمر القلمَ الأعلى بأنْ يكتُبَ ذلك على اللَّوح المحفُوظ كما قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**كتبَ اللَّهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يخلُقَ السمٰواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ قال وعرشُه على الماءِ**». رواه مسلم[٣].

وإذا أُطلِقَ التَّقدِيرُ بمعنى الصِّفةِ الأزليَّةِ للهِ تعالى كان بمعنى التَّدبيرِ، قاله كثيرٌ، منهُم الزَّجَّاجُ[٤] من اللُّغويّين، وهو بهذا المعنى

---

(١) ابن تيمية، **نقد مراتب الإجماع**، (ص٣٠٥-٣٠٦).

(٢) قال البيهقي: «فالإيمانُ بالقَدَرِ هو الإيمانُ بتقدُّمِ علمِ اللَّه سُبحانَهُ بما يكونُ من أكسابِ الخَلقِ وغيرِها من المخلوقاتِ وَصُدورِ جميعِها عن تقديرٍ مِنهُ وخَلْقٍ لَها خَيْرِها وشَرِّها» اهـ البيهقي، **الاعتقاد**، (ص ١٣٢).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب حِجاج ءادم وموسى عليهما السلام، (٤/ ٢٠٤٤). قال النوويّ: «قال العلماء المرادُ تحديدُ وقتِ الكتابةِ في اللوحِ المحفوظِ أو غيرِه لا أصلُ التقديرِ، فإنَّ ذلك أزليٌّ لا أولَ له، وقولُه: (**وعرشُه على الماء**) أي قبلَ خلقِ السمٰواتِ والأرض والله أعلم» اهـ النووي، **شرح مسلم**، (١٦/ ٢٠٣).

(٤) الزجاج، **معاني القرءان وإعرابه**، (٤/ ٣٥٤).

لا ينقسمُ إلى خيرٍ وشرٍّ، إنَّما المقدورُ منه خيرٌ ومنه شرٌّ، فتقديرُ اللهِ للخيرِ حَسَنٌ من اللهِ وتقديرُ اللهِ للشرِّ حَسَنٌ من اللهِ.

قال رحمه الله: (وضَرَبَ لَهُم ءاجَالًا).

الشَّرْحُ: اللهُ تعالى قدَّرَ ءاجَالَ الخلائقِ من الآدميّينَ والجنِّ وغيرِهم من المخلوقاتِ، بحيثُ إذا جاءَ أجلُهُم لا يستقدِمُون عنه ساعةً ولا يستأخرُون بخلافِ ما ذهبت إليهِ المعتزلةُ حيثُ زعمُوا أنَّ القاتلَ قطعَ على الميّتِ أجلَهُ الذي قدَّره اللهُ عليه والعياذُ باللهِ، وذلك تكذيبٌ لقولِه تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[(١)] والأجلُ عبارةٌ عن وقتٍ يخلقُ اللهُ تعالى فيه الموتَ، فعُلِم بهذا أنَّ المقتولَ ميّتٌ بِأَجَلِه، وأنَّ القتلَ فِعْلٌ يخلُق اللهُ تعالى عقِبَه في الحيوانِ -أي الحيِّ- الموتَ[(٢)].

(١) سورة الأعراف/ ءاية (٣٤).

(٢) قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أي وقتٌ مؤقَّتٌ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ أي الوقتُ المعلومُ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وقرأ ابنُ سيرين «جاء ءاجالُهم» بالجمع، ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً﴾ ولا أقلَّ من ساعةٍ، إلا أنَّ الساعةَ خُصَّتْ بالذكرِ لأنَّها أقلُّ أسماءِ الأوقاتِ، وهي ظرفُ زمانٍ، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ فدلَّ بهذا على أنَّ المقتولَ إنما يُقتَلُ بأجلِه، وأجلُ الموتِ هُوَ وقتُ الموتِ، كما أنَّ أجلَ الدَّيْنِ هو وقتُ حلُولِه. وكلُّ شيءٍ وُقِّتَ به شيءٌ فهو أَجَلٌ له. وأجلُ الإنسانِ هو الوقتُ الذي يعلمُ اللهُ أنَّه يموتُ الحيُّ فيه لا محالةَ، وهو وقتٌ لا يجوزُ تأخيرُ موتِه عنه» ثم قال: «وقال كثيرٌ من المعتزلةِ إلا من شذَّ منهم: إن المقتولَ مات بغيرِ أجلِه الذي ضُرِبَ له، وإنه لو لم يقتل لحيِيَ. وهذا غلطٌ -مخرجٌ من الإسلامِ-، لأن المقتولَ لَمْ يَمُتْ من أجلِ قتلِ غيرِه له، بل من أجلِ ما فعلَهُ اللهُ من إزهاقِ نفسِه عند=

قال رحمه الله: (ولَـمْ يَـخْفَ عليهِ شيءٌ قبلَ أنْ يخلُقَهُم).

اللَّهُ عالِـمٌ بالكلِّيَّاتِ والـجُزْئِـيَّاتِ

الشَّرْحُ: لَـمْ يَخْـفَ على اللهِ تعـالى شَيءٌ مِـن أفعـالِ العبـادِ قبـلَ أنْ يخلقَهـم، لأنَّـه سـبحانَه وتعـالى عالِـمٌ بالكلِّيَّـاتِ والجزئيَّـاتِ قبـلَ وجودِهـا بعلمِـه الأزليِّ الأبـديِّ، إذ علمُـه صفتُـه، وهـي قائمـةٌ بذاتِـه أي ثابتـةٌ لـه، قـال اللَّهُ تعـالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[1].

مقالةُ غلاةِ القَدَرِيَّةِ وبعضِ مبتدعةِ هذا العصرِ

وقالـت غُلاةُ القدريَّـةِ[2] إنَّـه لا يعلـمُ الشَّـيءَ مـا لَـمْ يخلقْـهُ ولـمْ

=الضرب له. فإن قيل: فإنْ مات بأجلِه فلِمَ تقتُلون ضاربَه وتقتصُّون منه؟ قيل له: نقتُلُه لتعدِّيه وتصرُّفِه فيما ليس له أن يتصرَّفَ فيه، لا لموته وخروجِ الروح إذ ليس ذلك من فعلِه. ولو تُرِكَ الناسُ والتعدِّي من غير قصاصٍ لأدَّى ذلك إلى الفسادِ ودمارِ العبادِ، وهذا واضح» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (٧/ ٢٠٢).

(١) سورة النمل/ ءاية (٥٦). قال الطبري: «يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمدُ لسائليك من المشركينَ عن الساعةِ متى هي قائمة ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ﴾ الذي قد استأثرَ اللهُ بعلمِه، وحجبَ عنه خلقَه غيرُهُ والساعةُ من ذلك» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (١٩/ ٤٨٦).

(٢) القدريَّةُ همُ المعتزلةُ وأمثالُهم، قال أبو منصورٍ البغداديُّ: «وأمَّا القدريَّةُ المعتزلةُ عن الحقِّ فقد افترقتْ عشرينَ فرقةً كلُّ فِرقةٍ منها تكفِّرُ سائرَها» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ١٨). وقال الحافظ ابن عساكر: «زعمتِ القَدَرِيَّةُ أنَّ اللهَ تعالى يخلقُ الخيرَ وأنَّ الشيطانَ يخلقُ الشرَّ،=

يُوجِدهُ[1]، وقالت بذلك جماعةُ عبدِ الهادِي الباني تلميذِ أمين شَيْخو الدِّمشقي[2]، وتبعهم على هذا محمَّد راتب النابلسيّ[3].

قال رحمه الله: (وعَلِمَ ما هُم عامِلُون قَبْلَ أنْ يخلُقَهُم).

الشَّرْحُ: اللَّهُ تعالى عالِمٌ قبلَ أن يخلُقَ الخَلْقَ ما هم عاملون بعدَ خلقِهِم من خيرٍ أو شرٍّ.

=وزعمُوا أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يشاءُ ما لا يكونُ ويكونُ ما لا يشاءُ خلافًا لما أجمعَ عليهِ المسلمونَ مِنْ أنَّ مَا شاءَ اللَّه كانَ وما لا يشاءُ لا يكونُ، ورَدًّا لقولِ اللَّه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة التكوير/ ءاية (٢٩)] فأخبر أنَّا لا نشاءُ شيئًا إلا وقد شاءَ أن نشاءَه ولقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [سورة البقرة/ ءاية (٢٥٣)] ولقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [سورة السجدة/ ءاية (١٣)] ولقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة البروج/ ءاية (١٦)] ولقوله مخبرًا عن شعيب أنه قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [سورة الأعراف/ ءاية (٨٩)] ولهذا سمَّاهم رسولُ اللَّه ﷺ مجوسَ هذه الأمة لأنَّهم دانوا بديانةِ المجوس وضاهَوا أقوالَهم وزعمُوا أن للخيرِ والشرِّ خالقين كما زعمتِ المجوسُ وأنَّه يكونُ من الشرِّ ما لا يشاءُ كما قالتِ المجوسُ ذلك» اهـ ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، (ص ١٥٦).

(١) اللالكائي، **شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة**، (٤/ ٧٧٥).

(٢) الهرري، **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، (ص ٢٥٤).

(٣) لمزيد معرفة بحال الرجل وضلالاته والرد عليها راجع «**الرد العلمي على ضلالات محمد راتب النابلسي**» للدكتور جميل حليم.

قال رحمه الله: (وأَمَرَهُم بطاعتِهِ ونَهاهُم عَنْ مَعْصِيَتِهِ).

الشّرْحُ: اللَّهُ تعالى أمرَ العبادَ بالطَّاعةِ ونهاهُم عن المعصيةِ تحقيقًا لمعنى الابتلاءِ، لأنَّ أوامرَ اللَّهِ تعالى ونواهيَه لابتلاءِ العبادِ واختبارِهم، لِيَظْهَرَ للخَلْقِ المطيعُ مِن العاصي على حَسَبِ ما سبقَ به علمُه، ويتحقَّقَ من الطَّائعين ما خُلِقُوا له من الطَّاعةِ والعبادةِ، ولِيَنْتَهُوا عمَّا نُهُوا عنه من المعاصي مضافًا إلى اختيارِهم وكسبِهِم، لا جبرًا كما ذهبت إليه الجبريَّةُ[1]، وعلى هذا المعنى قولُه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[2] أي لآمرَهُم بعبادتي وأنهاهُم عن معصيتي[3].

قال رحمه الله: (وكلُّ شيءٍ يَجْرِي بتَقْدِيرِه ومشيْئَتِهِ، ومَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لا مَشِيئةَ للعبادِ إلَّا ما شاءَ لهُم، فمَا شاءَ لَهُم كانَ وما لَمْ يشأْ لَمْ يَكُنْ).

مشيئةُ العبادِ تَابِعةٌ لِمَشِيئةِ اللَّهِ

الشّرْحُ: كلُّ شيءٍ مِنَ الكائناتِ يُوجَدُ بتقديرِ اللَّهِ تعالى، ومعنى

---

(١) الجبرية يزعمون أنَّ العبد لا فعلَ له بالمرَّة بل هو كالرِّيشة المعلَّقة بالهواءِ تأخذُها الرياح يمنةً ويسرةً، قال الزركشي: «الجبرية قالوا: لا قدرةَ للعبد أصلًا وهو باطلٌ لما نجده من أنفسنا من الاقتدار» اهـ الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٩٦١).

(٢) سورة الذاريات/ ءاية (٥٦).

(٣) وهذا التفسير منقولٌ عن سيدنا علي رضي اللَّه عنه. أبو القاسم الأصبهاني، **الحجةُ في بيان المحجة**، (٢/ ٣١).

التَّقديرِ تَدبيـرُ اللَّهِ الأشياءَ أي إيجادُها على وَجْهٍ مُطابِقٍ لعلْمِ اللَّهِ أي على حَسَبِ ما سَبَقَ في عِلْمِ اللَّهِ الأزلـيِّ ومَشِيئَتِهِ الأزليَّةِ فيُوجِدُهَا في الوقـتِ الـذي عَلِمَ أنَّها تَكـونُ فِيـهِ[1]. ويُقـالُ بعبـارةٍ أُخْـرَى: القَدَرُ هـو جَعْلُ كلِّ شيءٍ على ما هـو عليهِ، والتَّقديرُ هـو صفـةٌ للَّهِ أزليَّةٌ أبديَّةٌ، فلا مشيئةَ للعبـادِ في أنفُسِهم وأفعالِـهم إلَّا ما شاءَ اللَّهُ تعالى لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2] علَّق مشيئتَهم لما يصدرُ منهم بمشيئتِه تعالى فلا تُوجَدُ دونَها.

قال رحمه الله: (يَـهْدِي مَـنْ يَشـاءُ ويعصِـمُ ويُعافِـي فَضْلًا، ويُضِـلُّ مَـنْ يَشَـاءُ وَيَـخْذُلُ ويَبْـتَلِي عَدْلًا).

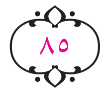
الشَّرْحُ: اللَّهُ تعالى يَهْدِي مَن يشاءُ من عبادِه إلى طاعتِه ويعصِمُهُ أي يحفظُه عن معاصِيه ويُعافِيهِ في دِينِه ونفسِهِ فضلًا منه تعالى، لا لأنَّه مُلزَمٌ بذلك، فاللَّهُ تعالى لا يجبُ عليه شيءٌ، ويُضِلُّ مَن يشاء من عبادِه ويَـخْذلُهُ أي يتـرُك حِفْظَهُ ونصرتَهُ ويَبتليه في نفسه ودينه عدلًا منه تعالى، لا ظُلمًا وجَوْرًا قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾[3].

---

(١) قال الزبيدي: «والقَدْرُ: تدبيرُ الأمرِ، يقال: قَدَرَهُ يَقْدِرُه، بالكسر أي دَبَّرَه» اهـ الزبيدي، **تاج العروس**، (١٣/ ٣٧٤).

(٢) سورة الإنسان/ ءاية (٣٠). قال النسفي في تفسير الآية: «وقيل: هو لعموم المشيئة في الطاعةِ والعصيان والكفر والإيمان فيكون حجةً لنا على المعتزلة» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٥٨٣).

(٣) سورة فصلت/ ءاية (٤٦).



ردُّ مقالةِ الـمعتـزلةِ

فَعُلم بذلك بطلانُ مذهب المعتزلةِ وهو قولهم إنَّه تعالى ملزَمٌ بما هو الأصلحُ للعبادِ[1]، لأنَّ الحقَّ له أن يتصرَّف فيهم كيف يشاء، لأنَّ العالَمَ مِلكُه وهو المالكُ الحقيقيُّ لهُ، فلَه أن يتصرَّفَ في مملوكِه كيفما يريد. وأمَّا مِلْكُنا نحنُ فإنَّه مِلكٌ مجازيٌّ، لأننا وما نملكُ ملكٌ للهِ تعالى فلا يجوزُ لنا أن نتصرَّفَ في ما ملَّكنا اللهُ إلَّا على وَفْقِ ما أذِنَ لنا فيهِ.

بعضُ أدلَّةِ أهلِ الحقِّ على أنَّ اللهَ هو خالقُ الهدايةِ والضَّلالِ

ومن أدلَّةِ أهلِ الحقِّ على أنَّ اللهَ هو الذي يخلقُ الاهتداءَ في مَنْ شاءَ له الاهتداءَ والضَّلالَ في من شاءَ له الضَّلالَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2] هذه الآيةُ نزلتْ في أبي طالبٍ[3]، وكان الرَّسولُ ﷺ دخلَ عليه في مرضِ وفاتِه

---

(١) قال الزركشي: «والمعتزلةُ أوجبُوا على اللهِ أمورًا منها: اللطفُ، وهو فعلُ ما يقرِّب العبدَ إلى الطاعةِ، ومنها: الثوابُ على الطاعة جزاءً للعملِ، ومنها: العقابُ على الكبائرِ قبل التوبةِ، ومنها: فعلُ الأصلح لعبادِه في الدنيا، قال أصحابُنا: ومن زعَم ذلك بطلَ قولُهُ بنفْسَينِ أماتَ أحدَهما مؤمنًا وأماتَ الآخرَ بالغًا كافرًا مع علمه أنه إن بلغَ كانَ كافرًا، أو نفْسينِ أماتَ أحدَهما مؤمنًا وأبقى الآخر سَنةً أخرى حتَّى كفرَ مع علمِه بأنَّه يكفرُ» اهـ الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٨٢٥).

(٢) سورة القصص/ ءاية (٥٦).

(٣) عن عليّ رضي الله عنه قال: «لَـمَّا ماتَ أبو طالب أتيتُ النَّبيَّ ﷺ، فقلتُ له: إنَّ عمَّك الشَّيخَ الضَّالَّ قد ماتَ، قال: **اذْهَبْ فَوَارِهِ** قلتُ: إنَّهُ ماتَ مُشْرِكًا،=



فعَرَضَ عليه الإسلامَ فأبى أن يقولَ لا إلـه إلا الله بل قال إنّي على مِلَّةِ عبد المطلب[1]، فمعنى الآيةِ إنَّك يا محمَّدُ لا تهدي من أَحببتَ الاهتداءَ له وهو عمُّه، لأنَّه كان يحبُّ له أن يهتديَ، وإن كان لا يحبُّ شَخصَهُ لِكُفْرِه، وإنَّما اللَّهُ تعالى يَهْدِي مَنْ شاء في الأزلِ له أن يَهْتَدِي، فالضَّميرُ في ﴿يَشَآءُ﴾ عائدٌ إلى اللهِ تعالى[2].

ومن الحُجَجِ الظاهرة أيضًا قولُه تعالى حكايةً عن سيدنا موسى عليه السلام مخاطبًا اللّهَ تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾[3] فالآية صريحةٌ في نسبةِ خلقِ الهُدى والضلالِ إلى الله، وبيانُ ذلك أن سيِّدَنا موسى عليه السلام لـمَّا ذهبَ إلى حيثُ أمره الله حصلَ في مدَّة غيبتِه من شخصٍ اسمه موسى السامري إضلالٌ لبعضِ أتباع سيدِنا موسى عليه السلام، فلمَّا رجعَ سيدُنا

=قال: اذْهَبْ فَوَارِهِ وَلا تُحدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي، فواريتُه ثُمَّ أتيتُه فقلتُ: قد واريتُه فأمرَني فاغتسلتُ» اهـ النسائي، **السنن الكبرى** (١/ ١٥٠). وهذا الاغتسال مسنونٌ وليس فرضًا. وفي روايةٍ «إن عمَّك الشيخَ الكافرَ قدْ ماتَ» اهـ ابن أبي شيبة، **المصنَّف**، (٣/ ٣٣).

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إلـه إلا الله، (٢/ ٩٥).

(٢) قال النسفي في تفسير الآية: «﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدرُ أن تُدخِلَ في الإسلامِ كلَّ من أحببتَ أن يَدْخُلَ فيه من قومِك وغيرِهم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يخلقُ الاهتداءَ فيمن يشاء» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٢/ ٦٤٩).

(٣) سورة الأعراف/ ءاية (١٥٥).



موسى اغتاظَ من ذلك اغتياظًا شديدًا ثُمَّ أوحى اللَّهُ إليه أنْ يختارَ من قومِه سبعينَ رجلًا فاختارَهم فاهتزَّتْ بهم الأرضُ فقال موسى متضرِّعًا إلى اللَّه ما أخبرَ اللَّه عنه بقوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾[1].

قال رحمه الله: (وكُلُّهم يَتَقَلَّبُونَ في مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وعَدْلِهِ).

الشّرْحُ: كلُّ الخلائق يتقلَّبُون في مشيئةِ اللَّه تعالى بين فضلِه إن هداهم وبين عَدْلِهِ إنْ أضلَّهم، ومعنى هدايةِ اللَّهِ خَلْقُهُ الاهتداءَ في قلبِ مَنْ شاءَ من عبادِه، ومعنى إضلالِه لِمَنْ أَضَلَّهُمْ من عبادِه خَلْقُهُ الضَّلالةَ في قلوبِهم، وهذا لا يكونُ إلَّا للَّهِ عزّ وجلّ.

قال رحمه الله: (وهوَ مُتَعالٍ عَنِ الأَضدادِ والأَندادِ).

معنى النِّدّ والضِّدّ

الشّرْحُ: اللَّهُ تعالى مرتَفِعٌ بالعظمةِ والكبرياءِ[2] لا بالمكانِ، وهو منزَّه عن الأندادِ والأضدادِ، والأندادُ جمعُ نِدٍّ وهو المِثلُ المنادُّ أي

(١) سورة الأعراف/ ءاية (١٥٥).

(٢) الكبرياء غايةُ العظمةِ. ينظر: المناوي، فيض القدير، (٤/ ٤٨٤).

المنازِعُ(١)، وأمَّا الأضدادُ فهو جمعُ ضِدٍّ وهو المنازِعُ والمغالِبُ(٢)، فاللَّه تعالى منزَّه عن أن يكونَ له مِثْلٌ، كما أنَّهُ منزَّهٌ عن أن يكونَ له مُغَالِبٌ، لأنَّ كلَّ شيءٍ في قبضتِه أي تصرُّفِه وتحتَ مشيئتِه سبحانَه كما قال في القرءان: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾(٣).

قال رحمه الله: (لا رادَّ لقَضائِه ولا مُعقِّبَ لِحُكْمِهِ ولا غَالِبَ لأَمرِهِ).

معنى القَضاءِ

الشَّرْحُ: أرادَ بالقضاءِ التَّكوينَ(٤)، فلا يقدِرُ أحدٌ على منعِ اللَّهِ تعالى من تكوينِ ما يكوِّنه، أو يكون القضاءُ بمعنى مشيئةِ اللَّهِ المتعلِّقة بالحادثات، وعليه فالمراد أنَّه لا يمنعُ نفاذَ مشيئتِه بإيجاد المحدَثات أحدٌ(٥).

---

(١) قال الفراهيدي: «النِّدُّ: ما كانَ مثلَ الشيءِ يُضادُّه في أموره. والنَّديد والنِّدُّ سَواءٌ، وجمع النِّدِّ أنْدادٌ» اهـ الفراهيدي، **العين**، (٨/ ١٠). وقال المناويُّ ما نصُّه: «الند: المقاوِمُ في صفةِ القيام والدوام. وقيلَ: نِدُّ الشيءِ مشاركُهُ في جوهرٍ، وذلك ضرب من المماثلةِ لأن المِثْلَ يقالُ في أي مشاركةٍ كانت، فكلُّ نِدٍّ مِثْلٌ ولا عكس» اهـ المناوي، **التوقيف على مهمَّات التعاريف**، (ص ٣٢٣).

(٢) الزبيدي، **تاج العروس**، (٨/ ٣١٠).

(٣) سورة يوسف/ ءاية (٢١).

(٤) الغزنوي، **شرح عقيدة الإمام الطحاوي**، (ص ٦٧). قال الرازي: «المرادُ من قضاءِ اللَّه التكوينُ والإيجادُ» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (١٠/ ١٢٩).

(٥) قال القرطبي: «قال علماؤنا: «قضى» لفظٌ مشتَرَكٌ يكون بمعنى الخلق قال اللَّه تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [سورة فصلت/ ءاية (١٢)] أي خلقهنَّ،=

معنى الـحُكْمِ

الـحُكْمُ إما تكـوينيٌّ وإمـا تكليفـيٌّ، فالتكوينـيُّ معنـاه إيجـادُ اللَّهِ المخلوقـاتِ على مـا شـاءَ في الأزل.

وأمَّا الحكمُ بمعنى الخطابِ التَّكليفيِّ فمعناه الحكمُ على الأشياء بالوجوبِ والإباحةِ والكراهةِ ونحوِ ذلكَ.

فقولُه: (ولا معقِّبَ لحكمِهِ) إما أن يكون معناه لا مؤخِّرَ لـحُكْمِهِ أي لحكمِه التَّكوينيِّ، فيكون المعنى أنَّه لا يستطيعُ أحدٌ أن يمنعَ نفاذَ إرادةِ اللَّه تعالى ووجودَ ما شاء اللَّه وجودَه.

وإمَّا أن يكونَ المرادُ الـحُكْمَ بمعنى الخطابِ التَّكليفيِّ، وعلى هذا يكونُ المعنى أنَّه لا أحدَ يقدِرُ على أن يجعلَ هذا الحكمَ باطلًا.

وقوله: (ولا غالبَ لأمرِهِ) معناهُ لا يغلِبُ أمرَ اللَّهِ غالبٌ. والأمرُ هنا بمعنى المفعولِ والمقدَّرِ الذي أرادَ اللَّه وجودَه لا بمعنى الكلامِ.

=ويكون بمعنى الإعلام قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الإسراء/ ءاية (٤)] أي أعلمنا، ويكون بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء/ ءاية (٢٣)]، ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام ومنه سمي الحاكم قاضيًا، ويكون بمعنى توفيةِ الحقِّ قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [سورة القصص/ ءاية (٢٩)]، ويكون بمعنى الإرادةِ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة غافر/ ءاية (٦٨)] أي إذا أراد خلق شيء» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (٢/ ٨٨).
وأما قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة غافر/ ءاية (٦٨)] فهو عبارةٌ عن سرعةِ الإيجادِ. أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، (١/ ٥٨٥).

قال رحمه الله: (ءامَنَّا بذلكَ كُلِّهِ وأيقنَّا أَنَّ كُلًّا مِن عِنْدِهِ).

الشَّرْحُ: صدَّقْنا تصديقًا جازمًا، وأيقنَّا إيقانًا لا تردُّدَ فيه أنَّ كلًّا من عند اللَّهِ أي الخيرَ والشَّرَّ بخلق اللَّه وبتقديره وقضائِه ومشيئتِه، وفي هذا بيانُ أنَّ اللَّه تعالى هو خالقُ الخيرِ والشَّرِّ بإرادته وقضائِه، فمَنْ خالفَ هذا فقد ردَّ قولَ اللَّه تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[1].

قال رحمه الله: (وإنَّ محمَّدًا ﷺ عبدُهُ المُصْطَفَى ونَبِيُّهُ المُجْتَبَى ورَسُولُهُ المُرْتَضَى).

معنَى المُصطَفَى والمُجْتَبَى والمُرْتَضى

الشَّرْحُ: المصطفى والمجْتَبى معناهما واحد، وكذلك المرتضى معناه قريبٌ منهما، ولكنَّ المصطفى والمجتبى فيهما زيادةُ مدحٍ على المرتَضَى. قال القونوي: «الاصطفاء والاجتباء والارتضاء متقارب في المعنى والكلُّ بمعنى الاختيار»[2] اهـ

الفرقُ بينَ النبيِّ والرَّسولِ

وأمَّا الفرق بين النَّبيِّ والرَّسولِ فقد قال فيه القُونويُّ ما نصُّه: «الفرقُ بين النَّبِيِّ والرَّسولِ أنَّ الرَّسول مَنْ بعثَهُ اللَّهُ تعالى إلى قوم وأمَرَهُ بِحُكْمٍ لَمْ يكنْ ذلك الحُكْمُ في شرعِ الرَّسول الذي كان قبله، والنَّبِيُّ مَنْ لم يأمره بحُكْمٍ جديدٍ بل أمرَه بأنْ يدعوَ النَّاسَ

---

(١) سورة فاطر/ ءاية (٣). قال القرطبي: «هل من خالق إلا اللَّه، بمعنى ما خالق إلا اللَّه» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (١٤/ ٣٢١).

(٢) القونوي، **القلائد في شرح العقائد**، (ص ١٦٩).

إلى شرعِ الرَّسولِ الذي كان قبله»[1] اهـ كما أنَّ الرَّسولَ يعمُّ البشر والمَلَكَ بخلافِ النَّبيّ.

وما شاعَ في بعضِ التَّآليفِ كتفسيرِ الجَلالَينِ[2] وبعضِ كُتُبِ المتأخِّرين مِن أنَّ النَّبيَّ هو الذي أُوحِيَ إليه بشرعٍ ولم يُؤمَرْ بتبليغه وأنَّ الرَّسول مَن أُوحِيَ إليه بشرعٍ وأُمِرَ بتبليغه فغيرُ صحيحٍ، لأنَّه لا معنى للنَّبيّ إلَّا أن يكونَ مأمورًا بالتَّبليغ لأنَّ النَّبيَّ لا يُنبَّأُ لنفسه فقط فليُتَنبَّه، ويدلُّ عليه قولُ الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢﴾[3] فجمَعَ بينهما في الإرسالِ وفرَّقَ بينهما في التَّسمِيَةِ، ومعنى تَمنَّى تَلَا[4] وهذا يدل على التبليغ.

ثم إرسال الرُّسُل ليس واجبًا على الله تعالى[5]، بل الله تبارك وتعالى متكرِّمٌ بذلك، ولو لم يرسل لَمْ يكنْ ذلك ظُلْمًا من اللهِ تعالى.

وإذا ادَّعى واحدٌ الرِّسالةَ في زمان جوازِها وهُو قبلَ مبعثِ النَّبيِّ

---

(١) القونوي، **القلائد في شرح العقائد**، (ص ١٧٠). وينظر: البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، (٤/ ٥٧). البياضي، **إشارات المرام من عبارات الإمام**، (ص ٣١١، ٣٣٣). المناوي، **فيض القدير**، (١/ ٩).

(٢) السيوطي والمحلي، **تفسير الجلالين**، (ص ٤٤١).

(٣) سورة الحج/ ءاية (٥٢).

(٤) التستري، **تفسير التستري**، (ص ١٠٨).

(٥) القشيري، **تفسير القشيري**، (٣/ ٦٣٤).

ﷺ لا يجب قبولُه بدون معجزةٍ، والمرادُ ما يُظهِرُ عَجْزَ الخَلْقِ عن معارضته.

التحذيرُ مِمَّا يُفتَرَى على النبيِّ ﷺ في قِصَّةِ الغَرانيقِ

تنبيه: اعلم أنّه لا يصحُّ ما يذكره بعضُ المفسِّرين في قصَّةِ الغرانيقِ من أنّ الرسول كان يقرأُ من سورةِ النَّجم بمجلس من قريش فألقى الشّيطان على لسانِه كلماتٍ كفريةً في مدح آلهةِ المشركينَ ففرحَ المشركون، فجاء جبريل وقال له: هذا ليس من القرءانِ، فحزن رسولُ الله، وأنزل اللهُ الآيةَ التي في سورة الحجِّ تسلية له، ونحو ذلك من الافتراءاتِ التي لا تليق بمنصبِ النبوة. فهذه الرّواية غيرُ صحيحةٍ، وحصولُ قراءةِ شيءٍ غيرِ القرءان على ظنِّ أنه قرءان مستحيلٌ على الرَّسول، فهو معصومٌ من ذلك.

وقد ردَّ عددٌ من العلماء هذه القصة فقد قال الفخر الرّازيّ في تفسيرِه عند كلامه على بطلانِ هذه القصّة مختصرًا: «أمَّا أهل التّحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعةٌ»[1] اهـ

وقال القاضي عياض: «فقد قامت الحجّةُ وأجمعت الأمّةُ على عصمتِه ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرَّذيلة إما من تمنّيه أن ينزلَ عليه مثلُ هذا من مدحِ آلهةٍ غيرِ الله وهو كفرٌ، أو أن يتسوَّر عليه الشيطانُ ويشبِّهَ عليه القرآن حتى يجعلَ فيه ما ليس منه ويعتقدَ سيّدنا النّبيّ ﷺ أنَّ من القرآن ما ليس منه حتى ينبِّهَه جبريلُ عليه السّلام، وذلك كلُّه ممتنعٌ في حقِّه ﷺ أو يقولَ ذلك سيّدنا

---

(١) الرازي، تفسير الرازي، (٢٣/ ٢٣٧).

النّبيّ ﷺ من قبلِ نفسه عمدًا أو سهوًا، وهو معصومٌ من هذا كلّه، وقد قررنا بالبراهينِ والإجماعِ عصمتَه ﷺ من جريانِ الكفر على قلبه أو لسانِه لا عمدًا ولا سهوًا، أو أن يتَشَبَّه عليه ما يلقِيه الملَكُ ممّا يلقي الشّيطانُ، أو يكونَ للشّيطانِ عليه سبيلٌ أو أن يتقوَّل على الله لا عمدًا ولا سهوًا ما لم ينزل عليه»(١) اهـ

تعريفُ المعجزةِ

والمعجزةُ اصطلاحًا هي أمرٌ إلـٰهيّ خارق للعادة، في دار التَّكليف، لإظهارِ صِدقِ مُدَّعِي النُّبُوَّةِ، مع عَجْزِ مَن ينازعُه عن معارضتِه بمثل ذلك الأمرِ الإلـٰهيّ(٢). وظهورُ النَّاقضِ للعادة على يد الوليّ جائزٌ عندنا كرامةً له.

تعدادُ بعضِ معجزاتِ النَّبِيّ ﷺ

ثُمَّ إنَّ نبيَّنا محمَّدَ بنَ عبد الله بنِ عبد المطّلب رسولُ الله ﷺ، لأنَّه ادّعى النُّبوَّةَ، وهو معلومٌ بالتَّواتُر، وظهرَتِ المعجزاتُ على يديْهِ كانشقاقِ القمرليلةَ البدر(٣)، وانجذابِ الشَّجرِ إليه مِرارًا(٤)،

---

(١) القاضي عياض، **الشفا**، (٢/ ١٢٦). وراجع كتابنا: «**قصص لا تليق بالأنبياء**».

(٢) القونوي، **القلائد في شرح العقائد**، (ص ١٧٤).

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريَهم النبيُّ ﷺ ءاية فأراهم انشقاق القمر، (٤/ ٢٠٦).

(٤) البيهقي، **دلائل النبوة**، (٦/ ٨).

وتسليمِ الحجرِ عليه [١]، ونبعِ الماءِ من بَيْنِ أصابعِه[٢]، وحنينِ الجذعِ إليه حين انتقلَ إلى المنبرِ[٣]، وكان يستندُ إليه عندما يخطب فالتزمه نبيُّ اللهِ ﷺ حتَّى سَكَنَ، وسَقْيِهِ الكثيرَ من النَّاسِ القليلَ من الماءِ حتَّى كفاهُم[٤].

ومن معجزاته ﷺ أيضًا القرءانُ، وهو أظهرُها وأقواها، وهو من أعجبِ الآياتِ وأبينِ الدِّلالاتِ، إذْ هو ءايةٌ حِسِّيَّةٌ عقليَّةٌ باقيةٌ إلى يومِ القيامة، منتشِرٌ في الأطراف مبثوثٌ في الآفاقِ، بخلافِ غيرِه من المعجزاتِ، فإنها تختَصُّ بزمانٍ أو مكانٍ، باينَ نظمُه العجيبُ وجوهَ النَّظمِ، وتحدَّى به جميعَ الأنامِ وقرعَهُم بالإفحامِ، فلم يَتَصَدَّ للإتيانِ بما يوازيه أو يدانِيهِ واحدٌ من مصاقعِ[٥] الخُطباء، ولم ينهضْ بمقدارِ أقصرِ سورةٍ منه ناهِضٌ مِن فُحولِ الشُّعراءِ البُلغاءِ، مع كثرتهم، فدلَّ عجزُهم على أنَّه كان معجزةً مِن اللهِ تعالى لتصديقِ نبيِّه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبيّ ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، (٤/ ١٧٨٢).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٤/ ١٩٢).

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٤/ ١٩٥).

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٤/ ١٩٣).

(٥) المِصْقَعُ البَليغُ. الزبيدي، **تاج العروس**، (٦/ ٥٢).

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: «ما أَعطى اللهُ نَبِيًّا معجزةً إِلَّا وَأَعطى محمَّدًا مِثْلَها أو أعظمَ منها»[١] اهـ

قال رحمه الله: (وإنَّهُ خاتَمُ الأَنبياءِ).

الشَّرْحُ: الدَّليلُ على ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢]، وقوله ﷺ: «**وأنا العَاقِبُ الذي ليسَ بَعْدَه نَبِيٌّ**»[٣]، ومخالفةُ القاديانيَّةِ[٤] أتباعِ غلامِ أحمدَ القاديانيِّ الذي ادَّعى النُّبوَّة

---

(١) ابن أبي حاتم، **آداب الشَّافعي ومناقبه**، (ص٦٢). البيهقي، **الاعتقاد**، (ص٢٧١). البيهقي، **دلائل النبوة**، (٦/ ٦٨). أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء**، (٩/ ١١٦). المقريزي، **إمتاع الأسماع**، (٥/ ٥٣).

(٢) سورة الأحزاب/ ءاية (٤٠). قال النسفي: «﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بفتح التاء عاصمٌ بمعنى الطابع أي ءاخرهم يعني لا يُنَبَّأُ أحدٌ بعده، وعيسى ممن نُبِّئ قبله وحين ينزل ينزلُ عاملًا على شريعةِ محمدٍ ﷺ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٣٤). وقال القرطبي: «وقرأ الجمهور بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم، أي جاء آخرَهم. وقيل: الخاتَم والخاتِم لغتان، مثل طابَع وطابِع، ودانَق ودانِق، وطابَق من اللحم وطابِق» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (١٤/ ١٩٦).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، (٤/ ١٨٢٨).

(٤) القاديانيةُ أتباعُ غلامِ أحمدَ القادياني، وهو رجلٌ ظهر منذ نحوِ مائةٍ وعشرين سنةً من بلدةِ قاديان (شمال الهند)، ادَّعى النبوَّةَ وتبعَه على دعواه طائفةٌ يُسمَّونَ بالقاديانية أو الأحمديَّة ويَدَّعُون الانتسابَ للإسلام، ولهم مقالاتٌ شاذَّةٌ مخالِفةٌ لما عليه المسلمون منها قولُ زعيمهم في رسالةٍ سماها «**تحفةَ الندوة**»: «أنا نبيٌّ ظلِّيٌّ يجب على كل مسلم أن يؤمنَ بأني المسيحُ الموعود» اهـ ومنها ادعاؤُه أنه أفضل من كلِّ الأنبياءِ كما ثبتَ ذلك عنه في كتابه المسمى «**الملفوظاتِ الأحمدية**»، وكان=

بقولهم بنبوَّة غلامِ أحمدَ كُفرٌ، وهم يتأوَّلونَ الخاتَمَ في الآية بمعنى الزِّينة وهذا تحريفٌ للآيةِ، ويدَّعُونَ أَنَّ معنى الحديث «**لا نَبِيَّ بعدِي**»[1] لا نَبِيَّ ءاخَرَ معي أي في حال حياتي وهذا تحريفٌ للحديث، فإنَّه يعني أنَّ محمَّدًا ﷺ ءاخِرُ النَّبِيِّينَ فلا يأتي بعده نَبِيٌّ إلى يومِ القيامةِ.

قال رحمه الله: (**وإمامُ الأتْقِياءِ**).

الشَّرْحُ: سيِّدنا محمَّدٌ ﷺ أفضل البشر ويكونُ مُقَدَّمَ الأتقياءِ في الآخرةِ، حيث إنَّ كلَّ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام فمن دونَهم تحتَ لوائِه يومَ القيامةِ[2]. وكلُّ مَن أدَّى الواجباتِ كلَّها واجتنب المحرمات كلَّها فهو تقيٌّ.

قال رحمه الله: (**وسَيِّدُ المُرْسَلِينَ**).

الشَّرْحُ: أي أفضلُهم، ويدلُّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

=يحرِّمُ جهادَ الإنكليز ويقول بوجوب طاعتهم، وغيرِ ذلك من المقالاتِ الشاذَّةِ عما أطبق عليه المسلمون. ينظر: الهرري، **جامع الخيرات**، (٢/ ١٦٥-١٧٠). وينظر: «**رسالة الرد على القاديانية**» للشيخ عبد الله الهرري. وكتاب: «**القاديانية المؤامرة الدنيَّة والعقيدة الكفريَّة**» للدكتور جميل حليم.

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (٤/ ١٦٩).

(٢) قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا سَيِّدُ وَلَدِ ءادمَ يومَ القِيامةِ ولا فَخْرَ، وبيَدِي لِواءُ الحمدِ ولا فَخْرَ، وما مِنْ نَبِيّ يومئذٍ ءادمُ فَمَنْ سِواهُ إلا تَحتَ لوائِي**». الترمذي، **سنن الترمذي**، كتابُ أبواب تفسير القرءان، باب ومن سورة بني إسرائيل، (٥/ ٣٠٨).

أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[1]، فلمَّا كانت أمَّتُهُ خيرَ الأممِ كانَ هو أفضلَ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، كما يدلُّ عليه قولُه ﷺ: «**أنا سَيِّدُ النَّاسِ يومَ القِيامةِ**» اهـ رواهُ البخاريُّ[2] وغيرُه، وهذا يدلُّ على جوازِ قولِ سيِّدنا قبلَ ذكرِ اسمِ النَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ في الصلاةِ وخارجها.

قال رحمه الله: **(وحَبِيْبُ رَبِّ العالَمِينَ).**

الشَّرْحُ: أي محبوبُ ربِّ العالَمينَ، وذلك للأخبارِ الثَّابتةِ في ذلك،

---

(١) سورة ءال عمران/ ءاية (١١٠). قال الرازيّ: «أمَّةُ محمدٍ ﷺ أفضلُ الأمم، فوجَب أن يكونَ محمدٌ أفضلَ الأنبياء، بيانُ الأولِ قولُه تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [سورة ءال عمران/ ءاية (١١٠)]، بيانُ الثاني أن هذه الأُمَّة إنَّما نالت هذه الفضيلةَ لمتابعةِ محمدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة ءال عمران/ ءاية (٣١)] وفضيلةُ التابعِ توجبُ فضيلةَ المتبوعِ» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (٦/ ٥٢٣).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [سورة الإسراء/ ءاية (٣)]، (٦/ ٨٤). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، (١/ ١٨٤). قال النووي: «قوله ﷺ: «**أنا سيِّدُ النَّاسِ يومَ القِيامَةِ**» إنَّما قالَ هذا ﷺ تحدُّثًا بنعمةِ اللَّه تعالى، وقد أَمرَه اللَّه تعالى بهذا ونصيحةً لنا بتعريفِنا حقَّه ﷺ، قال القاضي عياضٌ: قيل: السيِّدُ الذي يفوقُ قومَه والذي يُفزَعُ إليه في الشدائدِ، والنبيّ ﷺ سيِّدُهم في الدنيا والآخرة، وإنَّما خُصَّ يومُ القيامة لارتفاعِ السؤدُدِ فيها، وتسليم جميعِهم له، ولكونِ ءادمَ وجميعِ أولادِه تحت لوائِه ﷺ» اهـ النووي، **شرح مسلم**، (٣/ ٦٦).

ومنها قولـه ﷺ: «وَأَنَـا حَبِيْبُ اللهِ ولا فَخْرَ». رواه التِّـرمذيّ[١].

قال رحمه الله: (وكلُّ دَعْوَى نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوّتِهِ فَـغَيٌّ[٢] وهَوًى).

الشَّرْحُ: مَـن ادَّعَـى النُّبـوَّةَ بعـده ﷺ فهـو مكـذِّبٌ للنُّصـوصِ القرءانيَّـةِ والحديثيَّـةِ ولإجماع الأُمَّـةِ[٣]، فتكـونُ تلك الدَّعْوَى باطلةً وضلالًا وخيبـةً لا عـن دليـلٍ، وإنَّمـا بسـببِ هَـوَى نفـسٍ أي ميـلٍ نَفْسـانيٍّ مذمـومٍ، لأنَّ الـهَوَى عبـارةٌ عـنْ شـهوةِ النَّفـس ومَيْلِهـا إلى البـاطـل[٤]، كما في قولـه تعـالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠﴾[٥].

قال رحمه الله: (وهُـو الـمَبْعُوثُ إلى عامَّـةِ الجِـنِّ وَكافَّـةِ الـوَرَى بالحقِّ والـهُدَى وبالنُّـورِ والضِّيـاءِ).

الشَّرْحُ: النبيُّ ﷺ مبعـوثٌ إلى عامَّـةِ الجِنِّ كما أنَّهُ مبعوثٌ إلى كافَّـةِ الإنـسِ، لقولـه تعـالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب المناقب، (٥/ ٥٨٧).

(٢) قال الجوهري: «الغيُّ: الضلالُ والخيبةُ أيضًا» اهـ الجوهري، **الصحاح**، (٦/ ٢٤٥٠).

(٣) أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٣٣٢).

(٤) الملا عليّ القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، (١/ ٢٥٥).

(٥) سورة النازعات/ ءاية (٤٠). قال القرطبي: «﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠﴾ أي زجَرها عن المعاصي والمحارم» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (١٩/ ٢٠٨).

﴿مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾[1] وفي هذا دليلٌ ظاهرٌ على أنَّه كان مبعوثًا إلى الجنِّ أيضًا.

وقد اتَّفقَ أهلُ الحقّ -أي أجمعوا- على أنَّ الجنَّ مُكَلَّفُونَ[2] وإن لَمْ يكن لهم نبيٌّ من أنفسِهم، فالنُّبوَّةُ في ذكورِ البشرِ وليستْ في الجنِّ ولا الملائكةِ.

قال رحمه الله: (وإنَّ القُرءانَ كلامُ اللهِ مِنهُ بَدا[3] بلا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وأَنْزَلَهُ على رَسُولِه وَحْيًا، وصَدَّقَه المُؤْمِنُونَ على ذلك حَقًّا، وأيْقَنُوا أنَّهُ كلامُ اللهِ تعالى بالحَقِيْقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلامِ البَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعهُ فَزَعَمَ أنَّه كلامُ البَشَرِ فقَدْ كَفَرَ، وقَدْ ذمَّه اللهُ وعابَهُ وأَوْعَدَهُ بسَقَرَ حيثُ قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾[4] فلمَّا أَوْعَدَ اللهُ بسَقَرَ لِمَنْ قالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾[5] عَلِمْنا وأَيْقَنَّا أنَّه قولُ خالِقِ البَشَرِ ولا يُشْبِهُ قولَ البَشَرِ).

---

(١) سورة الأحقاف/ ءاية (٢٩-٣٢).

(٢) قال الرازي: «وأطبق المحققون على أن الجنَّ مكلَّفُون» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (٢٨/ ٢٨).

(٣) أي أظهره إنزالًا على نبيّه محمدٍ ﷺ من غير أن يكونَ اللهُ تلفّظ بهذه الألفاظ المنزَلَة.

(٤) سورة المدثر/ ءاية (٢٦).

(٥) سورة المدثر/ ءاية (٢٥).

صفةُ الكلامِ للهِ تعالى

الشَّرْحُ: الكلامُ في هذه المسألةِ يحتاجُ إلى بسطٍ لكثرةِ الاختلافِ فيها، حتَّى إنَّ هذا العلمَ عِلْمَ العقيدة سُمّي بعلمِ الكلامِ لأنَّ أكثرَ ما تكلَّم المتكلِّمون فيه هذهِ المسألة، فقولُ المؤلِّفِ: (وإنَّ القرءانَ كلامُ اللهِ منه بَدَا بلا كيفيَّةٍ قولًا) معناهُ أنَّ القُرْءَانَ مِن اللهِ بَدَا أَي ظَهَرَ، أي أظهرَهُ اللهُ تعالى إنزالًا على نبيّه ﷺ مِن غير أن يكونَ اللهُ تعالى تلفَّظ بهذه الألفاظِ المنزَلَةِ، فليس المرادُ من كلمةِ: (بدا) أنَّه خرجَ من اللهِ تلفُّظًا كما يخرجُ كلامُ أحدِنا من لسانِه تلفُّظًا بعد أنْ كان ساكتًا كما تقولُ المشبِّهةُ والعياذُ باللهِ، بدليلِ قولِه: (بلا كيفيَّةٍ) أي مِنْ غيرِ أنْ يكونَ كلامُهُ الذَّاتيُّ حرفًا ولا صوتًا، ومِنْ غيرِ أنْ يَسبِقَ بعضُه بعضًا ويتأخَّرَ بعضُهُ عن بعضٍ، لأنَّ كلًّا من الحرفِ والصَّوتِ والسَّبْقِ والتَّأخُّرِ كيفيَّةٌ من الكيفيَّاتِ، واللهُ منزَّه عن الكيفيَّةِ.

القرءانُ له إطلاقانِ

فقولُنا القرءانُ كلامُ اللهِ له وجهانِ، أَي يُطلَقُ على وجْهَيْنِ أي معنيين:

أحدُهما: الكلامُ الذَّاتيُّ الذي هو منزَّهٌ عن الكيفيَّةِ أي الهيئةِ كالحرفِ والصَّوتِ واللِّسانِ والشَّفتينِ واللُّغاتِ.

والثاني: اللَّفظُ المنزَّلُ الذي هو عبارةٌ عن الكلامِ الذَّاتيِّ الذي هو صفةُ اللهِ تعالى، ويدلُّ على هذا الوجه الثَّاني قولُه تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾[1] حيثُ أضافَه إلى جبريلَ، وجبريلُ حادثٌ، فلو كان القرءانُ يرادُ به حيث ذُكِرَ كلامُ اللهِ الذَّاتيّ لَمْ يُضِفْهُ اللهُ تبارك وتعالى إلى جبريلَ الذي هو المرادُ بالرَّسولِ الكريم، لكنْ لَمَّا كانَ يَصِحُّ إطلاقُ القرءانِ على الوجهين جازَ ذلك.

وتقريبُ ذلك أنَّنا إذا كتبنا على لوحٍ أو جدارٍ «اللَّهَ» فقيل: «هَذَا اللَّهُ» فهل معنى هذا أنَّ أشكالَ الحروفِ المرسومة هي ذاتُ اللهِ؟ حاشا للهِ، لا يتوهّم هذا عاقلٌ، إنَّما يُفهم من ذلك أنَّ هذه الحروفَ عبارةٌ عن الإلٰه الذي هو موجودٌ أزليٌّ أبديٌّ خالِقٌ لكلِّ شيءٍ، وكذلك إذا قلنا «نعبدُ اللَّهَ» فذلك الذَّاتُ الذي لا يشبِه الذَّواتِ هو المقصودُ، فالقرءانُ بمعنى اللَّفظِ المنزَّلِ عبارةٌ عن كلامِ اللهِ الذي هُو صفتُه وليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً لا عربيَّةً ولا غيرَها، ولذا فإنَّه لَمَّا عُبِّر عن كلامِ اللهِ الذَّاتيِّ بحروف عَرَبيَّة كانت العبارات قرءانًا، ولمَّا كان ذلك بالعبرانيَّة كانت العباراتُ توراةً وزبُورًا، ولمَّا كان ذلك بالسُّريانيَّةِ كانت العبارات إنجيلًا. فالاختلافُ في العباراتِ دُونَ المُعَبَّر عنه لأنَّ كلام اللهِ يستحيلُ عليه التَّغيُّر والتَّعدُّد كما يستحيلُ ذلك على جميعِ صفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

فقول المؤلِّف: **(منه بَدَا بلا كيفيَّةٍ قَولًا)** يُحتاجُ لفهمه على الوجهِ الصَّحيحِ إلى معرفةِ الفرقِ بينَ الوجهينِ، فإنَّ المشبِّهة لَمَّا

(١) سورة الحاقة/ ءاية (٤٠). قال الطبري: «وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ يقولُ تعالى ذكره: إنَّ هذا القرءان لتنزيل رسول كريم؛ يعني: جبريل، نزَّله على محمد بن عبد الله» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (٢٤/ ٢٥٨).



لم يعرفُوا ذلك مَرُّوا على هذه العبارة فأساؤوا فَهْمَها، وظَنُّوا أنَّ المؤلفَ أي الإمامَ الطَّحاويَّ رحمه اللَّهُ على عقيدتِهم وحاشاه أن يكونَ مشبِّهًا مجسِّمًا، فقولُه: **(منه بَدَا)** أفهمَ إثباتَ اللَّفظِ المنزَّلِ، أي أنَّه أنزلَه وليس بمعنى أنَّه ظهرَ منه كما يظهرُ من أحدِنا إذا تكلَّم بكلامِه الذي يحدثُ ثُمَّ ينقَضي، وقولُهُ: **(بلا كيفيَّة قولًا)** إثباتٌ للكلامِ الذَّاتيِّ الذي تَنَزَّه عن الكيفيّةِ، أي تنزّه عن الصَّوتِ والحرفِ والاقترانِ بالزَّمنِ بأن يُبتدأَ في وقتٍ ثُمَّ ينقضيَ في وقتٍ، فعبارةُ المؤلِّف دقيقةٌ لا يفهَمُها على وجهِها إلا من فتحَ اللَّهُ تعالى قلبَه لفهمِ الحقِّ على ما هو عليهِ.

بيانُ معنى كلمةِ القرءانِ

والقرءان لفظ مشترك، فتارةً يُطلق على كلام الله عزَّ وجلَّ الذي هو صفته، والذي ليس لغةً ولا حرفًا ولا صوتًا[1] ولا له ابتداءٌ أو انتهاءٌ، ولا حادثًا على التَّعاقب، ولا يتقطَّعُ، ولا يُشبِهُ كلامَ البشر.

وتارةً يُطلَقُ على القراءةِ التي هي مخلوقة كما في قول الله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾[2] أي القراءة في صلاة الفجر[3].

وتارةً يُطلق على المصحف دون القراءة، كما في قول النَّبيِّ

---

(١) الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٦٨٠).

(٢) سورة الإسراء/ ءاية (٧٨).

(٣) الطبري، **تفسير الطبري**، (١٧/ ٥٢٠).

ﷺ: «**لا تُسافِرُوا بالقُرءانِ إلى أرضِ العَدُوّ**»[1]، نهى عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفّار صيانةً له من الاستخفاف به ولَمْ يُرِدْ به النَّهيَ عن القراءة[2].

وقولُهُ: **(وأيْقَنُوا أنَّه كلامُ اللهِ تعالى بالحَقِيقَةِ)** معناه أنَّ إطلاقَ القرءانِ على كلامِ اللهِ الذَّاتيِّ حقيقةٌ، وكذلك إطلاقُه على اللَّفظِ المُنَزَّل حقيقةٌ، فإطلاقُ القرءانِ على الكلامِ الذَّاتيِّ حقيقةٌ لغويّة وحقيقةٌ شرعيَّةٌ، وإطلاقُه على اللَّفظِ المنزَّلِ حقيقةٌ شرعيَّة[3]، وليسَ أيٌّ من الإطلاقين مجازًا.

فإذا ذُكِر لفظُ القرءانِ مع قرينةٍ تدلُّ على الحدوثِ نحو أن يُقال قرأتُ جزءًا من القرءانِ أو نصفَ القرءان أو ثلثَه أو ربُعَه يُحمَلُ

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، (٨/ ٢٦٥).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «"**لا تُسَافِرُوا بالقُرءانِ إلى أَرْضِ العَدُوّ**" كراهيةَ أن ينالَه العدوُّ وليس المرادُ ما في الصدورِ بل ما في الصُّحُف» اهـ العسقلاني، **فتح الباري**، (١٣/ ٤٩٣).

(٣) الحقيقةُ إمَّا لُغَويَّةٌ وهي استعمال اللفظ في معناهُ الذي وُضِعَ له عند أهل اللغةِ والذي يتبادَرُ إلى الذِّهنِ بإطلاقه كلفظ الأسد في الحيوانِ المفترِس. وإمَّا حقيقةٌ شرعيَّةٌ وهي استعمال اللفظ في المعنى الذي اصطلحَ عليه حَمَلةُ الشرعِ بحيثُ إذا أُطلِقَ هذا اللفظُ يتبادَرُ منهُ هذا المعنى كلفظ الصَّلاةِ في العبادةِ المخصوصةِ. وإمَّا حقيقةٌ عُرفيَّةٌ وهي استعمال اللفظ في معناه الذي وُضِعَ له في عرفِ النَّاس وعاداتِهم مثالُ ذلك كلمةُ الدَّابة في الأصل معناها كلُّ ما يَدِبُّ على وجهِ الأرض من إنسانٍ وبهائمَ وحشراتٍ وغيرِ ذلك، ثُمَّ الناسُ خصُّوها بالحمارِ وشبهِه من ذواتِ الأربعِ، وإطلاقُ القرءانِ على اللفظِ المنزَّلِ حقيقةٌ شرعيَّةٌ فليُعلَمْ ذلك.

على القراءة والمصحف. وإذا ذُكِرَ مُطْلَقًا يحمَلُ على الصِّفَةِ الأزليَّة القائمةِ بالذَّات أي الثابتة له.

فهذا كما إذا قال الرَّجُل (اللَّه) مطلقًا عن القيدِ فإنَّه يُفهم من إطلاقه الذَّاتُ المقدَّسُ جلَّ جلالُه، وإذا قرنَهُ بقرينة تدلُّ على الحدوثِ نحو أن يقول كتبتُ (اللَّه) أو (تلفَّظتُ اللَّه) يحمَلُ على هذهِ الحروفِ المنقوشَةِ والمقطَّعةِ ومنْ ذلك حديثُ: «**ما أَذِنَ اللَّهُ لِشَىءٍ كَأَذَنِهِ لنَبِيٍّ حَسَنِ التَّرَنُّم يتَغَنَّى بالقُرءَانِ**»[(١)].

وتبَيَّنَ مِمَّا تقدَّمَ امتِناعُ أن يُقال القرءان مخلوقٌ على الإطلاق لما في ذلك من إيهام مخلوقيَّةِ الكلامِ الذَّاتيِّ[(٢)].

---

(١) البيهقي، **السنن الكبرى**، باب تحسين الصوت بالقرءان والذكر، (١٠/ ٣٨٦). قال القاضي عياض: «تقول العرب: أَذِنْتُ للشىء ءاذَنُ له أَذَنًا –بفتح الهمزة والذال– استمعت، قال الإمام: أذِنَ في اللغةِ بمعنى استمعَ، فأمَّا الاستماعُ الذي هو الإصغاءُ فلا يجوزُ على اللَّه سبحانَه، فهو مجاز هـٰهنا، فكأنَّه عبَّر عن تقريبِه للقارئِ وإجزالِ ثوابه بالاستماعِ والقبولِ، وكذلك سماع البارئ سبحانه للأشياء لا يختلفُ [فهو سماع واحد]، وإنما المراد هـٰهنا أنه يقرّب الحَسَنَ القراءةِ أكثرَ من تقريبِ غيرِه، والتفاضلُ في التقريبِ وزيادةِ الأجورِ يختلِفُ، فتعبيرُه عن ذلك بما يؤدِّي [إلى] التفاضُلِ في الاستماعِ مجازٌ» اهـ القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (٣/ ١٥٧).

(٢) قال الملا علي القاري: «وقد قال بعضُ المحقِّقِين من الشافعية: فإنْ قلتَ: هل يجوزُ أن يُقالَ القرءانُ مخلوقٌ مرادًا به اللفظيّ، فالجواب: لا، لما فيه من الإيهامِ المؤدي إلى الكفرِ، وإن كان المعنى صحيحًا بهذا الاعتبار، كما أنَّ الجبارَ في أصلِ اللغةِ النَّخلةُ الطويلةُ، ويمتنعُ أن يُقال الجبارُ مخلوقٌ مرادًا به النخلة للإيهام» اهـ=





افتراقُ النَّاسِ في مسألةِ كلامِ اللهِ

ثمَّ إنَّ النَّاسَ في كلامِ اللهِ تعالى ثلاثُ فرقٍ:

الفرقةُ الأُولَى أهلُ السُّنَّةِ يقولون إنَّ كلامَه تعالى معنًى قائمٌ بذاتِه تعالى أي ثابت له، قديمٌ منزَّهٌ عن الحرفِ والصَّوتِ، وما يأتينا من الحروفِ والأصواتِ الدَّالَّةِ عليه على لسانِ الرُّسُلِ حادثٌ، ولكن نَتَجَنَّبُ أن نُطلِقَ القولَ بأنَّ كلامَهُ تعالى حادثٌ ولو بقصدِ اللَّفظِ المنزَّلِ إلَّا مع البيانِ لحاجةِ التَّعلُّمِ والتَّعليمِ أدَبًا مَنْعًا للإيهام كما تقدَّمَ، ونُطلِقُ قولَ إنَّ كلامَ اللهِ منزَّلٌ غيرُ مخلوق تأسِّيًا بالسَّلفِ الصَّالحِ، وحذَرًا من إيهامِ حدوثِ الكلامِ الذَّاتيّ أو إيهامِ نَفْيِ الكلامِ الأزليّ، وقولنا إنَّ كلام اللهِ منزَّل أي قد نُزِّل ما يدلُّ عليه، وقولُنا غير مخلوق يعودُ إلى كلامِ اللهِ الذاتيّ، وأما الذي بين أيدِينا فهو حروفٌ مخلوقةٌ وله ابتداءٌ وانتهاءٌ.

والفرقةُ الثَّانيةُ المعتزلةُ وهمْ لا يثبِتُون صفةَ الكلامِ وهذا تعطيلٌ وفيه خروجٌ من الملَّةِ والعياذُ باللهِ[1].

والفرقةُ الثالثةُ الحشْويَّةُ القائلون بأنَّه يتكلَّمُ بحرفٍ وصوتٍ قائمٍ بذاتِه، وهُم قسمان، قسمٌ يلتزمون حلولَ الحوادثِ بذاتهِ تعالى اللهُ عن قولهم وقائلُ هذا ليسَ بمسلمٍ، وشِرذِمَةٌ يقولون

=الملا علي القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، (٤/ ١٣٦٦).

(١) قال الزركشي: «وأمَّا المعتزلةُ فيطلقونَ اسمَ المتكَلّمِ على اللّهِ باعتبارِ قيامِه بغيرِه لا بذَاتِه وهو خَلْقُه الكلامَ في اللَّوحِ المحفوظِ أو في غيرِه، ولا يَعترِفونَ بالكلامِ النَّفْسِيّ» اهـ الزركشي، **تشنيف المسامع**، (١/ ٤١٢).

الحروفُ والأصواتُ قديمةٌ وهذا أيضًا لا يقوله مسلمٌ، وهؤلاء كأنَّهم لا يفهَمُون ما يقُولون، لأنَّا نعلم ضرورةً وحِسًّا بأنَّ الكافَ قبلَ النُّونِ وأنَّهما لا يجتمعان في زمنٍ واحدٍ، ويلزَمُهم ما لزمَ النَّصارى في اعتقادهم أنَّ صفةً من صفاتِ اللهِ القديمة وهي العلم وُجِدَتْ بالمسيحِ، فأثبتُوا قِدَمَهُ وحدوثَهُ في ءانٍ، نسألُ اللهَ العصمةَ من مسخِ القلوبِ.

الضَّعِيفُ لا يحتجُّ به في العقائدِ

أحاديثُ الصَّوتِ ليس فيها ما يُحتَجُّ به في العقائدِ، وقد ردّها الحافظُ أبو الحسن عليُّ بن أبي المكارم المقدسيُّ[١] بعدَ سردِها، وضعَّفها بعلَلٍ في جزءٍ خاصٍّ ألَّفَه لهذا الغرضِ[٢]، والحديثُ الذي جاءَ فيه ذِكْرُ الصَّوتِ في صحيحِ البخاريِّ مختَلَفٌ في قُوَّةِ بعضِ رُواته، وهو عبدُ الله بنُ محمَّدِ بنِ عقيل، وأورده البخاريُّ بصيغةِ التَّمريض فقالَ (ويُذْكَرُ)، فلا يكونُ مِنَ الأحاديث التي يُحكمُ

---

(١) شرفُ الدين أبُو الحسن عليُّ بنُ الأنجب أبي المكارمِ المفضلِ بن علي اللخميّ المقدسيّ الإسكندريّ، الحافظُ الفقيه كان من أكابرِ حفاظِ الحديثِ وعلومِه، أخذَ عن والدِه وسمعَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ عتيق القرطبيَّ وأبا طاهر أحمدَ بن محمَّد السِّلَفِيّ وأبا الطيب عبد المنعم بن الخلوف القرطبي وغيرَهم وعنهُ أخذَ أبو عمر وعثمانُ بن سفيان التميمي التونسي، له تآليف، مولده سنة (٥٤٤هـ) وتوفي في شعبان سنة (٦١١هـ). محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، (١/ ٢٣٩).

(٢) ينظر: ابن المعلم القرشي، **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، (ص ٤٨٧، ٤٨٨).

بصحَّتِها لِـمَجِيئها فيـهِ[١].

تنبيه في أنَّ اللفظَ المنزَّلَ ليس من تأليفِ ملَكٍ ولا بشرٍ

ثـمَّ إنَّ اللَّفـظَ المنـزَّل على سيِّدنا محمَّـدٍ ﷺ لم يَتَصَـرَّف فيه جبريلُ عليـه السَّلام ولا سـيِّدُنا محمَّـدٌ ﷺ، قـالَ الغزنـويُّ[٢] في «**شرحِ الطحاويَّـة**»: «ليـس للنَّبـيِّ ولا للمَلَـكِ فيهـا أيْ في الكُتُـبِ المنزَّلـةِ تصـرُّفٌ في النَّظـمِ ولا في المـعنى»[٣] اهـ

ومـن زعـمَ أنَّ القـرءانَ الكريـمَ مـن نظـم جبريـلَ عليـه السَّلام أو مـن نظـم سـيِّدِنا محمَّـدٍ ﷺ فقـد كفـرَ، وأمَّـا قـولُ اللّٰه تعـالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾[٤] يـعني جبريـلَ، فالمـرادُ بـه أنَّ القـراءةَ كانـت فِعلَ

---

(١) قال العراقي في شرح ألفيته: «إذا أردتَ نقلَ حديثٍ ضعيفٍ، أو ما يُشكُّ في صحتِه وضعفِه بغيرِ إسنادٍ فلا تذكرْهُ بصيغةِ الجزم، كقالَ وفعلَ، ونحوِ ذلك. وائتِ به بصيغةِ التمريضِ، كيُرْوى، ورُوي، وورِدَ، وجاءَ، وبلغنا، وروى بعضُهم، ونحوِ ذلك. أمّا إذا نقلتَ حديثًا صحيحًا بغيرِ إسنادٍ فاذكرْهُ بصيغةِ الجزم، كقال، ونحوِها» اهـ العراقي، **شرح التبصرة والتذكرة**، (١/ ٣٢٤، ٣٢٥).

(٢) سراجُ الدين أبُو حفصٍ، عمرُ بن إسحاقَ بنِ أحمد الغزنويُّ الهنديُّ الحنفيُّ القاضي، المتوفَّى بالقاهرةِ سنةَ (٧٧٣هـ)، وكانَ قدومُه إلى القاهرةِ قبلَ الأربعين، وكانَ مستحضرًا لفروعِ مذهبِه، صنَّفَ التصانيفَ المبسوطةَ. عبد القادر القرشي، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، (المقدمة ص ٢٦، ٢٧).

(٣) ينظر: الغزنوي، **شرح عقيدة الإمام الطحاوي**، (ص ١١١، ١١٢).

(٤) سورة الحاقة/ ءاية (٤٠).

جبريلَ عليه السَّلام، وأنَّه تلفَّظَ بالعباراتِ المنزلة لتبليغِها إلى سيِّدِنا محمَّدٍ ﷺ، لا أنَّه نظمَها وألَّفَ بعضَها إلى بعضٍ.

هذا حكمُ اللَّفظِ المنزَّل، وأما الكلامُ المعبَّرُ عنه بهذا اللَّفظِ فهو صفةُ اللّهِ الذَّاتيَّةُ التي لا يجوزُ عقلًا ولا نقلًا أن تشبِهَ صفاتِ البَشَر.

قال رحمه الله: (وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ).

الشَّرْحُ: ليُعلَمْ أنَّ صفاتِ البشرِ كثيرةٌ معلومةٌ وهي نحوُ الأربعين كالجلوسِ والتَّحيُّزِ في مكانٍ والاتِّصالِ والانفصالِ والجوعِ والعطشِ واللَّونِ والطَّعمِ والرَّائحةِ والحركةِ والسُّكونِ والمرضِ والعجزِ والجهلِ والتَّغيُّرِ والحدوثِ والموتِ والنَّومِ والتَّعبِ ونحوِها، وبعضُها صفاتٌ لغيرِ البشرِ من ذَوِي الأرواح، وبعضُها تشترِكُ فيها الجماداتُ من أرضٍ وسماءٍ وأشجارٍ وشمسٍ وقمرٍ وغيرِ ذلك، فَمَن وصفَ اللّهَ تعالى بوصفٍ من أوصافِ البشرِ وهي كلُّها مخلوقةٌ فقدْ كَفَرَ، لإثباتِهِ المماثلةَ بينَه تعالى وبينَ خلقِه.

الدليلُ النقليُّ والعقليُّ على تنزيهِ اللّهِ عن مشابهةِ الخَلقِ

ومشابهةُ اللّهِ لخلقِهِ ومماثلتُه لهم منفيَّةٌ بالنَّصِّ وهُو قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1]، ومَنْفِيَّةٌ أيضًا بالقضيَّةِ العقليَّةِ، وهي أنَّه لو كان متَّصفًا بصفةٍ من أوصافِ البشرِ لكان يجوزُ عليه ما يجوزُ على البشرِ من حدوثٍ وفناءٍ وتَطَوُّرٍ أي تَنَقُّلٍ وتقلُّبٍ مِن حالٍ إلى حالٍ، وتغيُّرٍ من حالةِ القُوَّةِ إلى الضَّعفِ أو من صفةِ الحياةِ إلى

(١) سورة الشورى/ ءاية (١١).

الموتِ، ومن جازَ عليه ذلك فلا يصلحُ أن يكونَ مُكَوِّنًا أي خالِقًا للحادثاتِ التي تختَلِفُ عليها الصفاتُ والأحوالُ.

الرَّدُّ على شُبهَةِ المُجَسِّمةِ في أنَّهم لَمْ يجدُوا في الشَّاهِدِ حيًّا قادرًا عالمًا فاعلًا إلا جسمًا

وتعلَّقَ المجسِّمةُ بأنَّهم لَمْ يجدُوا في الشاهِدِ حيًّا قادرًا عالمًا فاعلًا إلا جسمًا، قالوا فيُوصف تعالى بأنَّه جسم. وتعلُّقُهم هذا باطلٌ.

فالجواب أن يقالَ لهم إنَّكم لَمْ تجدُوا في الشاهِدِ حيًّا قادرًا عالمًا فاعلًا إلا ما هو لحمٌ ودمٌ مُتَنَاهٍ من الجهاتِ الستِّ محلٌّ قابلٌ للآفاتِ وللموتِ، أفتَشْتَرِطُون هذا في الحقِّ تعالى، فإنْ قالوا نعمْ فقد أظهرُوا الانسلاخَ من الدينِ، وإن قالوا لا أَبْطَلُوا كلامهم، وهكذا شأنُ الباطلِ يتعلَّقُ أهلُهُ بشُبُهَاتٍ تتلاشَى وتضمَحِلُّ عند السَّبْرِ[1] والتأمُّل.

فثَبت بالأدلةِ القاطعةِ أنَّ الله تعالى ليس بعَرَض ولا جَوْهَرٍ ولا جِسْمٍ وأنَّه لا مشابهةَ بينَه وبين شيءٍ مِنَ المحدثاتِ.

قالَ علاءُ الدين البخاريُّ في كتابهِ «**ملجمة المجسِّمةِ**»: «ومَنْ قالَ بأنَّ اللَّهَ جسمٌ فهُو كافرٌ[2] إجماعًا ولهذا قالَ إمامُ الحرمينِ في

(١) قال الفيروزأبادي: «السبر امتحانُ غورِ الجُرْحِ وغيرِه» اهـ الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، (ص ٤٠٤).

(٢) راجع كتابنا: «**الله ليس جسمًا**».

الإرشادِ: إثباتُ الجهةِ للهِ كفرٌ صراحٌ»[١] اهـ

تعريفُ المُمَاثَلَةِ

وأمَّا حدُّ المُمَاثَلَةِ فقالتِ الأشعريَّةُ إنَّ المِثْلَيْنِ هما غَيْرَانِ يَسُدُّ كلُّ واحدٍ منهما مسدَّ صاحبِه[٢]. وإنَّما قُلنا (غيران) لأنَّ الشّيءَ لا يشبِهُ نفسَه ولا يماثِلُه فدلَّ أنَّ ذلك بين المُتَغَايِرِينِ، وإنَّما يَسُدُّ كلُّ واحدٍ منهما مسدَّ صاحبِه في وجهٍ من الوجوهِ، وقد يذكرونَ المماثَلَة بين شيئينِ لا يسدُّ أحدُهما مسدَّ الآخرِ، بل يوجَدُ بينهما مشابهةٌ في بعضِ الأوصافِ[٣]، وذلك لأنَّ المُماثَلَةَ في اللغةِ هِيَ المشابهةُ[٤].

فالمماثلةُ إمَّا أن تكونَ من جميعِ الوجوهِ وهي المرادة عند الإطلاق، وإمَّا من بعضِ الوجوهِ وهي المرادةُ ببعضِ العباراتِ، وهي أن يقال: فلانٌ مثلُ فلانٍ إذا أريد به أنَّه يماثلُه في بعضِ الوجوهِ، وهذه مماثَلَةٌ جزئيَّةٌ، وقد يقال إنَّه مثلُه بمعنى أنَّه يسدُّ مسدَّهُ، وهذه مماثلةٌ مطلقةٌ، وهذا بالنسبة للمخلوقِ. أمَّا بالنسبة للخالقِ فلا يقال اللهُ يماثِلُ كذا في كذا.

أمّا الاتفاقُ باللفظِ فليس ذلك مماثلةً، فليس من المماثلةِ أنْ

---

(١) علاء الدين البخاري، **ملجمة المجسمة**، ضمن «**معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول**» للدكتور جميل حليم، (٥/ ١٩٤٦).

(٢) الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ص ١٥٨).

(٣) الفيومي، **المصباح المنير**، (١/ ٣٠٣).

(٤) الفيومي، **المصباح المنير**، (٢/ ٥٦٤).

يقالَ عن اللَّه حيٌّ وعن المخلوقِ حيٌّ، أو عن اللَّهِ موجودٌ وعن فلانٍ موجودٌ، فاللَّه تعالى وجودُه ليس كوجودِنا الحادثِ، وجودُه بذاته لا يحتاجُ إلى شيءٍ، وكلُّ شيءٍ يحتاج إليه، فالمثليَّة المنفيَّة عن اللَّهِ المثليَّةُ في المعنى، فبطلَ قولُ الفلاسفةِ إنَّه لا يقال عن اللَّه حيٌّ ولا دائمٌ ولا قادرٌ ولا سميعٌ ولا بصيرٌ ولا متكلِّمٌ، وإن زعم بعضُهم أنَّ هذا يقتضي المماثلة لأن هذا ليس مماثلةً بل اتفاق في اللفظ لا في المعنى فلا يقتضي المماثلةَ والمشاركةَ.

قال الغزنويُّ ناقلًا عن «**التبصِرةِ**» لأبي المعين النسفي: «المماثلةُ اسمُ جنسٍ يشمل أنواعًا أربعةً: المشابهة والمضاهاة والمشاكلة والمساواة. والمماثلةُ بجميع أنواعِها منتفيةٌ عن اللَّه تعالى؛ لأن المثلينِ هما اللذان يسدُّ أحدُهما مسدَّ الآخرِ ويقوم مقامَ صاحبه، ويَصْلُحُ لما صلح له المثلُ الآخرُ، وما سواه (أي ما سوى اللَّه تعالى) لا يسدُّ مسدَّه لكونه مقهورًا تحت قهره»[(١)] اهـ وفي الإرشاد: «فالمثلانِ كلُّ موجودَينِ سَدَّ أحدُهما مسدَّ الآخرِ»[(٢)] اهـ

قال رحمه الله: **(فَمَنْ أَبْصَرَ هذا اعتبَرَ وعَنْ مِثْلِ قَولِ الكُفَّارِ انْزَجَرَ وعَلِمَ أنَّه بصِفَاتِه لَيْسَ كالبَشَرِ).**

الشَّرْحُ: هذا بيانٌ لقولِه: **(ومن وصفَ اللَّهَ بمعنًى من معانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ)**، فقولُه: **(اعتبَرَ)** أي اعتبرَ بالكفارِ القائلين بالمُماثَلَةِ المستحقِّين لِسَقرَ وهو اسمٌ من أسماءِ جهنَّم، ليَكُفَّ عن مثلِ ذلك

---

(١) الغزنوي، شرح عقيدة الإمام الطحاوي، (ص ٥١).

(٢) الجويني، الإرشاد، (ص ٥٤).




القـولِ، فيلزمُـه مـا لزِمَهُـم مـن العـذابِ، ولِيَعـرفَ أنَّـه يجـبُ أن يعلـمَ ويتيقَّـنَ أنَّ اللَّهَ تعـالى بصفاتِه ليسَ كالبشـرِ بصفاتِهـم، لأنَّ صفاتِهِ تعالى قديمـةٌ وصفاتِهـم مُـحْدَثَةٌ مخلوقـةٌ، ولا مشـابهةَ بين القديـمِ والحادثِ[١]، إذِ القديـمُ مـا لا ابتـداءَ لوجـودِه، والحادثُ مـا لوجـودِه ابتـداءٌ.

وقولـه: (أبصـر) أرادَ بـه بصـرَ القلـبِ لا بصـرَ العينِ، كما في قولِـه تعـالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾[٢] أي يـا أصحابَ القلوبِ والعقولِ.

اللَّهُ لا يتَّصفُ بالهيئةِ والحجْمِ والصُّورةِ والكَمِّيَّةِ والكَيْفِيَّةِ

ولأنَّ اللَّهَ تعـالى لا يشـبِهُ الـخَلْقَ فإنَّـه لا يتّصِـفُ سـبحانَه بالهيئـةِ والحجـمِ والصُّـورةِ، وعبَّـرَ بعـضُ أهـلِ السُّـنَّةِ عـن ذلـك بقولهـم إنَّ اللَّهَ تعـالى مُنَـزَّهٌ عـن الكمِّيَّـةِ والكيفيَّـةِ، كما ذكـرَه شـارح القامـوسِ[٣]

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «قال الجنيدُ فيما حكاه أبو القاسم القشيريُّ: التوحيدُ إفرادُ القديم من المحدَث. وقال أبو القاسم التميميُّ في كتاب **الحجة**: التوحيدُ مصدَرُ وحَّد يوحِّدُ ومعنى وحَّدتُ اللَّه اعتقدته منفردًا بذاته وصفاتِه لا نظيرَ له ولا شبيهَ. وقيل: معنى وحَّدتُهُ علمتُهُ واحدًا. وقيل: سلبْتُ عنهُ الكيفيَّةَ والكمّيَّةَ، فهو واحدٌ في ذاته لا انقسامَ له، وفي صفاته لا شبيهَ له، وفي إلـٰهيته ومُلكه وتدبيره لا شريكَ له ولا ربَّ سواه ولا خالقَ غيرُه» اهـ العسقلاني، **فتح الباري**، (١٣/ ٣٤٤).

(٢) سورة الحشر/ ءاية (٢). قال الطبري: «وقوله: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾ يقول تعالى ذكره: فاتَّعظوا يا معشرَ ذوي الأفهام» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (٢٢/ ٥٠٣).

(٣) الزبيدي، **تاج العروس**، (٣١/ ١٧٤).



في تفسيرِ الـهَيُولى[1]، والكميَّـةُ معناهـا الحجـمُ، أمَّـا الكيفيَّـةُ فهـي الصفـاتُ التي تقـومُ بالجِـرم أي بالحجـمِ.

فهُـو تعـالى منـزَّهٌ عـن كلِّ ذلـك، فـإنَّ الكيفيَّـةَ إذا أُضيفَـتْ إلى اللَّهِ تعـالى بهـذا المـعنى كانَ ذلـك تشـبيهًا لـه بخلقِـه.

ولكـن قَـدْ تُسـتعمَلُ الكيفيَّـةُ قلـيلًا مـرادًا بهـا الحقيقـةُ، فليـس في ذلـك تشـبيهٌ، كبيـتِ شعـرٍ يذكـرُه ابـنُ الجـوزيِّ والـزركشيُّ وغيـرُهُما مِن أهلِ السـنَّةِ، ورُبَّما نُسِـبَ إلى سيدِنا علـيٍّ رضي اللَّه عنه [البسيط]:

كيفِيَّـةُ الـمَرءِ ليـسَ المـرءُ يُدرِكُهـا
فكيـفَ كيفيـةُ الـجَبَّارِ في القِـدَمِ[2]

فقولُـه: (فكيـفَ كيفيَّـةُ الجبـارِ في القِـدمِ) معنـاهُ فكيـفَ حقيقـةُ الجبـارِ. ولـو قِيـل:

كَيْفيَّـةُ المـرءِ ليـسَ المـرءُ يُدْرِكُهـا
فكيـفَ يُـدْرِكُ كُنْـهَ الخالـقِ الأزَلي

لـكانَ أحسـنَ، فـإنَّ في التَّعبـيرِ بكيفيَّـةِ الجبَّـارِ بَشَـاعَةً. ومعنـاهُ أنَّ الإنسـانَ إذا كانَ لا يحيطُ عِلْمًـا بحقِيقَـةِ ذَاتِـهِ ومَـا فيـهِ، فكيفَ يُحيطُ

---

(١) قال الهرري: «ويعنون -أي الفلاسفةُ- بالـهَيُولى الشيءَ الذي لا كيفيَّةَ له ولا كَمِّيَّةَ، فيصفونَهَا بما لا يوصفُ به عندَ أهلِ الحقِّ إلا اللَّه» اهـ الهرري، **المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية**، (ص ٤٩).

(٢) ابن العماد، **شذرات الذهب**، (٤/ ٣٢). الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، (٢/ ١٩٧). أبو زرعة العراقي، **الغيث الهامع**، (ص ٧٣٠).

عِلْمًا بحقيقةِ الجبَّارِ الأزليِّ الذي لا يُشْبِهُ العالَمَ؟!

اللهُ ليسَ في جِهَةٍ

ولكلِّ مَا تقدَّمَ قالَ أهلُ الحقّ نَصَرَهُمُ اللهُ إنَّهُ سبحانَه وتعالى ليسَ في جهةٍ، وأمَّا رفعُ الأيدي والوجوهِ إلى السماءِ عندَ الدعاءِ فتعبُّدٌ محضٌ كالتوجُّه إلى الكعبةِ في الصَّلاةِ، فالسماءُ قِبلةُ الدعاءِ كالبيتِ أي الكعبةِ التي هي قِبلةُ الصلاةِ.

فإذَا قالَ قائلٌ: نفيُه عنِ الجهاتِ الستِّ إخبارٌ عن عدمه إذْ لا عدمَ أشدُّ تحقِيقًا من نفيِ المذكورِ عن الجهاتِ الستِّ.

قلنَا: النَّفْيُ عن الجهاتِ الستِّ إنَّما يكونُ إخبارًا عن عَدَمِ ما لو كانَ لكانَ في جهةٍ، لا نَفْي ما يستحيلُ عليهِ أن يكونَ في جهةٍ.

ثُمَّ من يُوصَفُ بالجهاتِ لا بدَّ أن يكون حجمًا، ومن زعم أن اللهَ محدودٌ فقدْ كذَّب: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1].

وكذا نقولُ إنَّه تعالى لا يتَّصفُ باللونِ والطعمِ والرائحةِ لأنَّها من أماراتِ الحَدَثِ أي علاماتِ كونِه مخلُوقًا.

قال رحمه الله: (والرُّؤيةُ حَقٌّ لأهلِ الجنَّةِ بغيرِ إحاطةٍ ولا كَيْفيَّة كمَا نطَقَ بهِ كِتَابُ ربّنا: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[2] وتَفْسيرُهُ على ما

---

(١) سورة الشورى/ ءاية (١١).

(٢) سورة القيامة/ ءاية (٢٢، ٢٣). قال النسفي في تفسير الآية: «﴿وُجُوهٞ﴾ هي وجوهُ المؤمنينَ ﴿يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ حسنةٌ ناعمةٌ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ بلا كيفيَّةٍ=

أرادَهُ اللّهُ تعالى وعَلِمَهُ. وكلُّ ما جاءَ في ذلك من الحديثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فهُو كما قالَ ومعناهُ على ما أرادَ، لا نَدْخُلُ في ذلكَ مُتأَوِّلِينَ بآرائِنا ولا مُتَوَهِّمِينَ بأهْوائِنا، فإنَّهُ ما سَلِمَ في دِينِهِ إلَّا مَن سَلَّمَ للّهِ عزَّ وجلَّ ولِرَسُولِه، وردَّ عِلْمَ ما اشْتَبَهَ عليهِ إلى عالِمِهِ).

المؤمِنونَ يَرَونَ اللّهَ في الآخرةِ واللّه بلا كيفٍ ولا مكانٍ

الشَّرْحُ: هذا الفصلُ هو في إثباتِ رؤيةِ اللّهِ في الآخرة، أي في أنَّ المؤمنين يرونَ اللّهَ في الآخرةِ، وأنَّ هذا حقٌّ يجبُ الإيمانُ به.

فالمؤمنون يرونَه تعالى بأبصارِهم من غيرِ إحاطةِ علمٍ بهِ عزّ وجلَّ، ومن غيرِ مسافةٍ بينَهم وبينَ اللّهِ عزّ وجلّ، لا كما يُرى المخلوقُ، لأنَّ الذي يكونُ بينَه وبينَك مسافةٌ يكونُ محدودًا أي له حجمٌ وكمّيَّةٌ، إمَّا أنْ يكونَ أعظمَ جِرْمًا أي حجمًا منك أو أصغرَ منك أو مثلَك، وهذا كلُّه لا يجوزُ على اللّهِ تعالى، فلذلك أهلُ السُّنَّةِ يثبتُون رؤيةَ اللّهِ تعالى في الآخرةِ من غيرِ تشبيهٍ ولا جهةٍ ولا مسافةٍ.

المخلوقُ إذا رأيتَه تراه في جهةِ أمامِك أو في جهةِ خلفِك أو في جهةِ يمينِك أو في جهةِ يسارِك أو في جهةِ فوقِك أو في جهةِ تحتِك أو في جميعِ الجهاتِ، كما إذا كنتَ ضمنَ غرفةٍ فإنها محيطةٌ بك، هذه رؤيةُ المخلوقِ كما نصّ على هذا الإمام أبُو منصورٍ الماتريديُّ[1] رضي اللّه عنه وغيرُه، أمَّا رؤيةُ اللّهِ فليست كما يُرَى المخلوقُ.

=ولا جِهةٍ ولا ثبوتِ مسافةٍ» اهـ النسفي، تفسير النسفي، (٣/ ٥٧٣).

(١) الماتريدي، التوحيد، (ص ٥٨).

ورؤيـةُ اللّهِ بالأبصـارِ للمؤمـنينَ في الآخـرةِ بعـدَ دخُولهـم الجنَّـةَ جائـزةٌ عـقلًا وثابتـةٌ سـمعًا، أي لا يمنعُهـا العقـلُ وأثبتَهـا القـرءانُ الكريـمُ والحديـثُ الشريـفُ الثابـتُ، ولذلـك قـال أهـلُ الحـقِّ نصرهُـم اللّهُ: إنَّ اللّهَ تعـالى يُـرَى في الآخـرةِ لا في مـكانٍ ولا باتصـالِ شُـعَاعٍ[1]، خلافًـا للمشـبِّهَةِ[2] الذيـن توهَّـمُوا الرؤيـةَ بمقابلـةٍ وجهـةٍ اتباعًـا لأهوائِهـم، وخلافًـا للمعتزلـة[3] والفلاسـفة[4] والخـوارجِ[5]

(١) الشهرستاني، **الملل والنحل**، (١/ ١٠٢).

(٢) قال أبو منصور البغدادي: «اعلمُوا أسعدَكُم اللّه أنَّ المشبِّهَةَ صنفانِ صنفٌ شبَّهُوا ذاتَ البارئِ بذاتِ غيرِه، وصنفٌ ءاخرون شبَّهُوا صفاتِه بصفاتِ غيرِه، وكلُّ صِنْفٍ من هذينِ الصِّنفَين مفترقُونَ على أصنافٍ شتَّى، والمشبّهةُ الذينَ ضَلُّوا فى تشبيهِ ذاتِه بغيرِه أصنافٌ مختلِفةٌ» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٢١٤).

(٣) قال أبو منصور البغدادي: «وأمَّا القَدَريَّة المُعتزلةُ عن الحق فقد افترقَتْ عشرين فرقةً كلُّ فِرْقَةٍ مِنْهَا تكفِّر سائرها» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ١٨). ومن مساوئِ فضائحِهم التي اتَّفَقُوا عليها نفيُهم صفاتِ اللّه تبارك وتعالى، وقولُهم إنَّ أعمالَ العبادِ مخلوقةٌ للعبادِ وليس اللّه خالقَها، وهاتان المسألتان مما أجمعَ المسلمُون على تكفيرهم بهما. ينظر: أبو المظفر الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ص ٦٠-٦٤).

(٤) الفلاسفةُ لهم ضلالاتٌ عديدةٌ خالفُوا فيها دليلَ العقلِ والنقلِ فكفَّرهُم المسلمونَ عليها، منها قولُهم بقِدَمِ العالمِ وأزليتِه، وقولُهم بإنكارِ علم اللّه بالجزئِيَّاتِ وقولُهم بإنكارِ بعثِ الأجسادِ. ينظر: الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، (ص ١٣٤).

(٥) قال أبو منصور البغدادي: «الخوارجُ عشرون فرقةً» ثم قال: «وقد اختلفُوا=

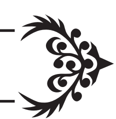
الذين ظنُّوا أنَّ العقلَ يُحيلُ رؤيةَ اللهِ[1][2]، فتركُوا الأخذَ بقولِه عزّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[3]، فإنَّه يُثبِتُ أنَّ اللهَ يُرَى في الآخرةِ، وعمَدُوا إلى ادعاءِ تأويلِ الآيةِ، فقالوا: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ أي نِعْمَةَ ربِّها، و﴿نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ أي منتظرةٌ، وهذا تحريفٌ للمعنى وخروجٌ عن الظاهرِ بلا دليلٍ ولا يُعدل إلى التأويلِ إلا بدليلٍ عقليٍّ قاطعٍ أو نقليٍّ

=فيما يَجْمَع الخوارجَ على افتراقِ مذاهبِها» ثم قال: «قالَ شيخُنا أبو الحسن الذي يَجمَعُها إكفارُ عليّ وعثمانَ وأصحابِ الجملِ والحَكَمَينِ ومن رضي بالتحكيم وصوَّبَ الحَكَمَينِ أو أحدَهما ووجوبُ الخروجِ على السلطانِ الجائرِ» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص٥٥).

(١) قال الزركشي: «واعلمْ أنَّ أهلَ السُّنَّةِ والمجسمةَ اتفقُوا على أن الله تعالى يُرى، والمعتزلةُ والمجسِّمةُ على أن شرطَ المرئيّ الجهة، ثم المعتزلةُ لما نفوا الجهةَ نفوا الرؤيةَ، والمجسمةُ لما أثبَتُوا الجهةَ أثبتوا الرؤية، والأشعريُّون تَوَسَّطُوا فأثبتُوا الرؤيةَ ونفَوا أنْ تكونَ الجهةُ شرطًا للمرئيات» اهـ الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٧١١).

(٢) قال النووي: «اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤيةَ الله تعالى ممكنة غيرُ مستحيلة عقلًا وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة وأنَّ المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرينَ وزعمت طائفةٌ من أهل البِدَعِ المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أنَّ الله تعالى لا يراه أحدٌ من خلقِه وأن رؤيتَه مستحيلةٌ عقلًا وهذا الذي قالوه خطأ صريحٌ وجهل قبيحٌ، وقد تظاهرت أدلَّةُ الكتاب والسنَّةِ وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلفِ الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين» اهـ النووي، **شرح مسلم**، (٣/ ١٥).

(٣) سورة القيامة/ ءاية (٢٢، ٢٣).

ثابتٍ، فضلًا عن أنَّ الجنَّة دارُ نعيمٍ وليستْ دارَ انتظارٍ[1]، فالانتظارُ يورِثُ التَّعبَ والجنَّةُ ما فيها تعبٌ.

الأدلَّةُ على إثباتِ رؤيةِ اللهِ تعالى

واستدلَّ أهلُ الحقِّ على قولِهم بوجوهٍ غيرِ ما تقدَّمَ، منها أنَّ سيدَنا موسى عليه السلامُ سألَ ربَّه تعالى الرؤيةَ كما في قولِ اللهِ تعالى إخبارًا عنه ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[2]، فلو كانتْ رؤيةُ اللهِ لا تجوزُ أي لو كانت مستحيلةً عقلًا أو شرعًا لم يسألْ موسى عليه السلامُ ربَّه تعالى أن يراه، لأنَّ سيدَنا موسى نبيٌّ رسولٌ فيستحيلُ عليه أن يجهلَ ما الذي يليقُ باللهِ وما الذي لا يليقُ باللهِ، وهو أعرفُ بالمستحيلاتِ العقليَّةِ.

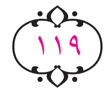
ومنها أنَّ اللهَ تعالى أخبرنا في القرءان بأنه تَجَلَّى[3] للجبل قال

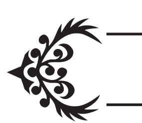
---

(١) قال النسفي: «وحملُ النَّظر على الانتظارِ لأمرِ ربها أو لثوابِه لا يصحُّ، لأنَّه يقالُ نظرتُ فيهِ أي تفكّرتُ ونظرتُه انتظرتُه، ولا يُعَدَّى بإلى إلا بمعنى الرؤيةِ، مع أنَّهُ لا يليق الانتظارُ في دارِ القرارِ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٥٧٣).

(٢) سورة الأعراف/ ءاية (١٤٣). قال النسفي: «﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ بقي على حاله ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ وهو دليلٌ لنا أيضًا لأنَّهُ علَّق الرؤية باستقرارِ الجبلِ وهو ممكنٌ، وتعليقُ الشيءِ بما هو ممكنٌ يدلُّ على إمكانِه» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (١/ ٦٠٢).

(٣) أي أرى الجبلَ نفسَه -أي ذاته-. ينظر: ابن فورك، **مشكل الحديث وبيانه**، (ص ٢٥٤).






تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾[1]، أي فلمَّا رأى الجبلُ اللهَ تعالى بلا كيفٍ ولا مكانٍ بأن جعلَ اللهُ تعالى فيه إدراكًا ومعرفةً فرأى اللهَ برؤيةٍ خلقَها اللهُ فيه انْدَكَّ، أي لم يتحمَّل وذلك من الخشيةِ فصار دكًّا، أي تحطَّمَ وصارَ كالأرضِ، فإذا كان الجبلُ الذي هو من الجماداتِ جازَ أن يَرَى اللهَ، فكيف لا يجوزُ أن يراهُ المؤمنون في الآخرةِ دارِ البقاءِ.

ثمَّ إنَّ الأحاديثَ التي وردَتْ في الرؤيةِ ثابتةٌ ورواتُها ثقاتٌ، وأسانيدُها صحيحةٌ مشهورةٌ، ومنها حديثُ الشيخين[2] وغيرِهما: «أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: **هَلْ تُمَارُونَ في القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**؟ قَالُوا: لا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **فَهَلْ تُمَارُونَ في الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**؟ قَالُوا: لا، قَالَ: **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**» أي مِن غيرِ شكٍّ هل الذي يرونَه هو اللهُ تعالى أو غيرُه، لأنهم يرونَ من ليس كمثلِهِ شىءٌ. وفي بعضِ الرواياتِ «**لا تُضَامُّونَ**»[3] اهـ أي ترونَهُ مِن دون تعبٍ ولا مشقّةٍ.

---

(١) سورة الأعراف/ ءاية (١٤٣).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب فضل السجود، (١/ ١٦٠). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١/ ١٦٣).

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، (١/ ١١٥). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، (١/ ٤٣٩).

وظاهرٌ أنَّه لا يعني أنَّه يُشبهُ القمرَ ليلةَ البدرِ[1]. فاللَّه عزّ وجلّ يراه المؤمنون يومَ القيامةِ بلا كيفٍ ولا هيئةٍ ولا صورةٍ ولا جهةٍ ولا مكانٍ، يرونَه لا كما يُرَى المخلوقُ، ولا يحصلُ لهم شكٌّ هل الذي رأوه هو اللَّهُ أم غيرُه لأنهم يرونَ الذي لا يشبِهُ شيئًا ولا يشبههُ شيءٌ.

حديثُ أتاني ربي في أحسنِ صورةٍ غيرُ ثابتٍ

وأمَّا الحديثُ الذي رواهُ الترمذيُّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أتاني رَبِّي في أحسنِ صورةٍ»[2] فقد قالَ الإمامُ الجليلُ الحافظُ الفقيهُ محمدُ بنُ نصرٍ المَرْوَزِيُّ رحمه اللَّه: «هذا حديثٌ قد اضطربتِ الرواةُ في إسنادِه على ما بيَّنا، وليس يَثْبُتُ إسنادُه عند أهلِ المعرفةِ بالحديثِ»[3] اهـ

معنى قولِ المؤلفِ: لا ندخلُ في ذلك متأوِّلين بآرائِنا

أي أنَّنا لا نتأوَّلُ الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ في الرؤيةِ بمجرَّدِ الرأيِ، مِن غير دليل عقليٍّ قطعيٍّ ولا سمعيٍّ ثابتٍ كما فعل المعتزلةُ فيها.

---

(١) قال النووي: ««**فإنَّكُم تَرَونَه كذلك**» معناهُ تشبيهُ الرؤيةِ بالرؤيةِ في الوضوحِ وزوالِ الشكِّ والمشقَّةِ والاختلافِ» اهـ النووي، **شرح مسلم**، (٣/ ١٨).

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرءان، باب ومن سورة ص، (٥/ ٣٦٦).

(٣) ابن نصرٍ المروزي، **قيام الليل**، (ص ١٨). قال البدر بن جماعة: «هذا حديث ضَعِيف جدًّا، قال الإمام أحمد: أصلُ هذا الحديثِ وطرقُه مضطربةٌ، وقال الدَّارقطنِيّ: كلُّ أسانيدِه مضطربة ليس فيها صحيحٌ، وقال البيهقيُّ: ورُوِيَ من أوجهٍ كلها ضَعِيفَة» اهـ ابن جماعة، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، (ص ٢٠٣).

ولا يعني رحمه اللَّهُ بذلك ردَّ تأويلِ أهلِ السُّنَّةِ لآياتٍ وأحاديث متشابهاتٍ في الصفاتِ تأويلًا تفصيليًّا، كتأويلهم استواءَ اللَّهِ على عرشِه بالقهرِ[1]، ولا يعني بذلك ردَّ التأويلِ الإجماليِّ كقولِ من قال في ءايَةِ الاستواءِ (اسْتَوَى بلا كيف)[2]، وفي حديثِ النزول[3]

---

(١) تأوَّلَ عددٌ من علماءِ أهلِ السُّنَّةِ استواءَ اللَّه على العرشِ بالقهرِ والاستيلاءِ، منهم: عبد اللَّه بنُ يحيي بن المبارك (ت٢٣٧هـ)، الطبري (ت٣١٠هـ)، الزجاج (ت٣١١هـ)، أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، الزجاجيّ (ت٣٤٠هـ)، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، الرازي الجصَّاص الحنفي (ت٣٧٠هـ)، السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، ابن فورك (ت٤٠٦هـ)، الجويني (ت٤٣٨هـ)، البيهقي (ت٤٥٨هـ)، وغيرُهم كثير. ينظر: كتاب: «**تفسير أولي النهى لقوله تعالى:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾» للدكتور سليم علوان.

(٢) الطبري، **تفسير الطبري**، (٣/ ٢٣٥). البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، (٣/ ١٦).

(٣) قال ابن فورك: «النُّزُول ينقسمُ إلى أقسام، وليسَ معناهُ يختَصُّ النُّزُولَ بالنُّقلةِ والتحويل فقط، بل معناهُ في غيرِ الحركةِ أكثرُ منه» ثم قال: «وذكرنا أنَّ ذلك يرجعُ تأويلُه إلى إظهارِ فِعْلٍ وتدبيرٍ في عبادِه يُسَمِّيه نُزولًا، وأنَّه يَحتَمِلُ أن يُقَال إنَّ معناه أنْ يُظْهِرَ رحمتَه لهم وإجابتَه لدُعائِهم وأنَّه من له أنْ لا يُجيبَ ولا يرحمَ، لأنَّ الإجابةَ منهُ فَضْلٌ وَتركَهَا منه عدلٌ، فإذا أجابهم فقد نزَلَ عمَّا له أن يفعلَ بهم من تركِ الإجابةِ إلى أنْ يفعلَ بهم ما يكونُ من فعلِه متفضّلًا، ويَحتَمل أيضًا أن يكون معناهُ نزُولَ ملائكَتِه بأَمْرِه فيضافَ إليه النُّزُولُ على معنى ما وَقَعَ بأمرِه كما يُقَالُ نزلَ الأميرُ بموضعِ كذا إذا نزلَ أصحابُه بأمرِه ونَفَذَ فيه حكمُه وسلطانُه» اهـ ابن فورك، **مشكل الحديث وبيانه**، (ص ٤٧٠-٤٧٢). وقال ابنُ بطالٍ: «لفظةُ النزولِ في اللغةِ مستعمَلَةٌ على معانٍ مختلفةٍ، فمنها النزولُ بمعنى=





=الانتقالِ والتحويلِ كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الفرقان/ ءاية (٤٨)]، ومنها النزولُ بمعنى الإعلام كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة الشعراء/ ءاية (١٩٣)]، أي أعلمَ به الروحُ الأَمينُ محمدًا ﷺ. ومنها النزولُ بمعنى القولِ في قوله تعالى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام/ ءاية (٩٣)]، أي سأقولُ مثلَ ما قالَ، ومنها النزولُ بمعنى الإقبالِ على الشىء، وذلك هو المستعملُ في كلامهم الجاري في عرفِهم، وهو أنَّهم يقولُون: نزلَ فلانٌ من مكارمِ الأخلاقِ إلى دَنِيِّها، أي أقبلَ إلى دَنِيِّها، ونزلَ قدرُ فلانٍ عندَ فلانٍ، أي انخفضَ. ومنها النزولُ بمعنى نزولِ الحُكْم، من ذلك قولهم: كُنَّا فى خيرٍ وعدلٍ حتى نزلَ بنا بنُو فلانٍ، أى حُكمُهم، وكلُّ ذلك متعارَفٌ عند أهلِ اللغةِ.

وإذا كانتْ هذه اللفظةُ مشتركةَ المعنى فينبغي حملُ ما وُصِفَ به الربُّ تعالى من النزولِ على ما يليق به من بعضِ هذه المعاني. إمَّا أن يرادَ به إقبالُه على أهلِ الأرضِ بالرحمةِ والتنبيهِ الذي يُلقى في قلوبِ أهلِ الخيرِ منهم، والزواجرِ التي تزعجُهم إلى الإقبالِ على الطاعةِ، ويحتملُ أنْ يكونَ ذلك فِعلًا يظهَرُ بأمرِهِ، فيضافُ إليه، كما يقال: ضربَ الأميرُ اللصَّ، ونادى الأميرُ في البلدِ، وإنما أمرَ بذلك، فيضافُ إليه الفعلُ على معنى أنَّه عن أمرِه ظهرَ، وإذا احتملَ ذلك في اللغة لم يُنْكَرْ أن يكونَ لله ملائكةٌ يأمرُهم بالنزولِ إلى السماءِ الدنيا بهذا النداءِ والدعاءِ، فيضاف إلى الله. وقد رُوي هذا التأويلُ في بعضِ طرقِ هذا الحديث، روى النسائيُّ قال: حدَّثنا إبراهيمُ ابنُ يعقوب، حدثنا عمرُ بنُ حفص بنِ غياث، حدثنا أبي عن الأعمش، حدثنا أبو إسحاق، حدثنا أبُو مسلم عن الأغرّ، قال: سمعتُ أبا هريرة، وأبا سعيد الخدريَّ يقولان: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله يُـمْهِلُ حتى يَـمْضِـيَ شطرُ الليلِ الأولِ، ثُمَّ يأمرُ مُنادِيًا يُنادِي يقولُ: هَلْ من داعٍ يُستَجَابُ له، هَلْ من مُسْتَغْفِـرٍ يغفرُ له، هل من سَائلٍ يُعْطَى**»» اهـ ابن بطَّال، **شرح صحيح البخاري**، (٣/ ١٣٦ – ١٣٨).

ولمزيد فائدة راجع: «**لباب النقول في تفسير حديث النزول**» للدكتور جميل حليم.

(نـزول بلا كيـف)[1].

فلا يصـحُّ حمـلُ عبـارةِ الإمـام الطحـاويّ رحمـه اللهُ هـذه على أنَّـه يَنْفِـي التأويـلَ الإجمـاليَّ أو التفصـيليَّ، لأنَّ عباراتِـهِ في عقيدتِـه هـذه صريحةٌ في نَفْيِ التَّحيُّـزِ في المكانِ عن اللهِ أو ما أشبه ذلك من لوازمِ الجسميَّةِ، وهـذا يستلزمُ سلوكَه مسلكَ التأويل، بـل هـو قد صرَّحَ بالتأويـلِ في مثل قولِه رحمه اللَّه: **(بِلا كَيْفِيَّةٍ)** فهـذا تأويلٌ إجمالـيٌّ.

فالتأويـلُ قسمانِ تأويـلٌ إجماليٌّ وهـو إخـراجُ النـصّ المتشابه عن ظاهـرِه بتنزيـهِ اللهِ عـن مشـابهةِ المخلوقـاتِ. وتأويـلٌ تفصيـليٌّ وهـو إخـراجُ النـصّ عن ظاهـرهِ مع تعيينِ معنى يوافـقُ الآياتِ المحكمةَ واللغـةَ.

فالسلامـةُ في الدينِ تكـونُ بالتسليمِ للهِ ولرسولِه ﷺ، أي باعتقـادِ أنَّ مـا جـاءَ في الشرعِ من أمورِ الدِّيـن فهـو على حسـبِ ما أرادَ اللَّهُ تعالى ورسـولُه ﷺ، وليـس مبنيًّا على الوهـمِ أو مجردِ الـرأيِ أو مـا جـرتْ بـه العـادةُ بين المخلوقـاتِ، وبرجـوعِ الشـخصِ في مـا اشـتبه عليـه فَهْمُـهُ إلى مَـنْ يَعْلَمُـهُ، وبالتَّفَصِّـي أي الابتعـادِ[2] عـن حَـمْلِ المَتَشَـابِهِ الموهِـمِ ظاهـرُه للتجسـيمِ ولصفـاتِ المخلوقـاتِ على هـذا المـعنى الظاهـرِ، واعتقـادِ أَنَّ لـه معنى يليـق بـاللَّه تعـالى، ثـمَّ اللجوءِ إلى العلماءِ الكُمَّـلِ الراسخين ليستفيدَ منهُـم التأويـلَ الصحيحَ والتفسيـرَ الصائـبَ.

---

(١) العيني، **عمدة القاري**، (٧/ ٢٠٠).

(٢) قال الزبيدي: «قال الجوهري: التَّفَصِّي التَّخَلُّص من المَضِيقِ أو البَلِيَّةِ» اهـ الزبيدي، **تاج العروس**، (٣٩/ ٢٣٨).

قال رحمه الله: (ولا تَثْبُتُ قَدَمٌ في الإسلامِ إلا على ظَهْرِ التَّسليمِ والاستسلامِ).

الشَّرْحُ: هذا التعبيرُ من بابِ المجازِ بالاستعارةِ، لأنَّ القَدَمَ الحسّيَّ هو ما يُوضَعُ على ظهرِ الشَّيءِ حقيقةً، والمرادُ بالاستسلام الانقيادُ لأوامرِ اللهِ ونواهيه، فالمعنى المقصودُ أنَّه لا يصحُّ الثباتُ على الإسلامِ إلا بالتسليمِ للهِ تعالى وعدمِ الاعتراضِ عليه، وعدمِ وَصْفِهِ بما لا يليقُ به، وعدمِ محاولةِ معرفةِ حقيقتِهِ تعالى[1] بتخيُّله وتوهُّمِهِ، مع تسليمِ الأمرِ المُشْتَبِهِ عِلْمُهُ إلى عالِمِهِ.

قال رحمه الله: (فَمَنْ رامَ عِلْمَ ما حُظِرَ عنهُ علمُهُ، ولَمْ يَقْنَعْ بالتَّسليمِ فهمُهُ، حَجَبَهُ مرامُه عَنْ خالِصِ التَّوحِيدِ وصافِي المَعْرِفَةِ وصَحِيحِ الإيمانِ).

الشَّرْحُ: هذه الجُمَلُ مقرِّرَةٌ لمضمونِ الكلامِ السابقِ، فَمَنْ رامَ أي طلبَ أنْ يعلمَ ما مُنع عنه علمُهُ، ولَمْ يقْنَعْ بتسليمِه إلى عالِمِهِ، بل سلكَ غيرَ الطريقِ المستقيمِ وأرادَ أنْ يصلَ إلى ما لا تحيطُ به عقولُ المخلوقِين، ولم يجعلِ اللهُ تعالى إليهِ سبيْلًا[2]، حجبَهُ مَرَامُهُ أي مطلوبُه عن خالصِ التوحيدِ، ومنعَه عن صافي المعرفةِ، أي التي

---

(١) حقيقةُ اللهِ لا يُشْبِهُ الحقائقَ، ومعرفةُ العبدِ باللهِ ليست على سبيلِ الإحاطةِ بل بمعرفةِ ما يجبُ للهِ وما يستحيلُ عليه وما يجوزُ في حقِّه.

(٢) وذلك كما قال سيدنا علي رضي الله عنه لـمَنْ سأله عن القَدَر: «سِرُّ اللهِ فلا تتكلف» اهـ البيهقي، مناقب الشافعي، (١/ ٤١٧). السيوطي، جمع الجوامع، (١٨/ ٤٥٦). أي إنَّ القَدَرَ بمعنى التقديرِ صفةٌ للهِ تعالى لا يمكنُ للمخلوق الوقوفُ على حقيقتِها فلا تحاولْ ذلك.

لا يشوبُها كَدَرٌ، فإنَّ خُلُوصَ التوحيدِ وصفاءَ المعرفةِ مشروطان بتسليمِ ذلك إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

قال رحمه الله: (فيتذَبْذَبُ[1] بَيْنَ الكُفْرِ والإيمانِ، والتَّصْدِيقِ والتَّكْذِيبِ).

الشَّرْحُ: مَنْ يُحاولُ الوصولَ إلى ما حُظِرَ عليه عِلْمُهُ ولم يُسَلِّمْهُ إلى عالِمِهِ يكونُ مُضْطَرِبًا، مؤمِنًا أي مصدِّقًا التصديق اللغويّ ببعضِ ما أتى به نبيُّ اللَّهِ عليه الصلاةُ والسلامُ وكافرًا ببعضٍ، والإيمانُ لا يكونُ مقبولًا إلا بالإيمانِ التامِّ الذي ليس فيه تجزئةٌ من حيثُ التصديقُ بكلِّ ما جاءَ به الرسولُ ﷺ، أمَّا أن يصدِّق ببعضٍ ويكذِّبَ ببعضٍ فلا يكونُ إيمانًا مقبولًا، وإنْ سُمّي ذلك إيمانًا جزئيًّا أي إيمانًا بجزءٍ من حيثُ اللغة[2].

قال رحمه الله: (والإقْرارِ والإنْكارِ).

الشَّرْحُ: أي ويتذبذبُ أيضًا بين الإقرارِ بالإيمانِ وبين إنكاره. وبهذا لا يكونُ مؤمنًا عندَ اللَّهِ لقولِ اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾[3] أي لَمْ يَشُكُّوا.

---

(١) قال الفراهيدي: «يَتَذَبْذَبُ أي يتردَّدُ» اهـ الفراهيدي، **العين**، (٨/ ١٧٨).

(٢) مثال ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي فتردُّونه ولا تُصدِّقونَ به ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة/ ءاية (٨٥)] فلا يكونُ التصديقُ الذي صدَّقُوه للبعضِ مقبولًا ولا مُنجيًا لهم يومَ القيامةِ.

(٣) سورة الحجرات/ ءاية (١٥).

قال رحمه الله: (مُوَسْوِسًا تائِهًا شاكًّا).

الشَّرْحُ: هذا تأكيدٌ لما قالَهُ قَبْلُ، أَي فيكونُ مُوَسْوِسًا[1] شَاكًّا في الحقِّ، تائِهًا عن طريقِهِ، غيرَ سالكٍ له، بل زائغًا عنه سالكًا طريقَ الباطلِ.

قال رحمه الله: (لا مُؤمِنًا مُصَدِّقًا، ولا جاحِدًا مُكَذِّبًا).

الشَّرْحُ: هذا تفسيرٌ لبعضِ ما مَضَى، أي إنَّه لا يكونُ مؤمنًا بالكُلِّ ليكونَ إيمانُهُ مقبولًا كشأنِ المصَدِّق المقِرِّ، ولا مكذّبًا بالكُلِّ كشأنِ الجاحدِ المعانِدِ، أعاذنا اللّهُ مِن مثل هذه الحالِ.

قال رحمه الله: (ولا يَصِحُّ الإيمانُ بالرُّؤيَةِ لأهلِ دارِ السَّلامِ لِمَنِ اعتَبَرَها منهُم بوَهْمٍ أو تأوَّلَها بفَهْمٍ، إذْ كانَ تَأوِيلُ الرُّؤيَةِ وتأويلُ كلِّ معنًى يُضافُ إلى الرُّبُوبِيَّةِ بتَرْكِ التَّأويلِ ولُزُومِ التَّسليمِ، وعليهِ دِيْنُ المُسْلِمِيْنَ).

الشَّرْحُ: دارُ السلامِ هي الجنَّةُ، سمِّيتْ بذلك لأنَّ فيها السلامةَ[2] من كلِّ ءافةٍ[3] ونكَدٍ ومزعِجٍ، فمَنِ اعتبرَ رؤيةَ المؤمنين وهُم في الجنةِ لربِّهم تعالى بوهمِه، أي كما ذهبَ إليه المشبِّهةُ من

---

(١) قال الفراهيدي: «فلانٌ موسوِسٌ -بكسر الواو الثانية-، أي: غلبَتْ عليه الوَسْوسَةُ. والوَسواسُ: اسمُ الشّيطانِ» اهـ الفراهيدي، **العين**، (٧/ ٣٣٥).

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (١٢/ ٣٠٩).

(٣) قال الفراهيدي: «الآفة: عَرَضٌ مفسِدٌ لما أصابَ من شيءٍ» اهـ الفراهيدي، **العين**، (٨/ ٤١٠).

إثباتِ الرؤيَةِ كما يُرى المخلوقُ في جهةٍ ومسافَةٍ، فلا يصحُّ إيمانُه بالرؤيةِ، بل وليس مسلمًا ولا مؤمِنًا، وكذلك الذين تأوَّلُوا الرؤيةَ بأفهامِهم الخاصَّةِ التابعةِ لآرائهم، كما زعمتِ المعتزلةُ أن قولَه تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[1] معناهُ انتظارُ النِّعمةِ لَمْ يصحَّ إيمانُهم بها، إلا أنَّهم لَمْ يُكَفَّروا على هذهِ المسألةِ التي خالفُوا فيها أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ ولكنَّهم يفسَّقون ويبدَّعُون، وإنما كفَّرهم العلماء بقولهم العبد يخلق أفعاله وبقولهم إن الله لا يخلق الشرّ ونحوهما.

وإنَّما الإيمانُ بها أي بالرؤيةِ هو ما قرَّرَهُ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ مِن إثباتِ رؤيةِ أهلِ دارِ السلامِ لربهم لا كما يُرَى المخلوقُ، بل بلا جهةٍ ولا مسافةٍ ولا مقابلةٍ ولا مدابرةٍ ولا تشبيهٍ للهِ بخلقه.

وهذا ليسَ من التأويلِ الذي منعَ منه الإمامُ أبو جعفرٍ، بل ذلك ما نصَّ عليهِ الإمامُ أبو منصورٍ الماتريديُّ[2] الذي كان معاصرَه وأعرفَ الناس بمذهبِ الإمامِ أبي حنيفةَ، والمتكلمَ في زمانِه على لسانِ الحنفيَّةِ، وإنَّما قصدُه بالتأويلِ المنْفِيِّ المردودِ ما ذهبَ إليه المبتدعةُ المعتزلةُ والمشبِّهة وأمثالُهم.

ولا يُؤْخَذُ مِن كلامِ أبي جعفرٍ الطحاويِّ هذا أنَّه لا يَرَى تأويلَ ما وردَ في القرءانِ والأحاديثِ الصحيحةِ مِنَ المتَشابِهِ في الصفاتِ الذي يُوهِم ظاهرُه خلافَ التنْزيهِ.

---

(١) سورة القيامة/ ءاية (٢٣).

(٢) الماتريدي، التوحيد، (ص ٨٥).




التأويلُ قسمان

والتأويلُ قسمان: تأويلٌ إجماليٌّ ويُسمَّى التفويضَ، وتأويلٌ تفصيليٌّ، فالتأويلُ الإجماليُّ هو أن يُقالَ في ءايَةِ الاستواء مثلًا: (استوى بلا كيف)، وأنْ يُقالَ في حديثِ النُّزولِ: (ينزلُ بلا كيف)[1]، وأمَّا التفصيليُّ فيكونُ بتعيينِ المعنَى المرادِ على ما يوافقُ الشرعَ واللغةَ، فيُقالُ في ءايةِ الاستواءِ: (قهرَ العرشَ وحفظَه وأبقاه)، ويقالُ في حديثِ النُّزولِ: هُو (نزولُ رحمتِه) أو (نزولُ الملكِ بأمره)[2][3].

(١) ثبت ذلك ومثله عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرِهم. ينظر: ابن جماعة، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، (ص ٤١).

(٢) وقد ورد هذا عن مالك. ينظر: ابن قرقول، **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، (٤/ ١٤٥).

(٣) قال الزركشي: «كلُّ ما وردَ في الكتاب والسُّنَّةِ الصحيحةِ من الصفاتِ اللائقةِ بجلالِه نعتقدُ ظاهرَ المعنى، وما وردَ فيهما من المشكلِ مما ظاهرُه الاتصافُ بالحدوثِ والتغيُّر كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ﴾ [سورة الفجر/ ءاية (٢٢)] وقوله ﷺ: «**يَنْزِلُ ربُّنا كُلَّ لَيْلَةٍ**» فإنَّا ننزِّه الله عندَ سماعِه عمَّا لا يليقُ به.
وللعلماءِ فيه مذهبان مشهوران فمنهم من يفوِّضُ علمَه إلى الله تعالى ويسكُتُ عن التأويلِ بشرطِ الجزمِ بالتنزيهِ والتقديسِ واعتقادِ عدمِ إرادةِ الظواهرِ المفضيَةِ للحدوثِ والتشبيهِ، وهذا مذهبُ السلفِ رحمهم الله تعالى -أي الغالب عليهم- ولهذا يقفُون على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ثُمَّ يبتدِئُون: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [سورة ءال عمران/ ءاية (٧)] وقالُوا: أمِرُّوها كما جاءتْ بلا كيفٍ، فقولهم: كما جاءتْ ردٌّ على المعطِّلةِ، وقولُهم بلا كيفٍ ردٌّ على المشبِّهةِ.
ومنهم من يقول بالتأويلِ -أي التفصيليّ- وهو مذهبُ الخلفِ، وشرطُوا كونَ=

ويدلُّ على كونِ مرادِ الإمامِ الطحاويِّ ليس نَفْيَ مطلقِ التأويلِ قولُه في مسألةِ الكلامِ: (مِنْهُ بدا بلا كيفيَّةٍ قولًا) لأنَّ هذا تأويلٌ، فلولا أنَّه يرى التأويلَ في الجملةِ لَمْ يَقُلْ: (بلا كيفيَّةٍ قولًا).

وكيفَ يُظَنُّ بالطحاويِّ أنه يَنْفِي التأويلَ مطلقًا وقد قالَ هو: (ومَنْ وَصَفَ اللَّهَ بمعنًى مِنْ مَعانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ)، أليسَ هذا معناهُ نفيَ الحركةِ والسكونِ والتنقُّلِ وغيرِ ذلك من صفاتِ البشرِ عن اللَّهِ، وإنما يتوجَّه كلامُ الطحاويِّ إلى تأويلاتِ أهلِ الأهواء، فإنَّهم يُؤَوِّلُون بآرائِهم التي لا تستَنِدُ إلى نَظَرٍ عقليٍّ صحيحٍ ولا إلى فهمٍ صحيحٍ للمنقولِ الثابتِ.

السَّلَفُ الصَّالحُ أوَّلَ بعضُهم التأويلَ التَّفصيليَّ

وكيف يُظَنُّ بالطحاويِّ أنَّه يمنعُ ويُقبِّحُ التأويلَ وقد فعلَه وأقرَّه السَّلفُ والخلفُ، فَمِنَ السلفِ ابنُ عباسٍ رضي اللَّه عنهما في تفسيرِه ومجاهدٌ تلميذُ عبدِ اللَّه بنِ عباس فإنَّه أوَّل وَجْهَ اللَّه في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1] بقِبْلَةِ اللَّه، رواهُ البيهقي في كتاب: «الأسماءِ والصفاتِ»[2]، وأوَّل الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضي اللَّه عنه

=التأويل لائقًا بجلالِ اللَّه تعالى، وكونَ المؤوِّلِ متَّسِعًا في لغةِ العربِ، ولهذا قال بعضهم: مذهبُ السلف أسلمُ، ومذهب الخلف أعلمُ، أي أحوجُ إلى مزيدٍ من العلم واتساعٍ فيه» اهـ الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٦٧٦، ٦٧٧).

(١) سورة البقرة/ ءاية (١١٥).

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (٢/ ١٠٧).

المجيءَ المذكورَ في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[1] بأنَّه مجيءُ قدرتِه أي ءاثارِ قدرتِه العظيمةِ، رواهُ البيهقيُّ وابنُ الجوزيّ كلٌّ في كتابهِ في «مناقبِ الإمامِ أحمدَ»، وهذا دليلٌ على أنَّ الإمامَ أحمدَ رضي اللَّهُ عنه لم يكنْ يعتقدُ في اللهِ الحركةَ والسكونَ، لأنَّه لو كان يعتقدُ ذلك ما أوَّل، وأنَّ انتسابَ المجسّمةِ إلى الإمام أحمدَ واعتزَازَهم به مجردٌ عن الحقيقةِ.

وأوَّلَ البخاريُّ في تفسير سورةِ القصصِ من كتابِ التفسيرِ في «صحيحِه» قولَه تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[2] بأنَّ معناه إلا مُلْكَه[3] اهـ وعن سفيانَ الثوريّ أنَّه قال في تفسيرِ هذه الآيةِ: «كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا ما أريدَ به وجهُه»[4] اهـ

فهذا كلُّه من التأويلِ التفصيليّ الواردِ عن السَّلفِ، وأمَّا الإجماليُّ فذَكَرَهُ ما لا يُحصى منهم، فادّعاءُ بُعْدِ السَّلفِ عن التأويلِ افتراءٌ عليهم وشذوذٌ عن منهاجِهم.

قال رحمه الله: (ومَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ والتشبيهَ زَلَّ ولَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ، فَإِنَّ ربَّنا جَلَّ وَعَلا[5] مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحْدانِيَّةِ مَنْعُوْتٌ بِنُعُوتِ الفَرْدانِيَّةِ).

---

(١) سورة الفجر/ ءاية (٢٢).

(٢) سورة القصص/ ءاية (٨٨).

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، باب ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [سورة الشعراء/ ءاية (٢١٥)]، (٦/ ١١٢).

(٤) البيهقي، **شعب الإيمان**، (١/ ٣١١).

(٥) العلوُّ في حقِّ الله علوُّ المكانةِ والقَدْرِ لا المكانِ لأنه تعالى لا يحويه مكانٌ.

الشّرْحُ: أراد بهذا نفيَ مذهبِ المعطِّلة ونفيَ مذهب المشبهةِ، والمعنى أنَّ من لم يجتنبْ ويحترزْ عن تعطيلِ صفاتِ اللَّه تعالى وعن تشبيهِه بالمخلوقين في صفاتِه زلَّ ولم يصبِ التنزيه أي تنزيهَ اللَّه تعالى وهو تعظيمُه وتقديسُه عن مشابهةِ خلقِه.

فمن لم يتوقَّ النَّفْيَ والتشبيهَ أي مَنْ لَمْ يبتعدْ في اعتقادِه عن التعطيلِ وعن التَّشبيهِ أي تشبيهِ اللَّهِ بخلقِه فإنه يَزِلُّ أي يَضِلُّ عَنِ الطريقِ السَّوِيّ ولا يصيبُ التَّنْزِيهَ، أَي لا يكونُ اعتقادُه مطابقًا لِتَنْزِيهِ اللَّهِ تعالى عن النُّقْصَانِ.

وقول المؤلف: (مَوْصُوفٌ بصِفَاتِ الوَحدانيَّة) أي موصوف بالصفات التي تنفي عن اللَّه المشابهةَ لغيره، وقوله هذا ردٌّ لقولِ المعطّلةِ ويُرادُ بهم هنا المعتزلةُ والفلاسفةُ، لأنَّ المعتزلةَ تقولُ إنَّ اللَّهَ تعالى ليس له صفةٌ قائمةٌ بذاتِهِ، أي ليس له علمٌ هو متصفٌ به، ولا قدرةٌ هُو متّصفٌ بها، ولا إرادةٌ هو متصفٌ بها، ولا سمعٌ ولا بصرٌ ولا كلامٌ هو متصفٌ بذلك[1]، إنَّما تقولُ هو عالمٌ بذاتِه ولا تقولُ عالمٌ بعلمٍ أزليٍّ أبديٍّ، وتقولُ حيٌّ لذاتِه ولا تقولُ حيٌّ بحياةٍ أزليَّةٍ أبديَّةٍ، وتقولُ قادرٌ بذاتِهِ ولا تقولُ إنَّه قادرٌ بقدرةٍ، وتقولُ شاءٍ بذاتِهِ ولا تقولُ شاءٍ بمشيئةٍ أي مريدٌ بإرادةٍ، وكذلك جميعُ الصفاتِ هم لا يَرَونَ أنها صفاتٌ ثابتةٌ للذاتِ المقدَّسِ أزلًا وأبدًا والعياذ باللَّه تعالى.

وكذلك الفلاسفةُ كانُوا يقولون بمثلِ هذا القولِ من نَفْي

(١) أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٩٣).

الصفـاتِ[١]، بـل يزيـدونَ في الفسـادِ على مـا قـال المعتزلـة مِمَّـا يضيـقُ المقـامُ عـن ذِكْـرِه.

وأمَّـا أهـلُ السُّـنَّةِ فَيُثبِتُـون صفـاتِ الـكمالِ اللائقـةَ بـاللّهِ تعـالى كما جـاءتْ بهـا النُّصـوصُ، ويقولـون إنَّهـا قائمـةٌ بذاتِـه أي ثابتـةٌ لـه سبحانه، ليست هي عينَ الـذاتِ وليسـتْ هِـيَ غيـرَه[٢]، وهـذا معنى تجنّـبِ التعطيـلِ.

وقولـه: (منعـوتٌ بنعـوتِ الفَردانيَّـةِ) تأكيـدٌ للجُملـةِ التي قبلَهـا، فـإنَّ النَّعْـتَ والصفـةَ بمعنى واحـدٍ والوحدانيّـة والفردانيّـة كذلـك.

صفاتُ اللّهِ لا هي هو ولا هي غيـرُه[٣]

صفـةُ اللّهِ تعـالى ليسـت هِـي اللّهَ، أي ليسـت هـي عينَ الـذات مـن حيـثُ المفهـومُ، بـل هـي معنى قائـمٌ بـذاتِ اللّه تعـالى أي ثابـت لـه بلا ابتـداء ولا انتهـاءٍ، ويسـتحيلُ أن تكـونَ غيرَ الـذات، لأنَّهـا لـو كانـت غيـرَ الـذاتِ لصـحَّ وجـودُ الـذاتِ بدونهـا، لأن مقـتَضَى كونِـها غيرَ الـذاتِ أن يصـحَّ مفارقـةُ أحدِهمـا الآخـرَ كصفـاتِ الخلـق، فإنَّـه يصـحُّ وجـودُ الجسـمِ الأبيـضِ ووجـودُ الجسـم المتحـرّك بـدونِ صفـةِ البيـاضِ وبـدونِ صفـة الحركـةِ، ولا يجـوزُ عقـلًا أن تفـارِقَ صفـاتُ اللّهِ تعـالى ذاتَـه لأنَّ ذلـك ينـافي القِـدَمَ.

---

(١) الغزالي، **تهافت الفلاسفة**، (ص١٧٢).

(٢) القرافي، **الفروق**، (٢/ ٢١٥).

(٣) البيهقي، **الاعتقاد**، (ص٧١).

ولا يقـالُ في حـق اللَّهِ تعـالى إن صفاتِـه بعـضُ ذاتِـه، ولا يقـالُ إنَّ صفاتِـه تعـالى حالّـةٌ فيـه ولا متصلـةٌ بـه، وإنـما يقـالُ قائمـةٌ بذاتِـه بمعنى أنَّهـا ثابتـةٌ لذاتِـه مـن دونِ بعضيـةٍ ولا جزئيـةٍ ولا حلـولٍ، أي يسـتحيلُ أن لا يتصـفَ بهـا تبـارَك وتعـالى.

قال رحمه الله: (لَيْسَ فِي مَعْناهُ أَحَدٌ مِنَ البَـرِيَّةِ).

الشَّرْحُ: البَـرِيَّةُ الـخَلْقُ، والمرادُ أنه سبحانه لا يُشبِه شيئًا مِن العالـمِ ولا يتَّصفُ بصفةٍ من صفاتِه، وقد مرَّ قولُه رضي اللَّه عنه: (ومَـنْ وَصَـفَ اللَّهَ بمعنًـى مِـنْ مَعانِـي البَشَـرِ فَقَـدْ كَفَـرَ) وأعادَ هنا هـذه المسـألةَ بمعناهـا مع التَّنْصيـصِ على نفـيِ صفـاتِ الخلـقِ عنـه عـزَّ وجـلَّ.

قال رحمه الله: (وتَعَالَـى عَنِ الـحُدُودِ والغاياتِ والأَركانِ والأَعْضاءِ والأَدَواتِ).

تنزيهُ اللَّهِ عن الحجمِ والأعضاءِ والجوارحِ

الشَّرْحُ: الحدُّ معنـاه نهايةُ الشَّيءِ[1]، والأجرامُ كلُّها لها حدٌّ، فالعرشُ والكـرسيُّ والجنـةُ والنَّـارُ والسمـٰـواتُ والأَرَضـونَ كلٌّ له مسـاحة، لكن نحنُ البشـرُ لا نعلـمُ مِسـاحةَ العرشِ كـم هي ولا مِسـاحةَ الكـرسيِّ ولا السمـٰـواتِ السبعِ ولا الجنَّـةِ ولا جهنَّـمَ، وليـس معنى نَفْـيِ الحَـدِّ عن اللَّهِ أنـه مُـمْتَـدٌّ إلى غيـرِ نهايـةٍ فَلْيُحْـذَر هـذا التَّـوَهُّـمُ.

(١) الرازي، **مختار الصحاح**، (ص ٦٨).

وأمَّـا الغايـاتُ فجمـعُ غايـةٍ، والغايـةُ مـا ينتهـي إليـه الشَّيءُ[1]. والأركانُ جمعُ رُكْـنٍ ومعنـاه الـجَانِبُ[2]، فـاللَّه تعـالى مُنَـزَّه عـن أنْ يكـونَ لـه جوانـبُ، لأنَّ ذا الأركانِ محـدودٌ لا محالـةَ.

والأعضـاءُ أجـزاءُ الحيـوانِ التي يتركَّـبُ منهـا جمـعُ عُضْـوٍ، وهـو الجزءُ مِن الحيـوانِ الـذي يختصُّ باسـمٍ يتميَّـزُ بـه عـن غيرِه، والمـرادُ بالحيـوانِ ذُو الـرُّوحِ[3]. فـاللَّهُ مُنَـزَّه عـن أنْ يكـونَ مركَّبًـا مـن أعضـاءٍ كالإنسـانِ وغيرِه مـن ذوي الأرواحِ. وقـال بعضُهـم: المـرادُ بالأعضـاءِ هنـا الأجـزاءُ الكـبيرةُ مـن البَـدَنِ، لأنَّـه عطَـفَ عليهـا الأدواتِ جمـعُ أداةٍ وهِـيَ الأجـزاءُ الصـغيرةُ كاللسـانِ والأضراسِ والأُذُنِ والحدقـةِ والأنـفِ، فـاللَّهُ تعـالى لا يجـوزُ أن يتَّصِـفَ بالأعضـاءِ مُطْلَقًـا صغيـرَةً كانـت أو كبيـرَةً.

وفسَّـرَ بعضُهـم الأدواتِ بـالآلاتِ[4] التي يسـتعينُ بهـا الإنسـانُ في تحقيـقِ أفعالِه كآلاتِ البَنَّـاءِ، وذلـك لِـمَـا عُلِـمَ مِـن أنَّ اللَّهَ فاعـلٌ بلا علاجٍ، لا يحتـاجُ إلى مزاولـةٍ بالحـركاتِ والسَّـكَنات والآلاتِ، بـل يخلقُ مـا يشـاءُ بـدونِ ذلك، فمـا أرادَه في الأزلِ أن يدخـلَ في الوجـودِ يُوجِـدُهُ ويُكَوِّنـه بتكوينِـه الأزليِّ.

---

(١) الزبيدي، **تاج العروس**، (٤٠/ ١٤٩).

(٢) الفيومي، **المصباح المنير**، (١/ ٢٣٧).

(٣) قال الفيوميُّ: «والحيوانُ كلُّ ذي روحٍ ناطقًا كانَ أو غيرَ ناطقٍ، مأخوذٌ من الحياةِ» اهـ الفيومي، **المصباح المنير**، (١/ ١٦٠).

(٤) الفيومي، **المصباح المنير**، (١/ ٩).

قال رحمه الله: (لا تَـحْوِيهِ الـجِهاتُ السِّتُّ كَسائِرِ الـمُبْتَدَعاتِ).

تنزيهُ اللّٰهِ عن الجهاتِ

الشَّرْحُ: اللّٰهُ تعالى لا تَحْوِيهِ الجهاتُ الستُّ كما تحوي جميعَ المخلوقاتِ، إذِ المخلوقاتُ لا تخلُو عن التحيُّزِ في إحدى الجهاتِ الستّ، لأنَّ الحادثَ لا بُدَّ أن يكونَ بمكان، والجهاتُ الستُّ هي الفَوقُ والتَّحتُ والأمامُ والخلفُ واليمينُ والشمالُ.

قالَ أهلُ الحقّ إنَّ اللّٰهَ ليس بمُتَمَكِّنٍ في مكانٍ، أي لا يجوزُ عليه الـمُمَاسةُ للمكانِ والاستقرارُ عليهِ والحلولُ فيه[١].

ومعنى المكانِ الحيّز أي الفراغُ الذي إذا حلَّ فيه الجِرم شغلَ غيرَهُ عن ذلك الفراغ[٢]، كالشمسِ مكانها الفراغُ الذي تسبَحُ فيه، وعند المشبّهة والكراميَّةِ[٣] والمجسِّمةِ اللّٰهُ متمكّنٌ على العرشِ والعياذُ باللّٰهِ تعالى[٤]، وتعلَّقوا بظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

---

(١) ينظر: الكلاباذي، **التعرف لمذهب أهل التصوّف**، (ص ٣٤). البيهقي، **الأسماء والصفات**، (٢/ ٣٠٧).

(٢) ينظر: الجرجاني، **التعريفات**، (٢٢٧).

(٣) الكراميةُ أتباعُ محمدِ بنِ كرَّامٍ، وضلالاتُهم عديدة منها أنَّ ابنَ كرَّام دعا أتباعَه إلى تجسيمِ معبودِهم وزَعم أنَّه جسمٌ لهُ حدٌّ ونهايةٌ من تحتِه والجهةِ التي منها يلاقي عرشَه، فقال في كتابه المعروف بكتاب «**عذاب القبر**»: إنَّ اللّٰهَ تعالى مماسٌّ لعرشِه، وإنَّ العرشَ مكانٌ له، والعياذُ باللّٰه. ينظر: أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٢٠٣).

(٤) ينظر: ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، (ص ١٥٠).

ٱسْتَوَىٰ ۝﴾[1]، فقالُوا والعياذ بالله الاستواءُ الاستقرارُ وقال بعضُهم الجلوسُ، والجلوسُ في لغةِ العربِ معناهُ تماسُّ جسمينِ أحدُهما له نصفٌ أعلى ونصفٌ أسفلُ، فمن قال إنَّه مستوٍ على العرشِ استواءَ اتصالٍ أي جلوسٍ أو قال استواؤه مجردُ مُمَاسَّةٍ من غير صفةِ الجلوسِ فهو ضالٌّ مكذِّبٌ للقرءانِ والسنَّةِ الثابتَةِ والإجماعِ ليسَ بمؤمنٍ ولا مسلمٍ.

وكذلك الذين قالوا إنَّه مستوٍ على العرش من دون مماسَّةٍ إنما يحاذيه من فوق، أي كما تحاذِي السماءُ أرضَنَا فهؤلاء أيضًا ضالُّون خارجُون من الملَّةِ، قال الإمام جعفرٌ الصادق رضي الله عنه: «من زعم أنَّ الله في شيءٍ أو من شيءٍ أو على شيءٍ فقد أشرك، إذ لو كان على شيءٍ لكان محمولًا، ولو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيءٍ لكان محدَثًا»[2] اهـ

والتفسيرُ الصحيحُ تفسيرُ مَن قالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾[3] قَهَرَ[4]، لأنَّ القهرَ صفةُ كمالٍ لِلهِ تعالى هُو وصَفَ نفسَه بِهِ، فقال

---

(١) سورة طـه/ ءاية (٥).

(٢) القشيري، **الرسالة القشيرية**، (١/ ٩٢).

(٣) سورة طـه/ ءاية (٥).

(٤) الجويني، **الإرشاد**، (ص ٤٠). أبو حفص النسفي، **التيسير في التفسير**، (١٠/ ٢٦٠). الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، (٢/ ١٠٨). وغيرهم كثير. ينظر: كتاب «**تفسير أولي النهى لقوله تعالى**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾» للدكتور سليم علوان.

تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ١٦﴾[1]، فيصحُّ تأويلُ الاستواءِ بالاستيلاءِ[2] وإن كانت المعتزلةُ وافقَت أهلَ السُّنَّةِ في ذلك، ولا يلزمُ في الاستيلاءِ سبقُ مغالَبةٍ.

وأقبحُ هذه الاعتقاداتِ الفاسدةِ اعتقادُ أنَّ اللهَ تعالى جالسٌ على العرشِ أو واقفٌ عليه، لأنَّ فيه جعْلَ اللهِ تعالى محمولًا للعرشِ، والعرشُ محمولٌ للملائكة، فالملائكةُ على هذا الاعتقادِ قد حملُوا اللهَ تعالى، فعلى قولِ هؤلاء يلزمُ أن يكونَ اللهُ محمولَ حاملٍ ومحفوظَ حافظٍ، وهذا ما لا يقولُه عاقلٌ، تعالى اللهُ عن ذلك علُوًّا كبيرًا.

قال رحمه الله: (والـمِعْراجُ حَقٌّ، وقَدْ أُسْرِي بالنَّبِيِّ ﷺ بشَخْصِه في اليَقَظَةِ إلى السَّماءِ، ثُمَّ إلى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ العُلا، وأكرَمَه اللهُ بما شاءَ وأوْحَى إليهِ ما أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾[3] فصَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الآخِرةِ والأُولى).

معجزةُ الإسراءِ والمعراجِ

الشَّرْحُ: العروجُ هو الصعودُ، ويُقالُ عَرَجَ يَعْرُجُ عُرُوجًا[4]،

---

(١) سورة الرعد/ ءاية (١٦).

(٢) التاج السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، (٩/ ٥٨، ٥٩). زكريا الأنصاري، **غاية الوصول في شرح لُبِّ الأصول**، (ص ١٦٣).

(٣) سورة النجم/ ءاية (١١).

(٤) الفراهيدي، **العين**، (١/ ٢٢٣).

والمعـراجُ بالـكسرِ شِـبْهُ السُّـلَّم[١]، والأصـل في الإسراءِ قولُـه تعـالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾[٢]، فهـذهِ الآيـةُ أثبتَـتِ الإسراءَ أي سَيْـرَ الرسـولِ ﷺ مـن مكـةَ إلى المسـجدِ الأقصى في الليـلِ[٣].

ثُـمَّ أشـارَ اللّٰهُ بقولِـه تعـالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ إلى المعـراجِ أيضًـا[٤]، لأنَّ الآيـاتِ ليسـت مُقيّـدَةً بالآيـاتِ التي في الأرضِ، نعـم المعـراجُ لَـمْ يُصـرّحْ بـه القـرءانُ لـكِنَّهُ وَرَدَ في القـرءانِ مَـا يَـكَادُ يَكُونُ نَصًّـا صَريـحًا، وهـو قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥﴾[٥]، وأيضًـا قَـدْ ثَبَـتَ بِنَـصِّ الأَحَـادِيـثِ الصَّـرِيحَةِ كمـا في «صحيـح البُخـاريّ»[٦].

والمصـرَّحُ بـهِ في القـرءانِ الكريـم هـو الإسراء، لذلـك قـال بعضُ أهـلِ العلـمِ منكـرُ الإسراءِ يكفُـرُ ومنكـرُ المعـراجِ لا يكفُـر إنْ لـمْ يكُـنْ عن جحـودِ مـا ثبـتَ عنـدَه أنَّ الشرعَ جـاءَ بـه[٧].

---

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (١/ ٢٢٩).

(٢) سورة الإسراء/ ءاية (١).

(٣) النسفي، **تفسير النسفي**، (٢/ ٢٤٤).

(٤) النسفي، **تفسير النسفي**، (٢/ ٢٤٥).

(٥) سورة النجم/ ءاية (١٣-١٥).

(٦) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، (١/ ٧٨).

(٧) مجموعة من العلماء، **الفتاوى الهندية**، (١/ ٨٤).

ثُـمَّ عنـد أهـلِ الحـقّ الإسراءُ والمعـراجُ كلاهمـا كانـا في اليقظـةِ بشـخصِه أي بِرُوحِـهِ وجسـدِه ﷺ[1] لا في المنـامِ.

معنى قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾

وأمَّـا قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[2]، فَالـمَقصودُ بهـذه الآيـةِ جبريـلُ عليـه السـلامُ، وهـو في حديـثِ البخـاريِّ عـن مَسْـرُوقٍ، قـالَ: قلـتُ لِعائشـةَ رضي اللهُ عنهـا فأيـنَ قولُـه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ قالَـتْ: «ذَاكَ جِـبْـرِيلُ كانَ يَأْتِيه في صُـورَةِ الرَّجُـلِ وإنَّـهُ أَتَـاهُ هَـذِهِ الـمَرَّةَ في صُورَتِـهِ التي هِـيَ صُورَتُـهُ فَسَـدَّ الأُفُـقَ»[3] اهـ حيـثُ رَءَاهُ الرَّسـولُ ﷺ بمكَّـةَ بمـكانٍ يقـالُ لـه: أجيـادٌ، ولـه ستُّمِـائةِ جنـاحٍ سـادًّا عُظْـمُ خَلقِـهِ مـا بين الأُفُـقِ أي نواحـي الفضـاءِ كما رءاه مـرةً أُخـرى على هيئتِـه الأصليَّـةِ عنـدَ سِـدْرَةِ الـمُنتَهَى كما قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾[4]، أي هنـاك رأى محمدٌ ﷺ جبريـلَ على صورتـه الأصلية مـرَّةً ثانيـةً.

---

(١) ينظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، (١٠/ ٢٠٨). أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، (٧/ ٨).

(٢) سورة النجم/ ءاية (٨، ٩).

(٣) البخاري **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدُكم ءامين والملائكةُ في السماء فوافقت إحداهُما الآخرى غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، (٣/ ١١٨١).

(٤) سورة النجم/ ءاية (١٣، ١٤).

الدليلُ على رؤيةِ النبيّ ﷺ ربَّه عزَّ وجلَّ

والثابتُ الصحيحُ أنَّ النبيَّ ﷺ رأى ربَّه بفؤادِه لا بِبَصَرِه تلك الليلةَ، والدليلُ على ذلك أنَّ أبا ذرٍّ الغفاريَّ رَضِيَ اللَّه عنه نَفَى أن يكونَ رَءاه بِعَيْنِهِ، وأنَّ ابنَ عباس رضي اللَّه عنهما ثبتَ عنه أنَّه قال: «رَءَاهُ بفؤاده مرتين»[(١)] اهـ بلا كيفٍ ولا مكانٍ.

وليسَ المقصودُ من المعراجِ وصولَ النبيّ ﷺ إلى مكانٍ ينتهي إليهِ وجودُ اللَّه لأنَّ اللَّهَ تعالى لا يوصفُ بالمكانِ والجهةِ كما هو شأنُ المخلوقاتِ وقد مرّ بيانُه، بل المقصودُ من المعراجِ تشريفُ الرسولِ ﷺ بإطلاعِهِ على عجائبَ في العالَمِ العُلْويّ.

قال رحمه الله: **(والحَوضُ الذي أكرَمَه اللَّهُ تعالى بهِ غِياثًا لأُمَّتِه حَقٌّ).**

الإيمانُ بالحوضِ

الشّرْحُ: يجبُ الإيمانُ بالحوضِ الذي يشربُ منه المؤمنونَ يومَ القيامةِ قبلَ دخولِ الجنَّةِ، وذلك لقولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾[(٢)]، وهُو نهرٌ أصلُهُ في الجنَّةِ يَصُبُّ في مكانٍ يُسَمَّى الحوضَ خارجَ الجنَّةِ، يشربُ منه المؤمنون قبلَ دخولِهم الجنَّةَ لا يظمأُ مَنْ شَرِبَ منه أبدًا، وإنَّما يشربونَ بعدَ دخولِ الجنَّةِ

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾ [سورة النجم/ ءاية (٣)] وهل رأى النبيُّ ﷺ ربَّه ليلة الإسراء، (١/ ١٥٨).

(٢) سورة الكوثر/ ءاية (١).

تَلَذُّذًا[١].

وقولُه: **(غِيَاثًا لأُمَّتِهِ)** أي مَغُوثةً لهم، فإنَّ كثيرًا من الناسِ من غيرِ الأتقياءِ يشتَدُّ عطشُهم عندَ دنوِّ الشَّمسِ منهم على أرضِ المحشرِ، ويعظُم بذلك كربُهم، فيكونُ شربُ أُمَّةِ سيدِنا محمَّدٍ ﷺ من حوضِ نبيِّنا ﷺ غوثًا لهُم عند مِساسِ الحاجةِ.

قال رحمه الله: **(والشَّفَاعَةُ التي ادَّخَرَها لَهُم حَقٌّ كما رُوِيَ في الأخبار).**

الإيمانُ بالشَّفاعَةِ

الشَّرْحُ: يجبُ الإيمانُ بالشفاعةِ التي ادّخَرَها النبيُّ ﷺ لأُمَّتِهِ وأنَّها ثابتةٌ، والشفاعةُ لغةً: هي طَلَبُ الخيرِ للغَيْرِ[٢]، وأمَّا الشفاعةُ الأخرَوِيَّةُ فهي طلبُ الإنقاذِ مِن مشقَّةِ حرِّ الشَّمسِ في الموقفِ، أو مِنْ دخولِ النَّارِ بعد استحقاقِه، أو من زيادةِ عذابِ النَّارِ بعدَ دخُولِها، بأن يخرج قبل أن تمضي المدة التي يستحقّ.

ثُمَّ المحتاجون لشفاعةِ الإنقاذِ من الهَلاكِ هُم أهلُ الكبائرِ من المؤمنين، أمَّا غيرُ أهلِ الكبائرِ فليسُوا محتاجِينَ لهذ النَّوعِ من الشَّفاعةِ لا في القيامةِ ولا بعدَ دخولِ بعضِ العبادِ النَّارَ، لأنَّ الأَتقياءَ لا يحصلُ لهُم في الموقفِ مشقَّةٌ من حرِّ الشمسِ ولا يحصلُ لهم أَلَمٌ من جوعٍ أو عطشٍ، ولا يحصلُ لهم تَعَبٌ من طولِ مُدَّةِ الموقِفِ، ويَدلُّ على ذلك قولُ رسولِ اللهِ ﷺ: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ**

(١) ينظر: الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ص ١٧٥).

(٢) أبو البقاء الكفوي، **الكُلِّيَّات**، (ص ٥٣٦).

الكَبائِرِ مِنْ أُمَّتِي» اهـ وهـو حديـثٌ حسـنٌ، رواه الترمـذي[1] وابـنُ حبـانَ[2] وغيـرُهما[3].

وليحذر مما ورد في بعض نسخ «**الإحسان في ترتيب ابن حبان**» السقيمة أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عندما يقصِدهم الناسُ للشَّفاعة يقول كل واحد منهم: «إني أخاف أن يطرحني اللَّهُ في النار» لأن نسبة هذا لنبيٍّ من الأنبياء كفرٌ، لأن النبيَّ لا يظن بربّه أنّه يطرحُه في النَّار.

قال رحمه الله: **(والمِيثاقُ الذي أَخَذَهُ اللَّهُ تعالى مِن ءادَمَ وذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ).**

الإيمانُ بالميثاقِ

الشَّرْحُ: نؤمنُ بأنَّ اللَّهَ تعالى أخذَ الميثاقَ أي العهدَ من بني ءادَمَ حينَ استخرجَ أرواحَهُم مِن ظهرِ ءادَمَ بعدما نزلَ ءادمُ عليه السلامُ إلى الأرضِ، صوَّرَهم اللَّهُ على هيئَةِ البشرِ بحجمِ الذَّرِّ أي النَّملِ واستنطقَهم أيْ أمرَ الملكَ أن يُناديَ فيهم فقال الملكُ إنَّ ربَّكُم يقولُ: «أَلَسْتُ بربِّكُم» فقالوا: «لا ربَّ لنا غيرُك» اهـ رواه الحاكم[4].

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (٤/ ٦٢٥).

(٢) ابن بلبان، **الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان**، باب الحوض والشفاعة، ذكر إثبات الشفاعة في القيامة لمن يُكثر الكبائر في الدنيا، (١٤/ ٣٨٧).

(٣) أحمد، **مسند أحمد**، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث أبي رمثة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، (٢٠/ ٤٣٩).

(٤) الحاكم، **المستدرك**، كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف، (٢/ ٣٥٣).

وهـذا معنى حديـثِ رسـولِ اللَّهِ ﷺ: «**مَـا مِـنْ مَوْلُـودٍ إِلَّا يُولَـدُ علَى الفِطْـرَةِ، فَأَبَـوَاهُ يُـهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّـرَانِهِ أَوْ يُـمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَـةُ بَـهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُـحِسُّونَ فيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**» ثُـمَّ يَقُـولُ أَبُـو هُرَيْـرَةَ رضي اللَّه عنـه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[(١)] الآيـة»[(٢)]. فقـولُ الـنبي ﷺ: «**مَـا مِـنْ مَوْلُـودٍ إلا يُولَـدُ عَلَى الفِطْـرَةِ**»[(٣)]

---

(١) سورة الروم/ ءاية (٣٠).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلمَ الصبيُّ فماتَ هل يُصلّى عليه، وهل يُعرَضُ على الصبيّ الإسلامُ، (١/ ٤٥٦).

(٣) «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ**» من بني آدم «**إِلَّا يُولَدُ على الفِطْرَةِ**» يعني على العهدِ الذي أُخِذَ على آدمَ وذريتِه بقول: «ألستُ بربكم» قالوا: «بلى» وكلُّ مولودٍ في ذلك العالم على ذلك الإقرار «**فَأَبَواهُ يهوِّدانِه أو ينصِّرانِه أو يمجِّسانِه**» أي يجعلانِه يهوديًّا إذا كانا من اليهود أو نصرانيًّا إذا كانا من النصارى أو مجوسيًّا إذا كانا من المجوس إما بتعليمهما إياه وترغيبِهما في دينهما أو كونِه تبعًا لهما في الدين فيكون حكمه حكمهما في الدنيا، «**كما تُنتجُ**» أي تلد «**البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاء**» أي سليمةً تامَّة الأعضاء لم يذهب من بدنها شيءٌ سميت بذلك لاجتماع أعضائها «**هل تُحِسُّونَ**» أي هل تُبصِرُون «**فيها مِنْ جَدْعَاء**» أي مقطوعة الأذن أو الأنف أو الأطراف أي لا جدعَ فيها من أصل الخلقة إنما يجدعُها أهلُها بعد ذلك فكذلك المولودُ يولد على الفطرةِ ثم يتغيرُ بعدُ. ونقل في المصابيح عن القاضي أبي بكر بن العربي أنَّ معنى قوله: «**فأبواه**» إلخ أنه ملحَق بهما في الأحكامِ من تحريمِ الصلاةِ عليه ومن ضربِ الجزيةِ عليه إلى غير ذلك ولولا أنه ولد على فراشهما لـمُنِعَ من ذلك كله قال ولم يرد أنهما يجعلانه يهوديًّا أو نصرانيًّا إذْ لا قدرةَ لهما على أن يفعلا فيه الاعتقادَ أصلًا. ينظر: القسطلّاني، **شرح صحيح البخاري**، (٢/ ٤٤٩-٤٥١) (٧/ ٢٨٨).

يعني العهدَ الذي أخذَه عليهم[1].

قال رحمه الله: (وقدْ عَلِمَ اللهُ تعالى فيمَا لَمْ يَزَلْ عددَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ وعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً واحِدَةً، فلا يُزادُ في ذلك العَدَدِ ولا يُنقَصُ منه، وكذلك أفعالُهم فيما عَلِمَ مِنهُم أنْ يفعَلُوه. وكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له).

علمُ اللهِ محيطٌ بعددِ من يدخلُ الجنَّةَ وعددِ من يدخلُ النَّارَ

الشَّرْحُ: الجملةُ الأولى التي فيها بيانُ إحاطةِ علمِ اللهِ بمن يدخُلُ الجنَّةَ تفصيلًا، وبعدَدِ من يدخُلُ النَّارَ تفصِيلًا أرادَ المؤلفُ بها أنْ يُبَيِّنَ ما كانَ قرَّرَهُ فيما تقدَّمَ من أزليةِ صفاتِ اللهِ تعالى الذاتيَّةِ والفعليَّةِ[2]، بنحو قولِه: (مَا زَالَ بصِفَاتِه قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِه).

(١) القسطلَّاني، شرح صحيح البخاري، (٧/ ٢٨٨).

(٢) قال علماءُ الحنفية والماتُريدِيَّة كلُّ ما وُصفَ اللهُ به ولَمْ يَجُزْ أنْ يُوصَفَ بمُقابِلِه فهو من صفاتِ الذَّاتِ كالقدرةِ والعلمِ والكلامِ، وكلُّ ما يُوصَفُ اللهُ به وبمُقابِلِه فهو من صفاتِ الفعلِ، وقالَ الأشاعرةُ فما يلزمُ من نفيه مقابلُه فهُو من صفاتِ الذَّاتِ كالحياةِ يلزمُ من انتفائِها الموتُ وكالقُدرةِ يلزَمُ من انتفائِها العجزُ، وما لا يلزمُ من انتفائه مقابلُه فهُو منْ صفاتِ الفعلِ كالإحياءِ والإماتَةِ والخَلْقِ والرَّزْقِ. ينظر: سمير القاضي، **المُلخّص النقيّ لشروح الفقه الأكبر من كلام الماتريدية وأهل المذهب الحنفيّ**، (ص ٣٧).

وقال الكاسانيّ: «إنهم فرَّقُوا بينَ صفاتِ الأفعالِ وصفاتِ الذاتِ بقولِهم: «ما يلزمُ بنفيهِ نقيصةٌ فهو من صفاتِ الذاتِ، وما لا يلزَمُ بنفيهِ نقيصةٌ فهُو من صفاتِ الفعلِ» اهـ الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، (٣/ ٩). وأبو=

وأنْ يُبيِّنَ سَعَةَ علمِ اللَّه، وأنَّ علمَه لا يُقدَّر بمعلومِ الخلائقِ مقدّمةً لحسمِ مادَّةِ الشَّكِّ في القضاءِ والقَدَرِ من الضَّعَفَةِ أي ضعفةِ الأفهامِ، ولدفعِ تلبيسِ أوهامِ القَدَرِيَّةِ أي المعتزلةِ على العوامِّ، حيثُ قالوا كيف يعذِّب اللَّهُ على ما قضاهُ وقدَّرَهُ[1]، فبيَّنَ الطحاويُّ رحمه اللَّهُ أنَّ اللَّهَ عَلِمَ عددَ من يدخلُ الجنَّةَ، وأنَّهم يُؤمنون ويُطيعون عن اختيارٍ وإيثارٍ، وعَلِمَ عددَ مَن يدخلُ النَّارَ، وأنَّهم يَكْفُرون ويخالفُونَ أوامرَه عن اختيارٍ منهم عندَ وجودِهم وكونِهم بصفةِ البلوغِ والعقلِ، لا عن جبرٍ واضْطِرارٍ.

ويستحيلُ أنْ لا يعلمَ ما يكونُ من مخلوقاتِه قبلَ وجودِهم، ومحالٌ في حَقِّهِ أن يَقْضِيَ بخلافِ ما علم، إذْ في ذلك تجهيلُ عِلْمِهِ، فثبتَ أنه يقضِي بما سبقَ علمُهُ في الأزلِ أنهم يفعلون عن اختيارٍ وإيثارٍ لا عن جبرٍ واضطرارٍ، وكان ذلك منه عدلًا لا ظلمَ فيه[2].

كلٌّ مُيَسَّرٌ لِـمَا خُلِقَ له

أما قولُ المؤلّف رحمه اللَّهُ: (وكلٌّ مُيَسَّرٌ لِـمَا خُلِقَ له) فمعناه

=جعفرٍ الطحاويُّ على مذهب أبي حنيفة في أنَّ صفاتِ الأفعالِ قائمةٌ بذاتِ اللَّه وهي أزليَّةٌ كصفاتِ الذاتِ. وقد تقدّم تفصيل ذلك (ص ٦٧، ٦٨).

(١) الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٩٦١).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «قال الشافعيُّ: إن سلّمَ القدريُّ العلمَ خُصِمَ يعني يقالُ له: أيجوزُ أن يقعَ في الوجودِ خلافُ ما تضمَّنهُ العِلْمُ، فإن منعَ وافقَ قولَ أهلِ السُّنَّةِ وإن أجازَ لزمَه نسبةُ الجهلِ، تعالى اللَّه عن ذلك» اهـ العسقلاني، **فتح الباري**، (١/ ١١٩).

أنَّ كلًّا مِنْ فريقَي السعادةِ والشقاوةِ مُسَهَّلٌ له العملُ الذي اختارَهُ مُزَيَّن ذلك له، وهو لفظُ حديثٍ صحيحِ الإسنادِ، رُوِيَ عن جماعة من الصحابَةِ، وأخرجَه الأئمةُ الأربعةُ فيما رَوَوه وأصحابُ الكتب الستَّةِ وغيرُهم بألفاظ متقاربةٍ، منها ما رُوِيَ عن عليّ بنِ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه ونصُّهُ: «كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ[1] فَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ[2] إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**» فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ» فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[3][4] اهـ ففيهِ الردُّ على الجبريَّةِ والقَدَرِيَّةِ كليهما، فإنَّه ﷺ

---

(١) المِخْصَرَةُ مَا اختصَرَ الإنسانُ بِيَدِهِ فأَمْسَكَهُ مِنْ عَصًا أو عَنَزَةٍ -قريب من العكَّازة- أو عُكَّازَةٍ وَمَا أَشْبَهَها. الأزهري، **تهذيب اللغة**، (٧/ ٥٩).

(٢) قولُه منفُوسَة أيْ مولودة. القاضي عياض، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، (٢/ ٢٢).

(٣) سورة الليل/ ءاية (٥-١٠).

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب موعظة المُحَدِّث عند=

لم يقُل «وكلٌّ مُجْبَرٌ» بل قال «مُيَسَّرٌ» والتَّيسيرُ ضِدُّ الجَبْرِ، لأَنَّ الجَبْرَ لا يكونُ إلَّا عن كُرْهٍ، ولا يأتي الإنسانُ الشَّيءَ بطريقِ التَّيسيرِ إلَّا وهو غيرُ كَارِهٍ لَهُ[1] أي مختارٌ، وقد أخبرَ مع ذلك بأنَّه لا يأتي ولا يعملُ إلَّا بما خُلِقَ لأجلِه فما قدَّرَهُ اللَّهُ تعالى نافذٌ.

قال رحمه الله: (والأعْمالُ بالخَواتِيمِ).

الأعمالُ بالخَواتِيمِ

الشَّرْحُ: العملُ الذي يُجازَى به العبدُ يومَ القيامةِ فيظهرُ أنَّه سعيدٌ أو شقيٌّ هو ما يُختَم له به مِن الأعمال.

وقد وردَ فيما صحَّ من الحديثِ[2] أنَّ الإنسانَ قد يعملُ بعَمَلِ

=القبر وقعود أصحابه حوله، (٢/ ٩٦) (٦/ ١٧١). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته، (٤/ ٢٠٣٩).

(١) العسقلاني، **فتح الباري**، (١١/ ٤٩٨).

(٢) روى البخاريُّ ومسلمٌ مرفوعًا: «**إنَّ أحدَكُم ليَعمَلُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ حتى ما يكونُ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيَعملُ بعَملِ أهلِ النَّارِ فيدخُلُها، وإنَّ أحدَكُم ليعمَلُ بعملِ أهلِ النَّارِ حتَّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ فيدخُلها**». البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [سورة الصافات/ ءاية (١٧١)]، (٩/ ١٣٥). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (٤/ ٢٠٣٦).

أهلِ الشَّقاوَة حتى يُقالَ إنَّه شقيٌّ، ثم تدركُه الرحمةُ فيُختَمُ له بالخير، أي يُخْتَمُ له وهو يعملُ عملَ أهلِ الجنَّةِ، وقد يكونُ العبدُ يعملُ بعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ مدّةً من عمره طويلةً أو قصيرةً، فيَظُنُّ الناسُ على حسبِ ما يرونَ عملَهُ أنَّه من أهلِ الجنَّةِ، ثُم تُدْرِكُه الشَّقَاوَةُ التي كُتِبَتْ له فيموتُ وهو يعملُ عملَ أهلِ النارِ، أي يموتُ كافرًا فيدخلُ النَّار، ويكونُ من أهلِ النَّارِ الخالدينَ المؤبَّدِينَ فيها.

قال رحمه الله: (والسَّعِيدُ مَن سَعِدَ بقضاءِ اللَّهِ تعالى، والشَّقِيُّ مَنْ شَقِي بقضاءِ اللَّهِ تعالى).

الشَّرْحُ: هذا تأكيدٌ لِمَا سبقَ، والمعنى أنَّه لا يكونُ العبدُ سعيدًا أو شقيًّا إلَّا على حَسَبِ ما سبقَ في علمِ اللَّه، فَمَن عَلِمَ اللَّهُ في الأزلِ أنَّه يموتُ على الإيمانِ فهو ميّتٌ على الإيمانِ ولو سبقَ له كفرٌ وضلالٌ وهذا هو السَّعيدُ، ومَنْ علِمَ اللَّهُ أنَّه يموتُ على حالِ الكُفْرِ فهو ميّتٌ على ذلك الحالِ ولو سبَقَ له إيمانٌ وطاعةٌ، وهذا هو الشَّقِيُّ.

قال رحمه الله: (وأصلُ القَدَرِ -أي حقيقةُ القَدَرِ- سِرُّ اللَّهِ تعالى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ على ذلك مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، والتَّعَمُّقُ والنَّظَرُ في ذلك ذَرِيعَةُ الخِذلانِ وسُلَّمُ الحرمانِ ودرجةُ الطُّغيانِ، فالحذرَ كلَّ الحذرِ من ذلك نَظَرًا وفِكْرًا ووَسْوَسَةً، فإنَّ اللَّهَ تعالى طَوَى عِلْمَ القَدَرِ عن أنامِهِ، ونَهاهُم عن مَرامِهِ، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ



﴿يُسْأَلُونَ ۝٢٣﴾[1] فمَنْ سأَلَ لِمَ فعَلَ فقدْ ردَّ حُكمَ الكتابِ، ومَنْ ردَّ حُكمَ الكِتابِ كانَ مِنَ الكافرينَ).

الإيمانُ بالقَدَرِ

الشَّرْحُ: لَـمَّا ثبتَ بالنقلِ مِن طريقِ الوَحْيِ معنى قولهِ: (لم يطَّلعْ على ذلك مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ) أوردَ المؤلفُ ما أوردَه مبالغةً في الإخبارِ عن كونِ علمِ القَدَرِ مكتُومًا عن الخلائقِ أجمعينَ أي لا يحيطُ أحدٌ مِنَ الخلقِ عِلْمًا بحقيقةِ القَدَرِ، لأنَّ اللَّهَ تعالى قال في كتابِه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2]، والغيبُ هُو ما غابَ عن حِسِّ الخلقِ، وأُريدَ بهِ في هذهِ الآيةِ جميعُ الغيبِ، فما غابَ عن حسِّ الخلقِ لا يعلمُ جميعَه إلا اللَّهُ.

ولا يُطلِعُ اللَّهُ على ذلك نبيًّا ولا ملَكًا، إنَّما يُطلِعُ على بعضِ الغيبِ مَنْ شاءَ من عبادِه من ملائكةٍ وأنبياءَ وأولياءَ من الإنسِ والجنِّ[3]. ومَنِ اعتقدَ أن أحدًا غيرَ اللهِ يُحيط بالغيبِ علمًا فقدْ كذَّبَ القرءانَ.

وقد ألَّف بعضُ الغلاةِ رسالةً ذكر فيها أنَّ اللَّهَ أطلعَ الرسولَ ﷺ على كلِّ ما يعلمُه بلا استثناءٍ، وهذا غُلُوٌّ شبيهٌ بِغُلُوِّ النصارى في قَوْلِهِمُ اتَّحَدَ اللاهوتُ بالناسوتِ أي اتَّحدَ اللَّهُ بالإنسانِ يَعنُونَ عيسى عليهِ السلامُ. وهذا لا شكَّ مخرجٌ من الإسلامِ.

---

(١) سورة الأنبياء/ ءاية (٢٣).

(٢) سورة النمل/ ءاية (٦٥).

(٣) القشيري، **تفسير القشيري**، (٣/ ٤٧).

وقوله رحمه اللَّه: (**والتعمُّقُ والنَّظَرُ في ذلك ذَرِيعةُ الخِذلانِ وسُلَّمُ الحرمانِ ودرجةُ الطُّغيانِ**) الذَّريعَةُ[1] إلى الشيءِ مَا يُقَرِّبُ منه، والمعنى أنَّ هذا التعمُّقَ والنظرَ يُؤَدِّيانِ إلى الخِذلانِ، ويُوصِلانِ إلى الحِرمَانِ والطُّغيان، كما أنَّ السُّلَّمَ والدَّرجَةَ يُتَوصّل بارتقائِهما إلى ما فوقَهُمَا.

وأمَّا الخذلانُ فهو ضِدُّ التوفيقِ، فَمَن جَهِدَ للوصولِ إلى سرِّ القَدَر فهو علامةٌ على أَنَّهُ مخذولٌ، مَحرومٌ مِن الهدايةِ، واقعٌ في الطُّغيانِ، وهو مجاوزةُ الحدِّ والاعتداءُ.

ثُمَّ أكثرَ المؤلِّفُ رحمه اللَّه التحذيرَ من ذلك بما زادَهُ وهُو قولُه: (**فالحذرَ كلَّ الحذرِ من ذلك نظرًا وفكرًا ووَسْوَسَةً**) أي فليدفعِ الإنسانُ عن نفسِهِ محاولةَ الاطِّلاعِ على ذلك حتى من طريقِ الوَسْوَسَةِ، ولْيَشْغَلْ قلبَهُ بما يحجُزُه عن ذلك، فإنَّ عقلَ الإنسان لا يُدرِك سرَّ القَدَرِ، ومن اعترضَ على اللَّهِ تعالى فقال لِمَ فعل اللَّهُ كذا فقد ضارعَ[2] إبليسَ في اعتراضِه على اللَّه حين أمرَه بالسجودِ لآدمَ عليه السلامُ وصار كافرًا مثلَه، لأنَّه ردَّ قول اللَّهِ تعالى:

---

(١) الذريعةُ في الأصلِ ناقةٌ يستَتِرُ بها رامي الصيدِ، وذلك أن يمشي بجنبها فيرميه إذا أمكنه، وتلك الناقةُ تُسَيَّبُ أوَّلًا مع الوَحْشِ حتى تألفَها، ثُمَّ جُعِلَتْ مَثَلًا لكلِّ شيءٍ أدنى من شيءٍ وقَرُبَ منهُ. ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، (٢١/ ١١).

(٢) قال الفيومي: «المضارعةُ: المشابَهةُ» اهـ الفيومي، **المصباح المنير**، (٢/ ٣٦١).





﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾[1]. هـذا إذا كانَ السـؤالُ مـن بـابِ الاعتراضِ، وأمَّـا السـؤالُ لاستكشـافِ الحكمـةِ فجائـزٌ وذلـكَ كقـول الملائكـةِ الـذي ذكـره الله تعـالى: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[2]، فإنَّـهم سـألُوا الله ليتَعَلَّمُـوا.

قال رحمه الله: (فهَـذِه جُـمْلَةُ ما يَـحْتاجُ إليـهِ مَـنْ هُـوَ مُنوَّرٌ قَلْبُهُ مِـنْ أوليـاءِ اللهِ تعـالى، وهِـيَ دَرَجَـةُ الرَّاسِـخِينَ في العِلْـمِ[3]، لأنَّ العِلْـمَ عِلْمـانِ عِلْـمٌ في الـخَلْقِ مَوْجُـودٌ وعِلْـمٌ في الـخَلْقِ مَفْقُـودٌ، فإنْـكَارُ العِلْـمِ الـمَوْجُودِ كُفْـرٌ، وادِّعـاءُ العِلْـمِ الـمَفْقُودِ كُفْـرٌ، ولا يَثْبُـتُ الإيـمـانُ إلا بقَبُـولِ العِلْـمِ الـمَوْجُـودِ وتَـرْكِ طَلَـبِ العِلْـمِ الـمَفْقُـودِ).

---

(١) سورة الأنبياء/ ءاية (٢٣).

(٢) سورة البقرة/ ءاية (٣٠). قال الطبري: «وقال بعضُ أهلِ العربيَّة: قولُ الملائكةِ: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ على غيرِ وجهِ الإنكارِ منهُم على ربِّهم، وإنَّـما سألُوه ليعلمُوا، وأخبرُوا عن أنفسِهم أنَّـهم يسبِّحُون. وقال: قالُوا ذلك لأنَّـهم كرِهُوا أن يُعصَى الله» ثم قال: «وقال بعضُهم: ذلك من الملائكةِ على وجهِ الاسترشادِ عمَّا لم يعلَمُوا من ذلك، فكأنَّـهم قالوا: «يا ربِّ خبِّرْنا» مسألة استخبارٍ منهم لله، لا على وجهِ مسألةِ التوبيخ» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (١/ ٤٦٩). سؤالهم كان استكشافًا عن الحكمة.

(٣) قال الطبري: «قال أبو جعفر: يعني بالرَّاسخِينَ في العلمِ العلماءَ الذين قدْ أتقنُوا علمَهم ووَعَوْه فحفظُوه حِفظًا لا يَدخلُهم في معرفتِهم وعلمِهم بما علمُوه شَكٌّ ولا لَبسٌ. وأصلُ ذلك من: رسوخِ الشيءِ في الشيءِ، وهُو ثبوتُه وولوجُه فيه. يقال منه: رسخَ الإيمانُ في قلبِ فلانٍ، فهو يَرْسَخُ رَسْخًا ورُسُوخًا» الطبري، **تفسير الطبري**، (٦/ ٢٠٦).



الشّرْحُ: ما ذكرَه الطَّحاويُّ رحمه اللَّهُ تعالى في أمرِ القدرِ هو ما يحتاجُه من حيثُ الجملةُ المسلمُ الذي نوَّرَ اللَّهُ قلبَه بالمعرفةِ الصَّحيحةِ ونالَ بالإيمانِ ولايةَ اللَّهِ العامَّةَ للمؤمنين، فإنَّ الشخصَ مهما رسخَ في العلمِ لا تزيدُ معرفتُه بالقَدَرِ عمَّا هو مذكورٌ في هذهِ العقيدةِ وإن كان يَقْوَى إيمانُه بهِ ويضْعُفُ ولكن بلا شكٍّ ولا ترددٍ.

العِلْمُ عِلْمانِ

وقولُه: **(لأن العلم علمان إلخ)** معناهُ أنَّ اللَّهَ تعالى جعلَ في خلقِه علومًا ضروريةً يعرفُها العبادُ من غير استدلالٍ ونظرٍ، كإدراكِ وجودِ الإنسانِ والحيواناتِ بالمشاهدةِ، وجَعَلَ فيهم إدراكاتٍ يُتَوَصَّلُ إليها بالنظرِ بإعمالِ الفكرِ في خلقِه، وهذا من العلمِ الموجودِ في الخَلْقِ.

فوُجُودُ البَشَرِ هذا مِن العلمِ الضَّرُورِيِّ فإنكارُه كُفْرٌ، كما أنَّ حدوثَ العالَمِ واحتياجَه إلى محدِثٍ له أوجدَه وكوَّنَه هذا من العِلْمِ النَّظَرِيِّ فإنكارُ ذلك كُفْرٌ[1].

وأما العلمُ المفقودُ في الخلقِ فهو ما اختصَّ اللَّهُ بِهِ أي لَمْ يعطِه أحدًا من خلقِه، فَمَنِ ادَّعى نحوَ معرفةِ وقتِ قيامِ الساعةِ والإحاطةَ بالغيبِ فدعواه كُفْرٌ، كيفَ وجبريلُ عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ يومًا فكانَ من جملةِ ما سأله أنْ قالَ: فأخبرني عن الساعةِ، فأجابه

---

(١) قال السيوطي: «البديهيُّ: ما لا يُحْتَاج في تَحْصِيله إلى فِكْرٍ ونَظَرٍ، والضَّروريُّ يُرادِفُه. والكَسْبيُّ: ما يتَوقَّف حُصُوله على الفِكر، والنظريُّ يرادفُه» اهـ السيوطي، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، (ص ١١٧).

رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا الـمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[١].

قال رحمه الله: (ونُؤمِنُ باللَّوحِ والقَلَمِ وبِجَمِيعِ ما فِيهِ قَدْ رُقِمَ).

اللوحُ المحفوظُ والقلمُ الأعلى

الشَّرْحُ: يجبُ على المكلَّفينَ الإيمانُ باللَّوحِ والقَلَمِ. واللوحُ جِرمٌ أي حجمٌ مخصوصٌ تحتَ العرشِ[٢] وقيلَ: فوقَه[٣]، وأمَّا القلمُ فهُو القلمُ الأعلى الذي خُلِقَ بعد الماءِ والعرشِ قبل كلِّ شيءٍ، ثم تلاهُ اللوحُ المحفوظُ.

روى الترمذيُّ وغيرُهُ: «**إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللَّهُ تعالى القَلَمُ، فقال: اكتُبْ، فقال: ما أَكْتُبُ، قالَ: اكتُبْ ما كانَ وما يكونُ إلى يومِ القيامة**»[٤] وأوَّليَّةُ القلمِ هذه نسبيَّةٌ[٥] لا مطلقة، أي أولُ ما خلقَ اللَّه بعدَ الماءِ والعرشِ القلمُ.

وقول المؤلف: (وبِجَمِيعِ ما فِيهِ قَدْ رُقِم) أي نؤمنُ بجميعِ ما كُتِبَ فيه، فالكتُبُ السماويَّةُ كلُّها مكتوبةٌ في اللوحِ المحفوظِ، وكذا

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (١/ ١٩). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقَدَر وعلامة الساعة، (١/ ٣٦).

(٢) القسطلاني، **شرح صحيح البخاري**، (١٠/ ٣٨١).

(٣) العسقلاني، **فتح الباري**، (١٣/ ٥٢٦).

(٤) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب القدر، (٤/ ٤٥٧).

(٥) العسقلاني، **فتح الباري**، (٦/ ٢٨٩).

كلُّ ما يكونُ إلى يومِ القيامة، كما قالَ تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾[1] فُسِّر الإمامُ باللوحِ المحفوظِ[2]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣﴾[3] أي أنَّ الأمورَ الجليلةَ والأمورَ الحقيرةَ كلَّها مكتوبةٌ في اللوحِ المحفوظ[4].

قال رحمه الله: (فَلَو اجتمَعَ الخَلْقُ كُلُّهم على شَيءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تعالى فيهِ أنَّه كائِنٌ ليَجْعَلُوه غَيرَ كائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عليهِ، ولَو اجتَمَعُوا كُلُّهم على شَيءٍ لَمْ يَكْتُبْه اللَّهُ تعالى فِيهِ لِيَجْعَلُوه كائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عليهِ، جَفَّ القَلَمُ بما هُوَ كائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، وما أَخطأَ العَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَه وما أَصابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ).

الشَّرْحُ: وردَتْ ألفاظُه فيما صحَّ عن رسولِ اللَّه ﷺ في بعضِ أحاديثِه[5]، بعضُها بِعَيْنِ اللَّفظِ المَرْوِيِّ، وبعضُها بما هو بمعنى اللَّفظِ المَرْوِيِّ، فيجبُ الإيمانُ بما جاء فيها لا سيَّما وقد تواطأَ أي توافَقَ دليلُ العقلِ وبراهينُه مع دليلِ النقلِ على صحَّتِه.

---

(١) سورة يس/ ءاية (١٢).

(٢) قال النسفي: «﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ عددْناهُ وبيَّناهُ ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾ يعني اللوحَ المحفوظَ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٩٨).

(٣) سورة القمر/ ءاية (٥٣).

(٤) قال النسفي: «﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ﴾ من الأعمالِ ومِنْ كلِّ ما هُو كائنٌ ﴿مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣﴾ مسطورٌ في اللوحِ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٤٠٨).

(٥) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيرِه وشرِّه، (٤/ ٤٥١).



قال رحمه الله: (وعلى العَبْدِ أنْ يَعْلَمَ أنَّ اللّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُه بِكُلِّ كائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذلكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ ناقضٌ ولا مُعقِّبٌ ولا مُزِيلٌ ولا مُغيِّرٌ ولا مُحوِّلٌ ولا ناقصٌ ولا زائدٌ مِنْ خَلْقِه فِي سَمَٰواتِه وأرضِهِ).

علمُ اللّهِ سَبَق بكلِّ كائنٍ من خلقِه

الشَّرْحُ: يجبُ على العبدِ أن يعلمَ أنَّ ما سبقَ في علمِ اللّهِ أنَّه يكونُ فقدْ شاءَ أن يكونَ، أي خصَّصَهُ بالوقوعِ والوجودِ الحادثِ، ونؤمنُ بأنه تعالى قَضَى ما يكونُ من خلقِه، وقدَّرَ كلَّ شيءٍ على ما تقتَضي الحكمةُ البالغةُ من كونِ كلِّ شيءٍ على ما هو به من حُسْنٍ أو قُبْحٍ وطاعةٍ أو معصيةٍ، فيكونُ كلُّ شيءٍ على حسبِ ما شاءَ وعَلِمَ وقدَّرَ، لا يَشُذُّ من العالَمِ شيءٌ عن ذلك.

فلا أحدَ ينقُضُ قضاءَ اللّه، ولا يمنعُه مانعٌ، ولا تتغيَّرُ مشيئتُه ولا تقديرُه، ولا أحدَ يغلِبُه فهو الغالبُ ولا مغلوب وهو القاهرُ ولا مقهورَ.

قال رحمه الله: (وذلك مِنْ عَقْدِ الإيمانِ وأُصُولِ المَعْرِفَةِ والاعتِرافِ بتَوْحِيدِ اللّهِ تعالى ورُبُوبِيَّتِه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾[2]).

---

(١) سورة الفرقان/ ءاية (٢).

(٢) سورة الأحزاب/ ءاية (٣٨). قال الرازي: «﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾=

الشَّرْحُ: في هـذا الاعتقـادِ إثبـاتُ الوحدانيَّـةِ[1] والرُّبُوبيَّـةِ[2] للَّه عزَّ وجلَّ، وفيه نَفْيُ التدبيرِ الحقيقيِّ العامِّ عمَّـا سوى اللهِ تعالى، وهو الاعتقادُ الذي لا يجوزُ لأهلِ السمٰواتِ والأرضِ غيـرُهُ، فإنَّ اللَّهَ تعالى خلقَ كلَّ شيء ودَبَّرَهُ بتقديرِه الأزليّ، كمـا قالَ تعـالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾[3]، والمرادُ بالأمر هنا المفعولُ أي أنَّ الحادثـات كلَّهـا مقـدَّرةٌ بتقدير اللَّه الأزليّ، وفي ذلـك بيـانٌ بأنـه لا خالـقَ لشيءٍ مـن العالَـمِ سـوى اللَّه تعـالى، وتعميـمٌ لـكلِّ شيءٍ فيـه مـن الأجسـام والجواهـرِ والأعـراض أنَّ كلَّ ذلـك مخلـوقٌ للَّهِ عـزّ وجـلّ.

فالخيـرُ والشَّـرُّ والكُفْـرُ والإيمـانُ والطاعـةُ والمعـاصي وغيرُهـا كلٌّ وُجِـدَ بتقديـرِ اللَّهِ وخلقِـه وعلمِـه ومشـيئتِه وقضائِـه وقدرتِـه عَـزَّ وجـلَّ.

=أي كلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدَرٍ، والقدرُ التقديرُ» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (٢٥/ ١٧٠).

(١) الوحدانيَّةُ في حقِّ اللَّه معناها سلبُ أي نفيُ التعدُّدِ عن اللَّه تبارك وتعالى في الذاتِ والصفاتِ والأفعالِ، فلا ذاتَ يشبهُ ذاتَه ولا صفاتٍ تشبهُ صفاتِه ولا فعلَ يشبِهُ فِعْلَه.

(٢) أصلُ الربوبيَّةِ المِلكُ فكلُّ من مَلَك شيئًا فهُو ربُّه. القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (٧/ ١٨٧). إلا أنَّ الربّ معرَّفًا بالألف واللام لا يقال للمخلوق، فالربُّ على الإطلاق هو اللَّه عز وجلَّ لأنه المالك لجميع المخلوقات. أبو منصور البغدادي، **تفسير الأسماء والصفات**، (٢/ ٢٢٨).

(٣) سورة الأحزاب/ ءاية (٣٨).

مخالفةُ المعتزلةِ في مسألةِ القَدَرِ

وخالفت المعتزلةُ أهلَ الحقّ في تعميم هذهِ الآية، فإنَّ جميعَ الأفعالِ الاختياريةِ عندهم مخلوقةٌ لغيرِ اللَّهِ تعالى نعوذُ باللَّه من الشرك، فيكونُ كلُّ فاعلٍ مختارٍ مِن مَلَكٍ وجِنٍّ وإنسٍ وكلِّ ما دبَّ ودرَجَ حتى الكلبِ والخنزيرِ خالقًا لفعلِه بزعمهم، ومنعُوا مع ذلك دخولَ أفعالِ الحيوانات كلِّها تحتَ قُدرة اللَّهِ تعالى، فعندَهم أعطى اللَّهُ تعالى الحيواناتِ القدرةَ على خلق أفعالِها فخرجتْ هذه المقدوراتُ من تحتِ قدرتِه تعالى، وصارَ اللَّهُ بزعمِهم غيرَ قادرٍ على تخليقِها، ومَنْ قالَ بهذا والعياذُ باللَّهِ لا يجوزُ التوقُّف في كُفْرِهِ ولا الشَّكُّ فيه، قال ابن الجوزي في الرد على ابن قتيبة في قوله الفاسد: «قد يغلط في بعض الصفات قومٌ من المسلمين فلا يكفرون بذلك» ما نصُّه: «جحدُه صفةَ القدرة كفرٌ اتِّفَاقا»[(١)] اهـ

ومحالٌ أنْ لا يقدرَ اللَّهُ على تخليقِ ما يقدِرُ على تخليقه عند المعتزلةِ كلُّ ما دبَّ ودَرَجَ.

قال أبُو منصورٍ البغداديُّ[(٢)]: «فمَنْ زعَم أنَّ العِبادَ خالقُون لأكسابِهم -أي أعمالِهم الاختياريةِ التي يكتَسِبُونها- فهو قَدَرِيٌّ مشرِكٌ بربِّه، لدعواه أنَّ العبادَ يخلُقُون مثلَ خلقِ اللَّهِ من الأعراضِ التي هي الحركاتُ والسكونُ في العلومِ والإراداتِ والأقوالِ والأصواتِ، وقدْ قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ في ذمِّ أصحابِ هذا القولِ:

---

(١) العسقلاني، **فتح الباري**، (٦/ ٥٢٣).

(٢) أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٣٢٨).

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾[1]» اهـ

والعجبُ من بعضِ من ينتَسِبُ إلى أهلِ السنَّةِ يمدحون الزمخشريَّ[2] مع أنه أحدُ مشاهيرِ المعتزلة، وكان يقولُ بمقالاتهم

---

(١) سورة الرعد/ ءاية (١٦). قال الطبري في تفسير الآية: «وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ يقول تعالى ذكرُه لنبيّه محمدٍ ﷺ: قلْ يا محمَّدُ لهؤلاءِ المشركينَ: أَخَلَقَ أوثانُكم التي اتخذتـموها أولياءَ من دون الله خَلْقًا كخلقِ الله فاشتبَهَ عليكم أمرُها فيما خَلَقتْ وخَلَقَ الله فجعلتُموها له شركاءَ من أجلِ ذلك، أمْ إنَّما بكُم الجهلُ والذهابُ عن الصوابِ؟ فإنَّه لا يُشكِلُ على ذي عقلٍ أنَّ عبادةَ ما لا يضرُّ ولا ينفعُ من الفعلِ جَهْلٌ، وأنَّ العبادةَ إنَّما تصلُحُ للذي يُرْجَى نفعُه ويُخْشَى ضَرُّه، كما أنَّ ذلك غيرُ مشكِلٍ خطؤُه وجهلُ فاعلِه، كذلك لا يشكِلُ جهلُ من أشرَكَ في عبادةِ من يرزقُه ويكفُلُه ويَمُونه مَنْ لا يقدِرُ له على ضَرَرٍ ولا نفعٍ» ثم قال: «وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ يقول تعالى ذكرُه لنبيّه محمَّدٍ ﷺ: قل لهؤلاءِ المشركين إذا أقرُّوا لك أن أوثانَـهم التي أشركُوها في عبادةِ الله لا تخلقُ شيئًا، فالله خالقُكم وخالقُ أوثانِكم وخالقُ كلِّ شيءٍ، فما وجهُ إشراكِكُم ما لا يخلق ولا يضرُّ؟ وقوله: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾، يقولُ: وهو الفردُ الذي لا ثانيَ له، القهَّارُ الذي يستحقُّ الألوهيَّةَ والعبادةَ، لا الأصنامُ والأوثانُ التي لا تضرُّ ولا تنفعُ» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (١٦/ ٤٠٧، ٤٠٨).

(٢) الزَمخشَريّ محمودُ بنُ عمرَ ولد سنة (٤٦٧هـ) وتوفي سنة (٥٣٨هـ). والزمخشري نِسبةٌ إلى زَمخْشَرَ، وهي قريةٌ من قرى خُوارزم، كان معتزليًّا مجاهرًا ببدعتِه ويدعو إليها، يقول المفسِّر أبو حيان الأندلسي في التحذير منه في سورة النمل في تفسيره «**البحر المحيط**» ضمن أبيات [الطويل]:=

التي هي كُفْرٌ صريحٌ ويتواقحُ في ذمِّ أهلِ السُّنَّةِ حَتَّى سمَّاهم حميرًا مُؤْكَفةً، أي حميرًا وُضِعَ على ظهورِها الإكافُ أي لِتُركَبَ، فلا يجوز وصفُ مثلِه بالإمامِ، عليه من اللَّهِ ما يستحقُّ.

قال رحمه الله: (فَوَيْلٌ لِمَنْ صارَ للَّهِ تعالى فِي القَدَرِ خصيمًا، وأَحْضَرَ للنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ التَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وعادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أثيمًا).

الشَّرْحُ: هذا تصريحٌ بذمِّ من أنكرَ القدرَ واستحقاقِه للويلِ، وفيه تسميتُه خصيمًا للَّهِ، وذلك لأنَّهُ يَدَّعِي مشاركةَ اللَّهِ تعالى في التقديرِ، بل وغلبةَ مشيئةِ العبادِ لمشيئةِ الحقِّ سبحانه، وهو

=فيُثْبِتُ موضوعَ الأحاديثِ جاهلًا ... ويعزُو إلى المعصومِ ما ليسَ لائقَا

ويحتالُ للألفاظِ حتى يديرَها ... لمذهبِ سوءٍ فيه أصبحَ مارِقَا

وفي «**البحر المحيط**» بيانٌ وافٍ للمغالطاتِ والانحرافاتِ التي وقع فيها الزمخشري وقد تتبع عددٌ من العلماء اعتزاليَّاتِه وبيَّنوها كابن عطية والسراج البلقيني وقد ذكر السيوطي في الإتقانِ عن البلقيني أنه قال: «استخرجت من الكشَّافِ اعتزالًا بالمناقيش من تفسيره قولَه: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سورة ءال عمران ءاية (١٨٥)]» اهـ حتى إن الإمام أبا علي السكوني أفرد كتابًا في استخراج الاعتزاليات وتفنيدها مسألةً مسألةً وسماه: «**التمييز لما أودعه الزمخشريُّ من الاعتزال في تفسيرِ الكتابِ العزيز**». ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٧/ ١٧٨). أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، (٨/ ٢٥٢) (٦/ ٨٠) (١/ ١٧٨) (١/ ١٨٢). السيوطي، **الإتقان في علوم القرءان**، (٤/ ٢٤٣).

بإنكارِه القدرَ يلتحِقُ بالثَّنَوِيَّةِ[1] والمجوسِ الذين أثبتوا الشريكَ للَّهِ تعالى، وسببُ ذلك أنَّهُ نظرَ في أمرِ القدَرِ بقلبٍ سقِيمٍ مرتابٍ، أو مكذِّبٍ بما ثبتَ بالأدلَّةِ القاطعةِ، طالبًا للوقوفِ على سرِّ القدرِ المكتومِ، غيرَ مسلِّمٍ للَّهِ تبارك وتعالى في ذلك، فكذَّبَ بمقالتِهِ قولَهُ عزَّ وجلَّ، وصارَ بهذا أفَّاكًا أيْ كذَّابًا[2] أثيمًا أي فاجرًا[3].

أعاذنا اللَّهُ مِن مثلِ ذلك.

قال رحمه الله: (والعَرْشُ والكُرْسِيُّ حَقٌّ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وما دُونَه، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ، وفَوْقَهُ، وقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحاطَةِ خَلْقَهُ).

العرشُ والكرسيُّ

الشّرْحُ: يجبُ الإيمانُ بوجودِ العرشِ والكرسيِّ، لأنَّ اللَّهَ نصَّ عليهما في القرءانِ الكريمِ، ولم يذكرِ اللَّهُ ما حقيقةُ العرشِ وما حقيقةُ الكرسيِّ، فالواجبُ الإيمانُ بأنَّهما جِرمانِ أي جسمانِ مِنَ الأجرامِ العُلْوِيَّةِ، ويكفي ذلك في أصلِ الإيمانِ بهما.

ولا يُلتَفَتُ إلى ما ذهبَ إليه بعضُ أهلِ التأويلِ من أنَّ الكرسيَّ

---

(١) الثنويَّةُ طائفةٌ زعمت أن النُّورَ والظلمةَ صانعان قديمانِ والنورَ منهما فاعلُ الخيرَاتِ والمنَافِعِ والظلامَ فَاعلُ الشرورِ والمضارّ. أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٢٦٩).

(٢) الجوهري، **الصحاح**، (٤/ ١٥٧٢).

(٣) قال النسفي: «﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذَّابٍ ﴿أَثِيمٍ ۝٧﴾ متبالغٍ في اقترافِ الآثامِ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٢٩٨).

عبـارةٌ عـن العلـم، فـأوَّلَ قـولَ اللَّهِ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[1] بـأنَّ معنـاهُ وَسِعَ عِلْمُهُ السمـٰواتِ والأرضَ، فلا معنى لقولِه هـذا ولا عبـرَة بـه، لأنَّ اللُّغَةَ لا توافِقُ على ذلـك، والقـرءانُ الكريـمُ لا يجـوزُ تفسيـرُه بمـا لا توافِقُ اللغةُ عليـهِ، لأنَّ اللَّهَ تعـالى قـال عـن القـرءانِ الكريـم بأنّـه نـزلَ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾[2].

وقولـه: (وهـو مُسـتَغْنٍ عـن العَـرْشِ ومـا دُونَـهُ) نَفَى بـه الحاجـةَ للتَّمكُّن في المكانِ والتحيُّزِ في الجهـةِ وغير ذلـك من سمـاتِ الحدَثِ أي صفـات المخلوقـات، وذلـك لما مرَّ من البراهينِ القطعيةِ في ذلك.

وفيـه ردٌّ على اليهـودِ ومجسـمةِ هـذه الأمـة حيـثُ وصفُـوهُ بالجسـم والاستقرارِ على العرش، واحتجَّ المجسمةُ لذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[3] وليس لَـهُمْ فيهـا حجـةٌ، فإنَّ الآيـةَ مـدحٌ للَّهِ، فإنَّـه تعـالى تمـدَّح بقولـه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ فلا يُحمَـلُ على الاستقرارِ ولا يُفهَـمُ منـهُ، بـل لـو استُعمِلَ لفـظُ الاستواءِ في حـقّ المخلـوقِ الـذي يجوز عليـه الاستقرارُ وأريـد بـه المـدح فلا يكـون المـراد بـه الاستقرار كما في قـول الشـاعر في بشرِ بـنِ مـروانَ[4] [الرجـز]:

---

(١) سورة البقرة/ ءاية (٢٥٥).

(٢) سورة الشعراء/ ءاية (١٩٥).

(٣) سورة طـٰه/ ءاية (٥).

(٤) بشر بن مروان أميرُ العراق الأمويّ كان سَمْحًا جوادًا ولي إمرةَ العراق لأخيه عبدِ الملكِ وله دارٌ بدمشقَ عند عَقَبَةِ الكَتَّان وهو أولُ أمير مات بالبَصْـرَةِ وهو أولُ مَنْ أحدَث الأذان للعيد بالكُوفةِ فأكبـرَ النَّاسُ ذلك وأعظَمُوه ووقفَ الفرزدقُ=

قَـدِ اسْـتَوَى بِشْـرٌ على العِـرَاقِ
مِـنْ غَيْـرِ سَـيْفٍ وَدَمٍ مُهْـرَاقِ[1] اهـ

فليسَ مدحُ بشرِ بنِ مروانَ في هذا البيتِ من حيثُ إنَّه جالسٌ في هذا البلدِ، إذْ لا مدحَ في مجرَّدِ ذلك، إنَّما المدحُ له لأنَّه استولى أي قَهَرَ وهَيْمَنَ وسَيْطَرَ على العراقِ، فالمدحُ إنَّما يكونُ بصفةٍ يمتازُ بها الممدوحُ بحيثُ لا يكادُ يُدانيهِ ولا يُساويه ولا يكافئُهُ فيها غيرُه.

فلا يصحُّ إذًا تفسيرُ الاستواءِ في هذه الآيةِ بالجلوسِ الذي يشتركُ فيه الشريفُ والوضيعُ، ويتَّصِفُ به البشرُ والجِنُّ وغيرُهم، إذ لا مدحَ في ذلك، وإنَّما الذي لا بُدَّ أن يُفْهَمَ مِنَ الاستواءِ من الآيةِ هو القهرُ والاستيلاءُ، إذ هو أشرفُ معاني الاستواءِ وهو مما يليقُ باللَّهِ تعالى.

وتخصيصُ العرشِ بالذِّكْرِ في ءَايَةِ الاستواءِ المذكورةِ ءانفًا وفي قوله عزّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2] هو لتشريفِ العرشِ، إذْ إضافةُ بعضِ الأشياءِ إلى اللَّهِ تعالى تكونُ لتعظيمِ ذلك الشيءِ، كما خصَّ اللَّهُ ناقةَ نبيِّ

=على قبرِه ورثاه بأبياتٍ فما بَقِيَ أحدٌ إلَّا بكى عليه وعُمُرُه نَيِّفٌ وأربعونَ سنةً وكانت وفاتُه سنةَ خمسٍ وسبعينَ للهجرةِ. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (١٠/ ٩٥).

(١) الرازي، **تفسير الرازي**، (٢٢/ ٩).

(٢) سورة الأعراف/ ءاية (٥٤).

اللَّهِ صالح عليه السلام بالذكرِ بالإضافةِ إليه فقال: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾[1] مَعَ كونِ كلِّ النوقِ متساويةً مِن حيثُ الملكيَّةُ للَّهِ تعالى.

و﴿ثُمَّ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[2] ليستْ للترتيبِ في الحدوثِ والوقوعِ والحصولِ، إنَّما هي للترتيبِ في الإخبارِ، ونظيرُ ذلك هو قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ۝٤٦﴾[3] مع أنَّ شهادتَه أي اطّلاعَهُ وعِلْمَهُ أزليٌّ[4].

وقولُ المؤلفِ رحمَه اللَّهُ: **(مُحِيطٌ بكلِّ شيءٍ وفَوْقَهُ)** معناهُ أَنَّ اللَّهَ محيطٌ بكلِّ شيءٍ بالعِلمِ والغَلَبةِ والقهرِ والسُّلطانِ أي المُلكِ، لا محيطٌ كإحاطةِ الحُقَّةِ[5] باللُّؤْلُؤَةِ، فكلُّ شيءٍ تحتَ علمِه وقُدرتِه، وفوقيَّتُهُ تعالى هِيَ فوقيَّةُ القُدْرَةِ والقهرِ[6]، وفي قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ

---

(١) سورةُ الشمس/ ءاية (١٣). قال الرازي: «فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في تخصيصِ تلك الناقةِ بأنَّها ناقةُ اللَّه؟ قلنا: فيه وجوهٌ: قيلَ: أضافَها إلى اللَّه تشريفًا وتخصيصًا كقوله: بيتُ اللَّه، وقيل: لأنَّه خلقَها بلا واسطةٍ، وقيل: لأنَّها لا مالكَ لها غيرُ اللَّه، وقيل: لأنَّها حجَّةُ اللَّه على القوم» اهـ **تفسير الرازي**، (١٤/ ٣٠٦).

(٢) سورة الأعراف/ ءاية (٥٤).

(٣) سورة يونس/ ءاية (٤٦).

(٤) الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، (٣/ ٢٣٦).

(٥) الحُقَّةُ بالضَّمّ: وِعَاءٌ من خَشَب أو عاجٍ أو غيرِهما، مِمَّا يَصلُحُ أنْ يُنْحتَ منهُ. الزبيدي، **تاج العروس**، (٢٥/ ١٧٢).

(٦) لفظُ فَوْق معروفٌ استعمالُه في لغةِ العرب للمنزلَةِ والمرتَبَةِ والقهرِ والقُدرةِ، كما في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾، وكما في قوله تعالى في سورة الزُّخْرُف: ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾، وكما في سورة البقرة:=

﴿ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[1]، وهو معنى العُلُوِّ الذي وصفَ اللهُ به نفسَهُ بقولِه: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾[2].

وقوله: **(وَقَدْ أعجَزَ عنِ الإحاطَةِ خلقَه)** يفيدُ أنَّه لا يحيطُ أحدٌ من الخلقِ بكلّ شيءٍ علمًا، كما صرَّحتْ بذلك الآياتُ والأحاديثُ، ومنها قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾[3]، وحديثُ مفاتِحِ الغيبِ الثابتُ في الصحيحِ[4]، فمن أنكرَ ذلك وادَّعى أنَّ في الخلقِ عديلًا للهِ تعالى يعلمُ كلَّ شيءٍ فهو كافرٌ.

=﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، وكما في قوله تعالى في سورةِ ءالِ عِمرانَ: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾، وكما في سورة الأعراف إخبارًا عن قول قوم فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ۝١٢٧﴾، وكما في سورة النحل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾، ونظير ذلك في كلام العربِ كثيرٌ.

(1) سورة الأنعام/ ءاية (١٨). قال النسفي: «﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ أي الغالبُ المقتدِرُ ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ أي عالٍ عليهم بالقُدرةِ والقَهْرِ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (١/ ٤٩٥).

(2) سورة الأعلى/ ءاية (١). قال النسفي: «﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ نَزِّهْ ذاته عمَّا لا يليق به، والاسم صلة، وذلك بأن يفسَّرَ الأعلى بمعنى العُلُوِّ الذي هو القهر والاقتِدارُ، لا بمعنى العُلُوِّ في المكان» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٦٣٠).

(3) سورة المدثر/ ءاية (٣١).

(4) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾، (٦/ ٥٦).

قال رحمه الله: (ونَقُـولُ إنَّ اللهَ اتَّـخَذَ إبراهيـمَ خَلِـيْلًا، وَكلَّـمَ اللَّهُ مُـوسى تَكْلِيمًـا، إيـمَـانًا وتَصْدِيقًـا وتَسْلِيمًـا).

إبراهيمُ خليلُ اللَّهِ

الشَّرْحُ: نُثْبِتُ لسيِّدِنا إبراهيـمَ عليه السلامُ مرتبةَ الـخُلَّةِ، ولا يلزمُنا مـن ذلـك مـا توهَّـمَهُ النَّصـارى حيـثُ قاسُـوا تسـميتَهُم عيسى عليـه السـلامُ بالولَدِيَّـةِ على اتخـاذِ إبراهيـمَ خليـلًا، وجـوابُ أهـلِ الحـقّ عـن ذلـك أنَّ اتخـاذَ الولـدِ يوجـبُ المجانسـةَ، إذ الولـدُ قـطُّ لا يكـونُ إلا مـن جنـسِ الوالـدِ، واللَّهُ يتعـالى عـن ذلـك، وأمَّـا اتخـاذُ الخليـلِ فلا يُوجـبُ المجانسـةَ بـل يوجبُ القُرْبَ المعنويَّ والكرامةَ[1]، حتى إنَّ الـخُلَّةَ تكونُ بين المـختَلِفَينِ في الجنسِ، كما كانَ يُقـال سَـيفِي خَلِـيلي، هـذا في المخلوقِ مع المخلـوقِ وأما قولُنـا إبراهيـمُ خليـلُ اللَّه أي نالَ مرتبَةً عاليَةً ما نالَـها إلا اثنـان مـن البشـرِ إبراهيـمُ ومحمـدٌ عليهمـا الـصلاةُ والـسلامُ فقَـطْ، وليـس معناهـا صديـقَ اللَّهِ.

موسى كليمُ اللَّهِ

وأما قولُه رحمه اللَّه: (وكلَّـم اللَّهُ موسى تكليمًـا) فهو إثباتٌ لِمَـا جـاءَ بـه القـرءانُ وهـو قولُـه تعـالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[2]، وبِمَـا أنَّ الـكلامَ هُـو حقيقـةً صفـةٌ للَّهِ تعـالى فقدْ أُكِّدَ في الآيـةِ فعلُ (كَلَّمَ) بالمصـدرِ (تكليمًـا)، ولـو أُريدَ بـهِ المجازُ لم يُؤكَّدْ، كمـا لو

---

(١) الماتريدي، تفسير الماتريدي، (٣/ ٣٧٢).

(٢) سورة النساء/ ءاية (١٦٤).

قيلَ: قالَ بيدِه وقالَ برأسِه إذا أشارَ بواحدٍ منهما، فإنَّ العربَ لا يؤكِّدُونَهُ بالمصدرِ فلا يقولونَ مثلًا قال بيدِه قولًا[1].

فمعنى الآيةِ أنَّ اللهَ تعالى أسمَعَ سيدَنا موسى عليه الصلاة والسلام كلامَه الأزليَّ الذي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، بأن أزالَ عنه المانعَ المعنويَّ، فَفَهِم موسى ما شاء اللهُ تعالى له، ولا يقالُ سمع موسى جزءًا من كلامِ اللهِ لأنَّ كلامَ اللهِ واحدٌ.

وقدْ ذهبَ الماتريديَّةُ في تفسيرِ الآيةِ إلى أنَّه تعالى خلقَ كلامًا بحرفٍ وصوتٍ وأسمَعَه سيدَنا موسى عليه السلامُ، ولكنَّهم يثبتُون الكلامَ الذاتيَّ للهِ تبارك وتعالى الذي ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ولا لغةٍ[2].

---

(١) قال السَّكونيُّ في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾: «أكَّد ذلك بالمصدرِ رفعًا للمجازِ، فوجبَ أن يكونَ كلامُه تعالى صفةً له حقيقةً قديمة، لاستحالةِ اتصافِ القديمِ بما يدلُّ على حدوثِه» اهـ السكوني، **التمييزُ لما أودعَه الزمخشريُّ من الاعتزالِ في تفسيرِ الكتابِ العزيزِ**، (١/ ٨٩، ٩٠).

(٢) قال الماتريديُّ: «وقوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ اختُلِفَ فيه: قال بعضُهم: خلقَ اللهُ كلامًا وصوتًا، وألقَى ذلك في مسامِعه. وقال ءاخرون: كتبَ له كِتابًا فكَلَّمَهُ بذلك؛ فذلك معنى قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ لا أنْ كلَّمَه بكلامِه، ولا ندري كيف كان؟ سوى أنَّا نعلمُ أنه أحدَثَ صوتًا لم يكنْ، فأسمعَ موسى ذلك كيفَ شاءَ، وما شاءَ، وممن شاءَ؛ لأنَّ كلامه الذي هُو موصوفٌ به في الأزلِ لا يوصفُ بالحروفِ، ولا بالهجاءِ، ولا بالصوتِ، ولا بشيءٍ مما يوصَفُ بِهِ كلامُ الخلقِ بحالٍ، وما يقال: هذا كلامُ اللهِ إنَّما يُقال على الموافقةِ والمجازِ؛ كقوله: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة/ ءاية (٦)]، ولا سبيلَ له أن يسمعَ=

وهذا بخلافِ ما تقولُه المعتزلةُ، فالمعتزلةُ تنفي الكلامَ عن اللَّهِ تبارك وتعالى وتزعُمُ أنَّ كلامَه ما يخلقُهُ في غيرِه فقط وليسَ له كلامٌ قائمٌ بذاتِه أي ثابت له.

قال رحمه الله: (ونُؤْمِنُ بالمَلائِكَةِ والنَّبِيّينَ والكُتُبِ المُنْزَلَةِ على المُرْسَلينَ ونَشْهَدُ أنَّهم كانُوا على الحَقِّ المُبِينِ).

الإيمانُ بالملائكةِ والنبيّينَ والكتبِ السَّماويَّةِ

الشَّرْحُ: كلامُ المصنِّفِ هذا من قسمِ أصولِ العقيدةِ التي هي سَمْعِيَّةٌ، لأنَّ الاعتمادَ في إثباتِها على النَّقلِ والسَّمعِ ليس على العقلِ، وإنْ كان العقلُ يشهَدُ بصحَّةِ ذلك، كما يشهدُ بصحَّةِ كلِّ ما ثبتَ فيه نصٌّ ولا يُعارضُه.

الإيمانُ بالمَلائِكَةِ الكرامِ عليهم السلام

قال أبو حفصٍ الغزنوي: «الإيمانُ بالملائكةِ أنْ نُؤْمِنَ بأنهم أشخاصٌ روحانيةٌ -ذوُو أرواحٍ- لطيفةٌ في تركيبِ الحيوانِ -أجسامٌ لطيفةٌ أي لا تضبط باليدِ- ينزِلُون ويصعَدُون بأمرِ اللَّه، وليسُوا بنجومٍ مسخَّرةٍ، ولا بأنفُسٍ فلكيةٍ كما ذهبَ إليهِ طائفةٌ من أهلِ الزيغ»[1] اهـ ويجبُ الإيمانُ بأنَّهم ليسُوا ذكورًا ولا إناثًا،

=كلامَ اللَّه الذي هو موصوفٌ به بالأزلِ؛ ولكنَّه على الموافقةِ والمجازِ يقالُ ذلكَ» اهـ الماتريدي، تفسير الماتريدي، (٣/ ٤٢٠).

(١) الغزنوي، شرح عقيدة الإمام الطحاويّ، (ص ١٠٨).

لا يأكلُون ولا يشربُون ولا ينامُون، ولا يتزاوجُونَ ولا يتوالدُون[1]، ولا يختارُون إلا الطاعةَ لا يعصُون اللّهَ ما أمرَهم، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾[2].

وغيرُ صحيحٍ ما يُروَى عن الملَكينِ هاروتَ وماروتَ أنَّهما شرِبَا خمرًا فسكرا ثم قتلا طِفْلًا كانَتْ تحملُه امرأةٌ ثُمَّ ركّبَتْ فيهما الشهوة فوقَعا عليها أي زنيَا بها وسجدا للصنم بل هو كذب وخرافة والعياذ بالله، وما يذكره بعض من المفسّرين في قصّتها أنهما مستثنيان من عصمة الملائكة فهو غلطٌ أيضًا غيرُ مقبول[3].

وإبليسُ ليس من الملائكة بل هو من الجنّ، لكنَّه كان مومنًا في الجنَّة قبل أن يكفرَ باعتراضِه على الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾[4].

ثُمَّ إنَّ الملائكةَ مُوَكَّلون بأعمالٍ شتى، منهُم من هُم مُوَكَّلون بالقَطْرِ -أي المطر- والنَّباتِ، ومنهم مُوَكَّلون بكتابةِ أعمالِ بني ءادمَ، وبعضُهم مُوَكَّلون بِتَوَفِّي الأرواحِ، وبعضُهم مُوَكَّلونَ بحفظِ بني ءادمَ من تلاعُب الجنِّ بهم[5].

---

(١) العسقلاني، **فتح الباري**، (٦/ ٣٠٦).

(٢) سورة التحريم/ ءاية (٦).

(٣) راجع كتابنا: «**قصص لا تليق بالأنبياء**».

(٤) سورة الكهف/ ءاية (٥٠).

(٥) الرازي، **تفسير الرازي**، (٣١/ ٢٩).

الإيمانُ بالنبيِّينَ عليهم السلام

وأمَّا الإيمانُ بالنَّبيِّينَ عليهم السلامُ فهو الإيمانُ بأنَّ اللهَ ارتضاهُم للنبوَّةِ واصطفاهم، وأكرمَهم بالسِّفارة بينَه وبينَ عبادِه بما يُوحِي إليهم، وليست النبوَّةُ بمكتَسَبَةٍ، بل هي عطيَّةٌ خصِيصةٌ مِن الله تعالى وموهبةٌ جعلَها اللهُ لِمَنْ شاءَ من عبادِه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[1].

وهم معصُومُون عنِ التَّحريفِ والتبديلِ والفِسقِ وعن جميعِ ما يوجبُ العزلَ أي عنْ جميعِ ما يكونُ سببًا لتنفيرِ النَّاسِ منهم وعدمِ قبولِ الدعوةِ منهُم.

الإيمانُ بالكُتُبِ السَّماويَّةِ

وأمَّا الإيمانُ بالكُتُبِ السَّماويَّةِ فهُو الإيمان بأنَّها من قِبَلِ اللهِ تعالى، وليس للمَلَك ولا للنبيِّ تصرُّفٌ في النَّظْمِ والمعنَى، لكنَّهما يبلِّغان عن اللهِ تعالى، كما بَلَغَ إليهما وحْيًا وتنزيلًا، وهذه الكتبُ إمَّا رُفِعَت إلى السماءِ وإما حُرِّفت ومُزِّقت، ولم يبقَ بين أيدِي الناس إلا القرءانُ محفوظًا من التحريفِ.

فائدةٌ في عصمةِ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ

اتَّفق المسلمونَ على أنَّ الأنبياءَ عليهم الصلاةُ والسلامُ معصومون مِنَ الكُفْرِ والكبائرِ قبلَ النُّبُوَّةِ وبعدَها.

---

(١) سورة الأنعام/ ءاية (١٢٤).

وأمَّا الصغائرُ فما كان منهَا مِنْ صغائرِ الخَسَّةِ والدَّناءةِ[1] فهُم معصُومون منها قبلَ النبوَّةِ وبعدَها كالكبائرِ بالإجماع.

وما كانَ منها من غيرِ صغائرِ الخسةِ فالجمهور من أهلِ السنَّةِ والجماعةِ قال بجوازِها على الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ موافقةً لظواهرِ بعضِ الآياتِ والأحاديث.

وقالَ بعضُ أهلِ السنة لا يجوزُ عليهم شيءٌ من الصغائرِ سواءٌ كانتْ من صغائرِ الخسَّةِ أم لا وهذا خلاف قول الجمهور، قالُوا وإنَّما أُطْلِقَ على المخالفةِ التي وقعَتْ منْ سيِّدِنا ءادمَ عليهِ السلامُ أنها معصيةٌ لِعُلُوّ شأنِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ[2].

ويجبُ إثباتُ اسمِ المعصيةِ من أجلِ موافقةِ النَّصِّ أي قولِهِ تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾[3]، ونفيُ اسمِ المعصيةِ عن ذلك كُفرٌ لأنَّه رَدٌّ للنَّصِّ قالَهُ بعضُ الحنفيةِ وبعضُ المالكيَّة.

والصوابُ أنَّ ءادمَ وقع في معصيةٍ لكنَّها منَ الصغائرِ التي ليسَ فيها خسَّةٌ ولا دناءةٌ[4].

---

(١) أي التي تُشعِر بدناءةٍ في نفسِ فاعلِها، أي التي يكونُ ارتكابُها منْ شأنِ سَفِلَةِ النَّاسِ وأراذِلِهم.

(٢) ينظر: محمد بن أبي الطيّب الشيرازي، **شرح قصيدة السبكي النونيّة**، (ص٣٥١، ٣٥٢).

(٣) سورة طـٰه/ ءاية (١٢١).

(٤) ينظر: ابن فورك، **مجرد مقالات الأشعري**، (ص١٨٢).

قال القاضي عياض: «أجمعَ المسلمونَ على عصمةِ الأنبياءِ من الفواحشِ والكبائرِ الموبقاتِ، ومستنَدُ الجمهورِ في ذلك الإجماعُ الذي ذكرناه» ثم قال: «وأمَّا الصغائرُ فجوَّزها جماعةٌ من السلف وغيرِهم على الأنبياءِ، وهو مذهبُ أبي جعفرٍ الطبري وغيرِه من الفقهاءِ والمحدِّثين والمتكلِّمين، وسنورد بعد هذا ما احتجُّوا به» ثُم قال: «وذهبتْ طائفةٌ أخرى من المحقِّقين من الفقهاءِ والمتكلِّمين إلى عصمتِهم من الصغائرِ كعصمتهم من الكبائرِ» ثم قال: «وقال بعضُ أئمتِنا: ولا يجبُ على القولين أن يُخْتَلَف أنهم معصومُون عن تكرارِ الصغائر وكثرتِها، إذ يُلْحِقُها ذلك بالكبائرِ، ولا في صغيرةٍ أدّت إلى إزالةِ الحشمَةِ وأسقطت المروءةَ وأوجبت الإزراءَ والخساسةَ، فهذا أيضًا مما يُعصَم عنه الأنبياءُ إجماعًا»[1] اهـ

وقال تاج الدين السبكي [الكامل]:

قالُوا وتَـمْتَنِعُ الصَّغائِرُ مِنْ نَبِيٍّ (م)[2]
لـلإلـــهِ وعنـدَنـا قَـــولانِ

والـمَنْعُ مرويٌّ عن الأستاذِ والقَاضي (م)
عِيَـــاضٍ وهْـــو ذُو رُجْحــانِ

وبـهِ أقـــولُ وكـــانَ مَذْهَبَ والـدِيْ
دَفْعًـــا لرُتْبَتِهِـم عــنِ النُّقْصـــانِ

---

(١) القاضي عياض، **الشفا**، (٢/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) هذه العلامة إشارةٌ إلى أنَّ البيتَ مدوَّرٌ، والبيت المدوَّر ما اشترك شطراه في كلمةٍ واحدةٍ بأن كانَ بعضُها من الأولِ وبعضُها من الثاني.

والأشـــعريُّ إمـامُـــنا لكـــنَّنا
في ذا نُخَـالِفُـــهُ بكُـــلِّ لســـانِ

ونقــولُ نحنُ على طريقتِـه ولكنْ (م)
صَحْـــبُه في ذاك طـائِفـــتانِ

بـل قـــالَ بعـضُ الأشعريَّـــةِ إنَّــهم
بُـــرَءاءُ مَعْصُـومُـونَ مِنْ نِســيَانِ[١]

ويـا ليتَـه وافـقَ الإمـامَ أبـا الحسـنِ الأشـعريَّ فـإنَّ هـذا هُـو قـولُ الجمهـورِ، ولكنْ مَـنْ قـالَ بهـذا أو بهـذا لا يخرجُـه عن كونِـهِ مـن أهـلِ السُّنَّةِ والجمـاعَةِ.

وقـالَ بعـضُ مَـن يَنتسِـبُ إلى التصـوُّفِ قـولًا لا يعتبَـرُ فزَعَـم أنَّ ءادَمَ عليـه السلامُ كانَ منهِيًّا ظاهـرًا عـن الأكلِ من الشَّجَرَةِ مأمُـورًا باطنًـا بذلـك، وهـذا دفـعٌ لصريـحِ القـرءانِ ولإجمـاعِ الأُمَّـةِ بمجـرَّدِ الـرأيِ والـهَوَى، فإنَّـا للهِ وإنَّـا إليـه راجعـون.

اختلافُ العلمـاءِ في تعيينِ عددِ الأنبياءِ عليهِم الصَّلاةُ والسلامُ

وقـد اختلـفَ العلمـاءُ في تعـيينِ عـددِ الأنبيـاءِ عليهـم الـصَّلاةُ والـسَّلامُ، فقـالَ بعـضٌ بموجَـبِ حديـثِ ابـنِ حبـانَ[٢] عـن أبي ذَرٍّ

---

(١) التاج السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، (٣/ ٣٨٧).

(٢) ابن بلبان، **الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان**، كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها (٢/ ٧٦).

رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّهم مِائَةُ ألفٍ وأربعةٌ وعِشْرُونَ ألفًا**»، وقالَ بعضٌ الصوابُ أن لا يُعَيَّنَ للأنبياءِ عددٌ معلومٌ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1]، وحذَرًا مِن إدخالِ مَن ليس منهُم إن ذُكِرَ عددٌ أكثرُ من عددِهم أو إخراجِ من هو منهُم إن ذُكِرَ عددٌ أقلُّ من عددهم[2]، والحديث الذي استدلَّ به بعض العلماء على عددهم متكلَّم فيه.

وقوله رحمه الله: (**وَنَشْهَدُ أنَّهم كانُوا على الحَقِّ المُبِينِ**) أي نعلمُ ونعتقدُ في قلوبِنَا ونعترفُ بألسِنَتِنا بأنَّهم أي الأنبياء عليهم السلامُ كانوا على الحقِّ المبينِ أي الواضحِ الذي لا مِرْيَةَ فيه ولا شكّ.

قال رحمه الله: (**ونُسَمِّي أهلَ قِبْلَتِنا مُسْلِمينَ مُؤْمِنِينَ**).

الشَّرْحُ: نُطلِقُ على أهلِ قبلتِنا اسمَ المسلمِين والمؤمنِين، لأنَّا نعرفُ منهُم الاعترافَ بما جاءَ به النبيُّ ﷺ من الدِّين والشَّرع، ونسمعُ أنَّهم يعتقدونَ التوحيدَ والدِّينَ الحقَّ، فنُرَاعِي ظواهرَهم ونكِلُ ضمائرَهم إلى اللهِ تعالى، وبذلكَ وردَ النقلُ عنْ رسولِ الله ﷺ[3].

بيانُ معنى المسلمِ والمؤمن

وفي قولِه هذا بيانُ أنَّ المؤمنَ عند الإطلاق هو المسلمُ، وأنَّ

---

(١) سورة غافر/ ءاية (٧٨).

(٢) التفتازاني، **شرح العقائد النسفية**، (ص ٨٨، ٨٩).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، (١/ ٩٦).




المسلمَ هو المؤمنُ، فالإسلامُ والإيمانُ وإنْ كانا يفترِقان لُغةً[١] فهُما شرعًا متلازمانِ كالظهرِ معَ البطنِ كما حكيَ عن الإمامِ أبي حنيفة[٢] رضيَ اللَّهُ عنه.

فلا يكفِي تصديقٌ بالقلبِ من غيرِ نُطْقٍ باللسان بالشهادتين من غيرِ عذرٍ ولا نطقٌ بغيرِ تصديقٍ بمعنى الشهادتين بالقلبِ، أي لا يكونُ الإنسانُ مؤمِنًا ما لَمْ يكن مُسلِمًا ولا مُسلِمًا ما لَمْ يكنْ مؤمنًا، وعليهِ دلَّ الكتابُ والحديثُ، أمَّا الكتابُ فكقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[٣].

وأمَّا الحديثُ فمثالُه ما في الصحيح من قولِه عليه الصلاة والسلامُ: «**المؤْمِنُونَ يَدٌ على مَنْ سِوَاهُمْ، تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ**»[٤]،

---

(١) قال الرازيُّ: «الإيمان التصديق» اهـ الرازي، **مختار الصحاح**، (ص ٢٢). وقال الزبيديُّ: «أسلم الرجل انقاد» اهـ الزبيدي، **تاج العروس**، (٣٢/ ٣٨٥).

(٢) أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، (ص ٦).

(٣) سورة الذاريات/ ءاية (٣٥، ٣٦). قال النسفي: «﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في القريةِ، ولم يَجْرِ لها ذكرٌ لكونها معلومةً، ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ يعني لوطًا ومن ءامنَ به ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أيْ غيرَ أهلِ بيتٍ، وفيهِ دليلٌ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ، لأنَّ الملائكةَ سمَّوهم مؤمنينَ ومسلمينَ هنا» اهـ النسفي، **تفسير النسفي** (٣/ ٣٧٧).

(٤) «**تَكَافَأُ دِمَاؤُهُم**» يريدُ أنَّ دماءَ المسلمينَ متساويَةٌ في القِصاصِ والقَوَدِ، يُقَادُ الشَّريفُ منهم بالوَضِيعِ، والكبيرُ بالصَّغيرِ، والعالِمُ بالجاهِلِ» اهـ الخطابي، **معالم السنن**، (٤/ ١٦).



وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ»[1]، وكما في حديثِ الشَّفاعةِ: «**يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2] الحديثَ، وكقولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: «**الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ واحِدٍ**»[3] الحديثَ.

ولذلك أيضًا سَمَّى الصحابةُ سيدَنا عمرَ رضي اللهُ عنه أميرَ المؤمنينَ، إذْ قيل له: نحنُ المؤمنونَ وأنتَ أميرنا فأنتَ أمير المؤمنين فأمضى ذلك[4]، وأجمعَ الصحابةُ رضوانُ اللهِ عليهم فَمَنْ بعدَهُم على تسميةِ الخليفةِ به.

وإذا سُئِلَ المسلِمُ هل هو مؤمنٌ فَلْيَقُلْ نعم أنا مؤمنٌ، ثُمَّ إنِ استَثْنى مع ذلك فقالَ: (إن شاءَ اللَّهُ) لَمْ نحكُمْ عليه بأنَّه شاكٌّ لمجردِ ذكْرِ الاستثناءِ، فإنَّهُ قد يقولُ ذلك على وجهِ التفويضِ إلى اللَّهِ تعالى باعتبار الخاتمة وهُو كثيرٌ[5].

---

(١) عبد الرزاق، **المصنف**، كتاب العقول، باب قود المسلم بالذمّي، (١٠/ ٩٩).
الحاكم، **المستدرك**، كتاب قسم الفيء، (٢/ ١٥٣).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾، (٩/ ١٤٨).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتابُ البرِّ والصلةِ والآدابِ، بابُ تراحُم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ٢٠٠٠).

(٤) ابن رسلان، **شرح سنن أبي داود**، (٨/ ٣٦١).

(٥) قال الزركشي: «في الاستثناء في الإيمان مذاهبُ: أحدُها: عدمُ الجوازِ وهو رأيُ أبي حنيفةَ وجماعةٍ لأنَّه شَكٌّ، والشَّكُّ في الإيمانِ كُفْرٌ. والثاني: الوجوبُ نظرًا إلى الموافاةِ وهي مجهولةٌ. والثالثُ: الجوازُ وهو قولُ أكثرِ السَّلَفِ وحُكِيَ عن عمرَ وابنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنهما، وعليه الشافعيةُ والمالكيَّةُ والحنابلةُ=

ثم قال رحمه الله: (ما داموا بما جاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، ولهُ بِكُلِّ ما قالَهُ وأخْبَرَ مُصَدِّقِينَ غَيْرَ مُنْكِرِينَ).

الشَّرْحُ: هذا ليُوضحَ به ما قَبْلَهُ، أَيْ حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ مجردَ التَّوَجُّهِ إلى قِبْلتِنا لا يدلُّ على حقيقةِ الإيمانِ بالنبيِّ ﷺ، لأنَّ كثيرًا من النَّاسِ يتوجَّهون إلى قِبْلتِنا وليسُوا منَّا ولا على دينِنا، وذلك كالقَدَرِيَّةِ يزعُمُونَ وجودَ كثيرٍ من الأشياء من غيرِ مشيئةِ اللَّه تعالى، وقد كفَّرَهم الأئمةُ الأربعةُ وغيرُهم بل اتَّفَقَ السلفُ على ذلك[1]، فما

=والأشعريُّ وأصحابُ الحديثِ كسفيانَ الثوري وأحمدَ» اهـ الزركشي، **تشنيف المسامع**، (٤/ ٨٧١). قال النوويُّ: «اختلَفَ العلماءُ منَ السَّلَفِ وغيرِهم في إطلاقِ الإنسانِ قولَه أنا مؤمنٌ، فقالتْ طائفةٌ لا يقولُ أنا مؤمنٌ مقتَصِرًا عليه بلْ يقول أنَا مؤمنٌ إن شاء اللَّه، وحكى هذا المذهبَ بعضُ أصحابنا عن أكثرِ أصحابِنا المتكلّمينَ، وذهبَ ءاخرون إلى جوازِ الإطلاقِ وأنَّه لا يقول إن شاءَ اللَّه وهذا هو المختارُ وقولُ أهلِ التحقيقِ، وذهبَ الأوزاعيُّ وغيرُه إلى جوازِ الأمرين، والكلُّ صحيحٌ باعتباراتٍ مختلفةٍ، فمن أطلقَ نظرَ إلى الحالِ وأحكامُ الإيمانِ جاريةٌ عليه في الحالِ، ومن قال إن شاءَ اللَّه فقالُوا فيه هُو إما للتبرُّكِ وإما لاعتبارِ العاقبةِ وما قدَّرَ اللَّه تعالى، فلا يدري أيثبُت على الإيمانِ أم يُصرَفُ عنه، والقول بالتخييرِ حسنٌ صحيحٌ نظرًا إلى مأخذِ القولينِ الأوَّلَينِ ورفعًا لحقيقةِ الخلاف» اهـ النووي، **شرح مسلم**، (١/ ١٥٠).

(١) عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال: «كلامُ القَدَريَّةِ كُفْرٌ» اهـ اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، (٤/ ٧١٣). وعن أحمد بن حنبل أنه قال: «علماء المعتزلة زنادقة» اهـ ابن الجوزي، **مناقب الإمام أحمد**، (ص ٢١٣). وقال أبو منصور البغدادي: «أصحابُنا أجمعوا على تكفير المعتزلة» اهـ أي الذين يقولون العبد يخلق أفعاله ونحوهم.

بالُ بعضِ المتأخرين يخالفُونَ ذلك ويقولُون إنَّ القدريَّةَ لا يكفُرون ببدعتِهم، وهذا شنيعٌ.

ومثَّلَ الفقيهُ نجمُ الدين منكُوبَرس الحنفيُّ في شرحه على الطحاويَّة لِمَنْ ينتسِبُ إلى الأمَّةِ المحمديةِ وهُم ليسوا مؤمنين بالقدريَّةِ فقال: «ولو صَلَّوْا -أي صورةً- لأنهم زعمُوا أنَّ العبادَ يخْلُقُون أشياءَ من غير مشيئةِ الله» ثم قال: «وكمَنْ يزعُم أن صانعَ العالَمِ جسمٌ على صورةِ البَشَرِ، وكمن يَدَّعِي من النَّاسِ أنَّ المحبَّةَ تُزيلُ التكليفَ»[1] اهـ أي كالذين يَدَّعُون الإسلام ويزعمونَ أنَّ الإنسانَ إذا صَفَا باطنُه بِحُبِّ اللَّهِ تعالى سقطَ عنهُ التكليفُ فليس عليه التقيُّدُ بالأوامرِ والنَّواهي والعياذُ بالله، بمعنى أنه لو تركَ الصلاةَ لا يُؤاخذُ على قولهم ولو زَنَى لا يؤاخَذُ فهؤلاءِ كفارٌ، وهُم طائفةٌ من المتصوِّفَةِ أي الذين يتشبَّهُون بالصُّوفيَّةِ وهُم ليسُوا صُوفيَّةً في الحقيقةِ والتصوُّفُ الحقيقيُّ بريءٌ منهم وهو كما قال الجنيدُ إمام الصُّوفية رضي الله عنه: «التَّصوُّف استعمال كلِّ خُلُقٍ سَنِيّ، وتركُ كلِّ خُلُقٍ دنِيّ»[2] اهـ وقال أبو عليٍّ الرُّوذَبَارِيّ: «الصوفيُّ من لبِسَ الصوفَ على الصَّفا، وأذاقَ الهوى طعمَ الجفا، ولزِمَ طريقَ المصطفَى، وكانت الدُّنيا منه على القَفَا»[3] اهـ

(١) نجم الدين منكوبرس، النور اللامع، (٢/ ٨٠٧).

(٢) التاج السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، (ص ٩٤).

(٣) التاج السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، (ص ٩٤).

قال رحمه الله: (ولا نَخُوضُ فِي اللَّهِ ولا نُمارِي في دِيْنِ اللَّهِ).

النهيُ عنِ التفكُّرِ في ذاتِ اللَّهِ

الشَّرْحُ: لا نتفكَّرُ في ذاتِ اللَّهِ وقد مُنِعْنَا عن ذلك[1]، لأنَّ التفكُّر في ذاتِ اللَّه يؤدِّي إلى الحَيْرَةِ والضَّلالِ وإلى تشبيهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، لأنَّهُ عندما ينقُلُ ذهنَه من تخيُّلٍ إلى تخيُّلٍ حتى يصلَ إلى شيءٍ ويقفَ عندَه ويظُنَّ أنَّ اللَّهَ مثلُ ذلك الشيء يكونُ قد شبَّه اللَّهَ بخلقِه.

وظهرَ بهذا أنَّ تنزيهَ اللَّهِ عن مشابهةِ الخلقِ بقولِ إنَّ اللَّهَ موجودٌ أزليٌّ أبديٌّ لا يتَّصفُ بشيءٍ من صفات البَشَرِ، وأنَّه يَرَى بلا حدَقَةٍ ويسمَعُ بلا صِمَاخٍ[2] وأُذُنٍ، ويتكلَّمُ كلامًا ذاتيًّا ليسَ حرفًا ولا صوتًا، ونحوِ ذلك من مقالاتِ علماءِ أهلِ السنَّةِ من السَّلَفِ والخَلَفِ، ليس من التفكُّرِ في ذاتِ اللَّه المنهيِّ عنه والخوضِ المذموم فيه، بل هُو بُعْدٌ عن ذلك وأخذٌ بقولِه تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[3] ومُوَافَقَةٌ له.

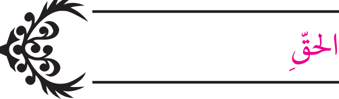
وقد تقدَّم قولُ الشافعيِّ رضي اللَّه عنه: «من انتهَضَ لطَلَبِ مُدَبِّرِه فانتهى إلى موجودٍ يَنْتَهِي إليه فكرُه فهو مشبِّهٌ، وإن اطمأنَّ إلى العَدَمِ الصِّرْفِ فهُو معطِّلٌ، وإن اطمأنَّ إلى موجودٍ واعترفَ

---

(١) وردَ عن ابن عباسٍ رضي اللَّه عنهما أنَّه قالَ: « تفكَّرُوا في كلِّ شيءٍ ولا تفكَّرُوا في ذاتِ اللَّه» اهـ البيهقي، **الأسماء والصفات**، (٢/ ٤٦).

(٢) قال الرازي: «الصِّماخُ بالكسرِ خَرْقُ الأُذُنِ» اهـ الرازي، **مختار الصحاح**، (ص ١٧٩).

(٣) سورة الشورى/ ءاية (١١).

بالعَجْزِ عن إدراكِه فهُو مُوَحِّدٌ»[1] اهـ

وقولُه رحمهُ اللَّهُ: (ولا نُمَاري في دينِ اللَّه) معناهُ لا نجادِلُ في ما يتعلَّقُ بالدِّينِ لغيرِ غرَضِ إحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطلِ، ولا نخاصِمُ أهلَ الحقِّ بإلقاءِ شُبُهَاتِ أهلِ الأهواءِ عليهم للتَّلبِيْسِ عليهم.

وليسَ من المراءِ في الدينِ الاشتغالُ بعلمِ الكلامِ الذي وضعَهُ أئمةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، بل هذا تقريرٌ لعقائدِ أهلِ الحقّ بإيرادِ الأدلَّةِ السمعيَّةِ والعقليَّةِ، فإن كثيرًا من المنحرفينَ عن أهلِ السنَّة والجماعةِ يلجؤُون إلى الاستدلالِ بشُبَهٍ يَعتبرونها حُجَجًا عقليَّةً، فيُحتاجُ أن يقومَ علماءُ أهلِ الحقِّ بتقريرِ الأدلَّةِ العقليَّةِ التي تدحَضُ شُبَهَ هؤلاءِ.

وعَمَلُ هؤلاءِ العُلماءِ لا يقتصرُ على الردِّ على الملحدِينَ المنتَسِبِينَ إلى الإسلامِ، بل يتجاوزُ ذلك إلى رد شُبَهِ الملحدين غيرِ المنتسِبينَ إلى الإسلامِ، وبكلامِهم وتقريراتِهم يستطيعُ قاصرُ الفَهْمِ بالحُجَجِ والبراهينِ أنْ يدحَضَ شُبُهَاتِ أولئك الملحِدينَ المدَّعين أنهم أهلُ الدليل.

فهؤلاءِ العُلماءُ من كان منهُم منَ السَّلَفِ ومَنْ جاءَ بعدَهم هُمُ الذين دافعُوا عن الإسلامِ وعن أهلِ الإيمانِ، وردُّوا بالحُجَجِ النَّقْليَّةِ والعقليَّةِ تمويهاتِ المبتَدِعِينَ والمخالِفِين، فجزاهُم اللَّهُ خيرًا وأجزَلَ لهم الثوابَ، ومِمَّن كانَ في السَّلَفِ مِنْ هؤلاءِ سيدُنا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ والحسنُ البِصريُّ وأبو حنيفةَ النعمانُ بنُ ثابتٍ ومالكٌ والشافعيُّ وخلقٌ ءاخرونَ رضوانُ اللهِ عليهم أجمعينَ.

(١) الزركشي، تشنيف المسامع، (٤/ ٦٤٣).

قال رحمه الله: (ولا نُـجادِلُ فـي القُرءانِ).

الإيمانُ بالقرءانِ الكريمِ وتصديقُه

الشَّرْحُ: لا نجادِلُ في ثبوتِ ما جاءَ القرءانُ به بل نقبَلُهُ ونعلَمُ أنَّه حقٌّ سواءٌ علِمْنا الحكمةَ منه أم لَمْ نَعْلَمْ، فنؤمنُ بكلِّ الآياتِ ونصدِّقُ بكلِّ ما جاءَ به.

قال رحمه الله: (ونَشْهَدُ أنَّهُ كلامُ ربِّ العالَمِينَ، نـزلَ بهِ الرُّوحُ الأَمِينُ فعلَّمَهُ سَيِّدَ الـمُرْسَلِينَ محمَّدًا ﷺ، وهُوَ كلامُ اللَّهِ تعالى، لا يُساوِيْهِ شيءٌ مِنْ كلامِ الـمَخْلُوقِينَ، ولا نَقُولُ بِخَلْقِهِ).

الشَّرْحُ: القرءانُ هُو كلامُ اللَّهِ تعالى وصفتُه الأزليَّةُ الأبديَّةُ القائمةُ بذاتِه أي الثابتةُ له التي لا تُشْبِهُ كلامَ الخلقِ، وهُو المرادُ بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾[1]، فالمرادُ بكلماتِ رَبِّي هنا كلامُ اللَّهِ الأزليُّ الأبديُّ الذي لا يَنْفَدُ، وجُمِعَ اللفظُ -أي كلماتِ- للتَّعظيمِ.

وكذلك يُطلَقُ القُرءانُ كما تَقَدَّمَ على اللفظِ المنَزَّلِ، ويُسَمَّى كلامَ اللَّهِ لأنهُ عِبارَةٌ عن كلامِ اللَّهِ الذَّاتيّ وليس مِن تأليفِ جبريلَ ولا سيدِنا محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ[2]، وهذا اللفظُ هو الذي نَزَلَ

---

(١) سورة الكهف/ ءاية (١٠٩). قال ابن الجوزي: «وإنَّما لم تنفَدْ كلماتُ اللَّهِ لأنَّ كلامه صفةٌ من صفات ذاته، ولا يتطرَّقُ على صفاتِهِ النَّفَادُ» اهـ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٣/ ١١٤).

(٢) العسقلاني، فتح الباري، (١٣/ ٤٩٣).

بـه الـرُّوحُ الأمينُ وهـو جبريـلُ على سيدِنا محمـدٍ ﷺ، قـال تعـالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾[1].

وقولـه رحمـه اللّه: (لا يُسـاويه شيءٌ مـن كلامِ المخلُـوقِين) أي لا يُعادِلُـهُ شيءٌ مِـن كلامِ الـخَلْقِ.

وقولُـه رحمـه اللّه: (ولا نقـولُ بخلقِـهِ) أي يَـمتَنِعُ إطلاقُ القـولِ بخلـقِ القـرءانِ ولـو بقصـدِ اللفـظِ المنـزَّلِ الـذِي لا شَـكَّ في كونِـهِ مخلوقًـا، وذلـك لأنَّ القـرءانَ لـه إطلاقـانِ كما تقـدَّمَ، فـإطلاقُ هـذه العبـارة يُوهِـمُ بـأنَّ الـكلامَ الذَّاتِـيّ أيضًـا مخلـوقٌ، كما قـد يُوهِـمُ بـأَنَّ اللّهَ تعـالى ليـس متَّصِفًـا بـكلامٍ أزليٍّ غيرِ مخلـوقٍ وإنَّمـا كلامُـه هـو اللفـظُ المخلـوقُ فقـط الـذي يُوجِـدُهُ في غيـرِهِ.

قال رحمه الله: (ولا نُـخالِفُ جَـماعَةَ الـمُسْلِمِينَ).

لزومُ جماعةِ الـمُسْلِمِينَ

الشَّرْحُ: المـرادُ بقـولِ المؤلـفِ رحمـه اللّه: (ولا نخالـفُ جماعـةَ المسـلمينَ) امتنـاعُ مخالفـةِ الإجمـاعِ أي إجمـاعِ المجتهديـن، لأنَّهـم لا يُجمعـون على باطـلٍ كما قـال تعـالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ

---

(١) سورة الشعراء/ ءاية (١٩٣، ١٩٤). قال ابن الجوزي: «والمرادُ بالرُّوح الأمين جبريلُ وهو أمينٌ على وحي اللّه تعالى إلى أنبيائه، ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ قال الزجاج: معناهُ: نزلَ عليكَ فوعَاهُ قلبُكَ» اهـ ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (٣/ ٣٤٨).

مَصِيرًا ﴿١١٥﴾[(١)]، وكما ثبتَ عن أبي مسعودٍ البدريِّ رضِيَ اللَّه عنه: «لا يجمعُ اللَّهُ أمةَ محمَّدٍ على ضلالةٍ» اهـ رواهُ الحافظُ ابنُ حجر[(٢)]، ولا يخفى أنَّ العوامَّ مأمورُون باتِّباع المجتهدين[(٣)] وهو يقتَضِي أن يكونَ إجماعُ المجتهدين هُو سبيلَ المؤمنين.

ولا يُلتَفَتُ لمن يقال لهم اللامذهبية الذين يمنعون ويحرّمون تقليدَ المذاهب المعتبرة ومنهم الوهابية حيث قال بعضهم: إن تقليدَ المذاهبِ شِرْكٌ والعياذ بالله، ففتحُوا بابَ الخوضِ للنَّاسِ.

قال رحمه الله: (ولا نُكَفِّرُ أحدًا مِنْ أهْلِ القِبْلَةِ بذَنْبٍ ما لَمْ يَسْتَحِلَّه ولا نَقُولُ لا يَضُرُّ مَعَ الإيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ).

رَدُّ عقيدةِ الخوارجِ

الشّرْحُ: هنا مسألتان إحداهُما الردُّ على الخوارجِ حيث قالُوا بتكفيرِ العاصي لمجردِ ارتكابِ المعصيةِ[(٤)]، فإنَّنا نخالفُهُم في ذلك ونقولُ إنَّ المسلِمَ لا يكفُرُ بما دونَ الكُفْرِ من المعاصِي كبيرةً كانت أو صغيرةً ما لم يدَّعِ جوازَها وكانتْ حرمتُها معلومةً منَ

---

(١) سورة النساء/ ءاية (١١٥). قال السمرقندي: «وفي الآيةِ دليلٌ أنَّ الإجماعَ حُجَّةٌ، لأنَّ من خالفَ الإجماعَ فقد خالفَ سبيلَ المؤمنين» السمرقندي، **تفسير السمرقندي**، (١/ ٣٣٨).

(٢) العسقلاني، **التلخيص الحبير**، (٣/ ٣٠١).

(٣) ابن التلمساني، **شرح المعالم في أصول الفقه**، (٢/ ٥٤).

(٤) ينظر: أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٥٥).

الدِّينِ بالضَّـرُورَةِ.

وقـد اختلـطَ على بعـضِ النَّـاس فهـمُ قـول المؤلـف: **(ولا نُكَفِّـرُ أحـدًا مـن أهـلِ القِبْلَـةِ)** زاعـمين أنَّـه لا يخـرجُ أحدٌ مـن الإسلامِ مـن أهـلِ القبلـةِ إلا بقَصْـدِ الخروجِ منه عالـمًـا.

وليس الأمـر على مـا زعَمُـوا وليس هـذا هـو مـرادَ المؤلِّفِ ويـدُلُّ لذلـك قولُـه: **(بِذَنْـبٍ)** فكلامُـه في معرضِ الـردِّ على الخوارج الذيـن يحكمـون بالكُفْـرِ على مـن ارتكـبَ ذنبًـا ولَـو لَـمْ يستَحِلَّهُ.

وقـدْ أوضـحَ المسـألَةَ الحافـظُ ابـنُ حجـرٍ العسـقلانيُّ بعـد سرد أحاديث الخوارج نـاقلًا عـن الطـبريِّ قولَـه: «فيـهِ الـردُّ على قـولِ مـن قـالَ: لا يخـرجُ أحـدٌ مـن الإسلامِ مـن أهـلِ القِبلـةِ بعـد اسـتحقاقِه حُكْمَـه إلا بقصـدِ الخـروجِ منـه عالـمًـا، فإنَّـه مبطِـلٌ لقولـهِ ﷺ في الحديـث: «**يَقُولُـونَ الـحَقَّ ويَقـرؤُونَ القُـرءانَ، ويَـمْرُقُونَ مِـنَ الإسلامِ ولا يَتعلَّقُـونَ منـهُ بشـيءٍ**». ثـم قـالَ: «وفيـهِ أنَّ مِـنَ المسـلمينَ مـن يخـرجُ مـنَ الدِّيـنِ مـنْ غيرِ أنْ يقصِـدَ الخـروجَ منـه، ومِـنْ غيرِ أن يختـارَ دينًـا على ديـنِ الإسلامِ»[1] اهـ

ويزيـدُ الأمـرَ وُضُوحًـا تفسيـرُ أهـلِ القبلـةِ الـذي ذكـرَه الشـيخُ محمـدُ أنـور شـاه الكشـميري حيـثُ قـال مـا نصـه: «أهـلُ القِبلَـةِ في اصطلاحِ المتَكَلِّمِينَ مـن يُصَـدِّقُ بضَـرُوريّاتِ الدّيـنِ أي الأمـورِ التي عُلِـمَ ثبوتُـها في الشَّـرعِ واشـتهرَ، فمـن أنكـرَ شـيئًا مـن الضَّـرورياتِ كحـدوثِ العالَـمِ وحشرِ الأجسـادِ وعلـمِ اللهِ سـبحانه بالجزئيَّـاتِ

(١) العسقلاني، فتح الباريء، (٢٢/ ٢٥٢-٢٥٦).

وفرضيةِ الصَّلاةِ والصَّومِ لَمْ يكُنْ منْ أهلِ القِبلةِ، ولو كانَ مجاهدًا بالطَّاعاتِ -صورةً-، وكذلك من باشَرَ شيئًا من أماراتِ التَّكذيبِ كسجودٍ للصَّنمِ والإهانَةِ بأمرٍ شرعي والاستهزاءِ عليه، فليسَ من أهلِ القبلةِ؛ ومعنى عدمِ تكفيرِ أهلِ القِبْلةِ أنْ لا يُكفَّرَ بارتكابِ المعاصي ولا بإنكارِ الأمورِ الخفيَّةِ غيرِ المشهورةِ، هذا ما حقَّقَه المحقِّقُون فاحفظْهُ»[(١)] اهـ

وفي «**درر اللوامع في شرح جمع الجوامع**» للكوراني ما نصه: «قوله: ولا نكفّر أحدًا من أهلِ القِبْلَةِ، أقولُ: هذا كلامٌ قد اشتهر بين الناس، ونقل عن الأئمة مثل الشافعي، وأبي حنيفة، وليس على إطلاقِه إذ المجسِّمُ كافرٌ وإن صام وصلَّى، والحاصل: أن كل ما كان وجودُه معتبَرًا في حصول الإيمان نافيه كافرٌ، وإن قال بالتوحيد، وصام وصلَّى»[(٢)] اهـ

ردُّ عقيدةِ المُرجِئَةِ

والثانيةُ الردُّ على المرجِئةِ في قولِهم لا يَضُرُّ مع الإيمانِ ذنبٌ[(٣)] بمعنى أنَّ عصاةَ المؤمنينَ لا يعاقَبُونَ في الآخِرَةِ مهما فعلُوا مِنَ المعاصي، وهُو معانَدَةٌ ظاهرةٌ للشَّريعَةِ وردٌّ للنُّصوصِ وهُو كُفْرٌ. ويكفِي في الردِّ عليهم قولُ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسَّلام: «**يَخْرُجُ**

---

(١) أنور شاه الكشميري، **إكفار الملحدين**، (ص١٧).

(٢) الكوراني، **الدرر اللوامع**، (٤/ ٣٢٧-٣٢٩).

(٣) قال النسفي: «﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢﴾ وفيه ردٌّ على المرجئةِ في قولِهم لا يضرُّ مع الإيمان ذنب» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (١/ ٢٩١).

مِنَ النَّارِ مَنْ قالَ لا إلـٰه إلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَـٰهَ إلَّا اللَّهُ، وفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَـٰهَ إلَّا اللَّهُ، وفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»[١].

قال رحمه الله: (نَرجُو للمُحْسِنِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عنهُم ويُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، ولا نَأمَنُ عليهِم ولا نَشْهَدُ لَهُم بالجَنَّةِ).

الشَّرْحُ: مَنْ رأيناهُ ظاهرًا مُحْسِنًا أي طائعًا نقولُ نرجُو اللَّهَ أنْ يعفوَ عنه ويدخلَهُ الجنَّةَ بلا عذابٍ، ولا نقطَعُ بالحكمِ على واحدٍ منهم بأنَّه لا يُصِيبُه العذابُ في الآخِرةِ ألبتَّةَ، لكنْ نقولُ هذا الإنسانُ إنْ كانَ تقيًّا فإنَّه يدخُلُ الجنَّةَ مِنْ غيرِ عذابٍ.

والمُحسِنُون هُمُ المتَّقونَ الذين تحقَّقُوا بالإحسانِ الذي وردَ في حديثِ جبريلَ من قوله ﷺ لَمَّا سألَه جبريلُ عنِ الإحسانِ: «الإحْسَانُ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ»[٢].

ومَن وصلَ إلى هذه الحالةِ فهُو مِنَ الآمنين مِنْ عذابِ اللَّهِ في الآخرةِ، ومعَ ذلك لا نقولُ بالتعيينِ لأحدِهم (فلانٌ من أهلِ الجنَّةِ أو هُو ءامنٌ من عذابِ النارِ) إلَّا مَنْ عَيَّنَهُ الشَّرعُ أي ذكرَه بالاسمِ،

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، (١/ ٢٤).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، (١/ ١٩). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقَدَر وعلامة الساعة، (١/ ٣٦).

لأنَّنـا لم نَطَّلِعْ على باطـنِ حالِـه، بـل نحـنُ نَعْلَـمُ منـه ظاهـرَ حالـه وأخفـى اللَّهُ عنَّـا البواطـنَ والخواتيـمَ، لكـنْ نعتقـدُ أنَّـهُ إنْ تحقَّقَـت لـه صفـةُ الإحسـانِ فهـو ءامِـنٌ مـنْ أهـلِ الجنَّـةِ واللَّهُ أعلـمُ بحالِـهِ، أي فلا نقـولُ في صالـحٍ مِـنَ الصالحين إنَّـهُ مـن أهـل الجنـة بلا تعليـقٍ، أمَّا مع التعليـقِ أي بـأنْ يُقـال هـو من أهـلِ الجنَّـةِ إن شـاء اللَّهُ فلا بـأسَ، وأما مـن حيـثُ الاعتقـادُ فنحـنُ نجزِمُ بـأنَّ المؤمـنَ الـذي وصـلَ إلى هـذه المرتبـةِ فهُـو مقطـوعٌ لـه بدخـولِ الجنَّـةِ بلا عـذابٍ.

قال رحمه الله: (ونَسْتَغْفِرُ لِـمُسِيئِهِم ونَـخافُ عليهِم ولا نُقَنِّطُهُم).

الشّرْحُ: نسـتغفرُ لعُصاةِ المسـلمِين، ونخشَـى عليهم أن يعذِّبَـهم اللَّهُ بذُنوبِـهم إنْ ماتُـوا قبـلَ التوبـةِ منهـا، (ولا نُقَنّطُـهـم) أي لا نجعَلُـهـم ءايِسـينَ مِـنْ رحمـةِ اللَّه، ونقـولُ إنَّ اللَّهَ يغفـرُ لَـهُـمْ إن شـاءَ كمـا قـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[1] أي لا يغفِـرُ الشِّـركَ لـمَنْ مـاتَ عليـه، ويغفـرُ مـا دونَ ذلـك مـن الذُّنـوبِ لـمَنْ مـاتَ ولَـمْ يتُـبْ منهـا لـمَنْ يشـاءُ منهُـم، فبعـضُ عصـاة المسـلمين يغفـرُ اللَّه لهـم وبعضُـهـم يعذِّبُـهـم ثـم يُدْخلُـهـم الجنَّـة.

(١) سورة النساء/ ءاية (٤٨). ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء/ ءاية (٤٨)]: «فحرَّمَ اللَّه تعالى المغفرةَ على من ماتَ وهو كافرٌ، وأرجأَ أهلَ التوحيدِ إلى مشيئتِه، فلم يؤيِّسْهُم منَ المغفِرَةِ» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (٨/ ١٠١).

قال رحمه الله: (والأَمْنُ والإياسُ يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الإسلامِ).

تفسير الأمنِ والإياسِ عند الحنفيَّةِ والماتريديَّة

الشَّرْحُ: الأمنُ مِنْ مكرِ اللهِ واليأسُ من رحمةِ اللهِ يُخرِجانِ من الإيمانِ ويجعَلانِ صاحبَهُما كافرًا.

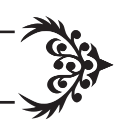
فمعنى الأمنِ من مكرِ الله عند الحنفيةِ أن يجزمَ الشخصُ فيقولَ لا يمكنُ أن أدخلَ النَّارَ أي يجعلُه مستحيلًا، فيقولُ أنا واجبٌ لي دخولُ الجنَّةِ والفوزُ ولا يجوزُ عكسُه، فيجعل كَوْنَ عاقبتِهِ غيرَ ذلك مستحيلًا، ولذلك يحكمُون بأنَّهُ خروجٌ من الإسلامِ، واليأسُ من رحمة الله عندَهُم مقابلُ هذا. فَفِي الأمنِ عمَّا أوعدَ ظَنُّ العجزِ عن العُقُوبَةِ وتنفيذِ وعيدِه، وفي الإياسِ ظَنُّ العجزِ عن الرحمة[1]، وكلُّ واحدٍ منهما ناقلٌ عَنِ المِلَّةِ.

تفسيرُ الأمنِ والإياسِ عند الشَّافعيَّةِ والأشعريَّة

أمَّا الشافعيَّةُ فالأمنُ والإياسُ عندهم كبيرتان لَمْ يعدُّوهُما كُفْرًا ينقلُ عَنِ المِلَّةِ، وذلك لأنَّهم فسَّرُوهُما بغيرِ تفسيرِ الحنفيَّةِ، لأنَّ الأمنَ مِن مَكْرِ اللهِ عندهم هو أن يعقِدَ العبدُ قلبَه أنَّ اللهَ لا يعذِّبُه بل يرحمُه مع علمِه بأنَّه متلوِّثٌ بالذُّنوبِ الكبائرِ واسترسالِه فيها، واليأسُ تفسيرُه عندهم أن يعقِدَ العبدُ قلبَه على أنَّ اللهَ لا يغفرُ له ولا يرحمُه بسببِ الذُّنوبِ التي لم يتُبْ منها.

فتفسيرُ الماتريديَّةِ للأمنِ واليأس غيرُ تفسيرِ الأشعريَّةِ، ومن

(١) البابرتي، شرح العقيدة الطحاوية، (ص ١٠٩).



هنا اختلف الفريقان في الحكمِ على الواقعِ في أحدهما[1].

قال رحمه الله: **(وسَبِيلُ الحَقِّ بينَهُما لأهْلِ القِبْلَةِ).**

الشَّرْحُ: إذا كانَ الأمنُ مِن مكرِ اللَّهِ واليأسُ من رحمتِهِ كفرًا عند الماتريديَّةِ ومعصيةً كبيرةً عندَ الأشاعرةِ، فما هو طريقُ النجاةِ الذي يَنْبَغِي أن يكونَ عليهِ المؤمنُ؟

الجوابُ أَنَّهُ الوقوفُ بالجمعِ بين الحالتَيْنِ الخوفِ والرجاءِ، أي أن يكونَ العبدُ خائفًا راجيًا، يخافُ عقابَ اللَّه على ذنوبِه ويرجُو رحمةَ اللَّه، كما قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2]، قال بعضُ العلماء «لو وُزِنَ خَوْفُ المؤمنِ ورجاؤه لاعْتَدَلا كجناحي الطائر»[3] اهـ

---

(١) قال العطار: «وفي عقائد الحنفيَّةِ أنَّ الإياسَ مِنْ رَوْحِ اللَّه -أي رحمتِه- تعالى كفرٌ، وأنَّ الأمنَ مِنْ مَكرِ اللَّه تعالى -أي عذابِه- أكفرُ، فإنْ أرادوا الإياسَ لإنكار سَعَةِ الرَّحمةِ الذُّنوبَ وبالأمنِ اعتقادَ أنْ لا مَكْرَ فَكُلٌّ منهما كفرٌ وفاقًا؛ لأنَّهُ رَدُّ القرءان، وإنْ أرادُوا أنَّ مَنِ استعظمَ ذنوبَهُ فاستبعدَ العفوَ عنها استبعادًا يدخلُ في حَدِّ اليأسِ، أو غلبَ عليهِ مِنَ الرَّجاءِ ما دخلَ بهِ في حَدِّ الأمنِ فالأقربُ أنَّ كُلًّا منهما كبيرةٌ لا كفرٌ» اهـ حسن العطار، **حاشية العطار**، (٢/ ١٨٨).

(٢) سورة السجدة/ ءاية (١٦). قال البغوي: «قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: خوفًا من النَّارِ وطَمَعًا في الجنَّةِ» اهـ البغوي، **تفسير البغوي**، (٦/ ٣٠٦).

(٣) القشيري، **الرسالة القشيرية**، (١/ ٢٦٠).



وقال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[2].

وهذا أيضًا يدلُّ على عدمِ صحَّةِ قولِ من يقولُ إنَّنا لا نعبُدُ اللَّهَ خوفًا من نارِه ولا رغبَةً في جنَّتِهِ بل نعبُدُه لأنَّهُ يستَحِقُّ العبادةَ، فإنَّ قولَهم هذا لا أصلَ له وليسَ صحيحًا، بل الصَّحيحُ أنْ يقالَ نعبُدُ اللَّهَ لأنَّه يستحِقُّ العبادةَ وخوفًا من نارِه ورغبةً في جنَّتِه، فهذا هو الموافقُ لهذهِ النُّصوصِ القرءانيَّةِ.

قال رحمه الله: (ولا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإيمانِ إلا بِجُحُودِ ما أدْخلَهُ فِيهِ).

التحذيرُ من الردَّةِ بعد الإسلامِ

الشَّرْحُ: المؤمنُ لا يَخْرُجُ مِنَ الإيمانِ إلا بجُحُودِ ما أدخلَه في الإيمانِ، وذلك لأنَّ الإيمانَ هو التصديقُ والقَبُولُ، فَمَنْ ترك ذلك لسببٍ مِنَ الأسبابِ إمَّا باعتقادِ ما يُنَافي ذلك، أو بفعلِ شيءٍ يدلُّ على الاستخفافِ بِدِينِ اللَّهِ كَرَمْيِ المصحَفِ في القاذورةِ قال ابن عابدين: «وإن لم يقصد الاستخفاف لأن فعله يدلُّ على الاستخفاف»[3] اهـ أو السجودِ للصنمِ، أو بقولٍ يَدلُّ على الاستخفافِ باللَّهِ كَسَبِّهِ تعالى أو سَبِّ نَبِيٍّ مِن أنبيائه عليهم السلامُ، أو جَحْدِ

(١) سورة الإسراء/ ءاية (٥٧).

(٢) سورة الأنبياء/ ءاية (٩٠). قال الطبري: «رغَبًا في رحمةِ اللَّه، ورهَبًا من عذابِ اللَّه» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (١٦/ ٣٨٩).

(٣) ابن عابدين، **حاشية ابن عابدين**، (٤/ ٢٢٢).




نَـصٍّ مِـنَ القـرءان أو سُـنَّةِ رسـولِه ﷺ فقـد كفَـرَ.

قال النـوويّ: «الـردّةُ قطعُ الإسـلامِ بنيـةٍ أو قـولٍ أو فعـلٍ كسـجودٍ لصنـمٍ واسـتخفافٍ بالمصحـفِ أو الكعبـةِ»[١] اهـ وقـال الشربيـني: «ويحصـلُ قطعُـه أي الإسلامِ بأمـورٍ: نيـةُ كُفـرٍ أو فعـلُ كُفْـرٍ أو قـولُ كُفْـرٍ سـواءٌ أقالـه استهـزاءً أم اعتقـادًا أم عنـادًا»[٢] اهـ وقـال الدِّمياطـيُّ: «وحاصـلُ الكلامِ على أقسامِ الردَّةِ أنَّـها تنحصـرُ في ثلاثـةٍ: اعتقاداتٍ وأفعـالٍ وأقـوالٍ، وكلُّ قسـمٍ منهـا يتشـعَّبُ شُـعَبًا كـثيرةً»[٣] اهـ

ويجـبُ على مـن وقـعَ في ردةٍ الرجوعُ إلى الإسلامِ بالنُّطقِ بالشـهادتينِ مع تـركِ مـا هـو سـببُ الـردَّةِ، قـال ابـن المنـذر: «وأجمـعَ كلُّ مـن نحفـظُ عنـه أنَّ الكافـرَ إذا قـال لا إلـه إلا اللّه وأنَّ محمـدًا عبـدُه ورسـولُه أنَّـه مسـلمٌ»[٤] اهـ

قال رحمه الله: (والإيـمـانُ هُوَ الإقْرارُ باللِّسانِ والتَّصْدِيقُ بالـجَنانِ[٥]).

تعريفُ الإيمانِ

الشّرْحُ: تعريفُـه للإيمـانِ مأخـوذٌ مـن قولِـه ﷺ: «أُمِـرْتُ أنْ أُقَاتِـلَ

---

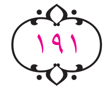
(١) النووي، **تحرير ألفاظ التنبيه**، (ص ٣١٢).

(٢) الخطيب الشربيني، **الإقناع**، (٢/ ٢٠٥).

(٣) الدمياطي، **إعانة الطالبين**، (٤/ ١٤٩).

(٤) ابن المنذر، **الإجماع**، (ص ١٢٨).

(٥) قال الرازي: «الـجَنَانُ بالفتحِ القَلْبُ» اهـ الرازي، **مختار الصحاح**، (ص ٦٢).



النَّـاسَ حَتَّى يَشْـهَدُوا أنْ لا إلَـهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمَّـدًا رَسُـولُ اللَّهِ»[1]، ويَشْـهَدُوا أي يُقِـرُّوا على وَفـقِ العلـمِ والمعرفـةِ[2]، وفي اللغـة الإيمـانُ هـو التصديـقُ[3] والإسلامُ إقـرارٌ[4] وهـو التسـليمُ لأمـرِ اللَّه تعـالى[5]، فمِـنْ طريـقِ اللغـةِ فـرقٌ بينـهما لكـن لا يكـونُ إيمـانٌ بلا إسلامٍ ولا يوجـدُ إسلام بلا إيمـان وهمـا كالظهـرِ مع البطـن.

قال رحمه الله: **(وجَـمِيعُ مـا صَـحَّ عَـنْ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ مِـنَ الشَّـرْعِ والبَيـانِ كُلُّـه حَـقٌّ).**

الشَّرْحُ: جميعُ مـا أنـزلَ اللَّهُ في القـرءانِ وجميـعُ مـا صـحَّ عـنْ رسـولِ اللَّه ﷺ مـن الشَّرعِ والبيـانِ كُلُّـه حـقٌّ.

قـال الشـيخُ أحمـدُ المرزوقيُّ[6] في عقيدتِـه المشـهورةِ بعقيـدة العوامِّ

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ [سورة التوبة / ءاية (٥)]، (١/ ١٧).

(٢) ينظر: المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، (١/ ٢٣٨).

(٣) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (١٥/ ٣٦٨).

(٤) ابن نصر المروزي، **تعظيم قدر الصلاة**، (٢/ ٥٢٦).

(٥) الفراهيدي، **العين**، (٧/ ٢٦٦).

(٦) هو الشيخُ أحمدُ بنُ محمد ابن السيّد رمضان منصور المالكي المرزوقيّ الحسنيّ، ولد بسنباط في مصر العربية عام (١٢٠٥هـ). قرأَ القرءانَ وحفظه، عُيّنَ مفتيًا للمالكيّةِ بمكةَ البهيّةِ، من كتبه: «عقيدة العوام» و«بلوغ المرام لبيان ألفاظ مولد سيّد الأنام». توفي بمكةَ عامَ (١٢٦١هـ) ودفن بمقبرة المعلاّة. عبد اللَّه مرداد، **مختصر نشر النُّور والزُّهور**، (ص ١١٤).

[الرَّجز]:

وكـــلُّ مـا أتَـــى بِـــهِ الرَّسُـولُ
فحقُّـــــه التسلـــيمُ والقبـــــولُ

وهـذا مأخـوذٌ مـن قولـه تعـالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١).

وفي هـذه الآيـةِ ردٌّ على مـن يُسَمُّون أنفسَهُم قرءانيّين لأنَّـهم يأخذون بزعمهم بالقرءان فقط ويردُّون أحاديثَ رسول اللَّه ﷺ ويمتنعون عن الأخذِ بها مدَّعِين أنهم لا يعرفون هل الرسولُ قالَها أم لا، وهـم في الحقيقـة مكذِّبـون للقـرءان، فـإنَّ القـرءان نـصَّ على الأمـر باتباعِ مـا جاء بـه الرسولُ كما في الآيـةِ المتقدمـة، ثـم كثيـرٌ مـن الأحـكامِ لَـمْ يَـرِدْ تفصيلُها في القرءانِ بـل هـو مأخـوذٌ من السنَّةِ فلا يوجَـدُ في كل القـرءانِ بيـانُ عـددِ ركعـاتِ الصلـواتِ الخمـسِ المفروضـة، فما هـم في الحقيقة إلا ملاحـدةٌ يعمَلُون على هـدمِ الديـن.

قال رحمه الله: (والإيمانُ واحدٌ وأهلُهُ فِي أصلِهِ سواءٌ، والتَّفاضُلُ بينَهم بالخَشْيَةِ والتُّقى ومُخالَفَةِ الهَوَى ومُلازمةِ الأَوْلَى).

هل الإيمانُ يزيدُ وينقصُ

الشّرْحُ: الإيمانُ لَمَّا كانَ هو التصديقَ بما جاءَ بهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ كانَ أصلُه أي القَدْرُ الذي يصحُّ به الإيمانُ غيرَ متفاوتٍ، وإنَّما التفاوتُ في صفتِه، والتفاضلُ في الإيمانِ بين أفرادِ المؤمنين

(١) سورة الحشر/ ءاية (٧).

على حسَبِ تفاضُلِهِم في التُّقَى ومخالفةِ الهوى والإكثارِ من النوافل.

وقال الإمامُ أبو حنيفةَ ومَنْ تبعَه إنَّ الإيمانَ لا يزيدُ ولا ينقصُ[1] ومرادُهم أنَّ أصلَ الإيمانِ الذي لا يتحقَّقُ معناهُ بدونه لا يزيدُ ولا ينقصُ، ومن قالَ الإيمانُ يزيدُ وينقصُ فمرادُه زيادةُ الثباتِ واليقينِ والخشيةِ والورعِ.

قال النوويُّ: «قال المحقِّقُون من أصحابِنا المتكلِّمين نفسُ التصديقِ لا يزيدُ ولا يَنْقُصُ، والإيمانُ الشرعيُّ يزيدُ وينقصُ بزيادةِ ثمراتِه وهي الأعمالُ ونقصانِها، قالُوا وفي هذا توفيقٌ بين ظواهرِ النصوصِ التي جاءَتْ بالزيادةِ وأقاويلِ السلفِ، وبين أصلِ وضعِه في اللغةِ، وما عليه المتكلِّمُون»[2] اهـ

قال رحمه الله: (والمؤمنونَ كُلُّهم أولياءُ الرَّحمـٰنِ، وأَكْرَمُهُم عندَ اللَّهِ أَطْوَعُهُم وأَتْبَعُهُم للقُرءانِ).

الشَّرْحُ: يجوزُ أن يكونَ المقصودُ بقولِهِ رحمه الله: (المؤمنُونَ) المؤمنينَ الكاملِينَ الذين قال اللَّهُ تعالى فيهم في سُورةِ يُونُسَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾[3]، وقال فيهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما يرويهِ عن ربّهِ عزَّ وجلَّ: «مَنْ

---

(١) ينظر: الكوراني، الدرر اللوامع، (٤/ ٢٩٣).

(٢) النووي شرح مسلم، (١/ ١٤٨).

(٣) سورة يونس/ ءاية (٦٢-٦٤).

عَادَى لِيْ وَلِيًّا فَقَدْ ءَاذَنْتُهُ بالحَرْبِ»[١].

فهذهِ الولايةُ ليستْ بمجردِ كثرةِ الطَّاعاتِ، بل هي بالاستقامةِ بلزومِ الطاعةِ، ويتضمَّنُ ذلك معرفةَ ما افترضَ اللهُ على عبادِه منْ علمِ الدّينِ الذي تُصَحَّحُ به العقيدةُ وتُصَحَّحُ به الأعمالُ، وتُتَجَنَّبُ به المعاصي الظاهرةُ والباطنةُ.

وأما مجردُ كثرةِ الصلاةِ والصيامِ وقراءةِ القرءانِ والصدقةِ وكثرةِ الذّكْرِ فلا يبلغُ بها العبدُ الالتحاقَ بهؤلاء الأولياءِ، لِقَوْلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «**رُبَّ قائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ، ورُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيامِهِ الجُوعُ والعَطَشُ**»اهـ رواه ابن حبان[٢].

ويجوزُ أنْ يكونَ الطحاويُّ رحمَه اللَّهُ أرادَ أنْ يَعُمَّ المؤمنين بكلامِه، وأنَّهم كلَّهم أولياءُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، لا على معنَى أَنَّهُم مِن أهلِ الولايةِ الخاصَّةِ وأنَّ أفرادَ المؤمنين كُلَّهُمْ مُتَسَاوُونَ في نَيْلِ درجةِ الأمنِ مِنْ كُلِّ نوعٍ من أنواعِ النَّكَدِ والمشقَّةِ في الآخرة،

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب التواضع، (٨/ ١٠٥). ومعناه أعلمتهُ أنِّي محاربٌ له ومن كانَ اللَّه محارِبًا له هَلَكَ. قال المناوي: «**من عادى**» من المعاداةِ ضدُّ المُوَالاة، «**لي**» مُتَعَلِّقٌ بقوله: «**وَليًّا**» وهو مَنْ تولَّى اللَّهَ بالطَّاعَةِ فتولَّاه اللَّه بالحِفْظِ والنَّصرِ «**فقدْ ءاذنته بالحَرْبِ**» أي أعلمتُه بأنِّي سأحاربُه، ومن حاربَهُ اللَّه فهو هالك» اهـ المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، (١/ ٢٥٥).

(٢) ابن بلبان، **الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان**، كتاب الصوم، (٨/ ٢٥٧).

بـل على معنى أنَّهـم جميعًا مـن أهـلِ الولايـةِ العامَّـةِ، فَإِنَّـهُ تعـالى تَـوَلَّى المؤمـنين أي حَفِظَهُـمْ مِـن العـذابِ الـذي يُعَـذِّبُ بـه الكافريـن.

فالولايـةُ العامَّـةُ أنْ خصّهُـم اللَّهُ بالإيمـانِ وأنّ عصاتَـهم الذيـن سـيعذَّبُون لا بـدَّ أن يرحـمَهم اللَّهُ ويدخلَهـم الجنـةَ بعـد عـذابٍ.

وقولُـه رحمَـه اللَّه: **(وأكرمُهُـم عنـدَ اللَّهِ أطوعُهُم وأتبعُهـم للقرءانِ)** معنـاه أنَّ أكـرمَ المؤمـنينَ عنـدَ اللَّهِ هـو أقواهُـم وأشدُّهم عـملًا وتمسُّكًا بالقـرءانِ، كما قـالَ اللَّهُ تعـالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

قال رحمه الله: **(والإيمـانُ هُـوَ الإيمـانُ بـاللَّهِ وملائِكتِـهِ وكُتُبِـهِ ورُسُـلِهِ واليَـومِ الآخِـرِ، والقَـدَرِ خَيْـرِهِ وشَـرِّهِ وحُلْـوِهِ ومُـرِّهِ مِـنَ اللَّهِ تعـالى. ونَحـنُ مُؤْمِنُـونَ بذلـك كلِّـهِ، لا نُفَـرِّقُ بَيْـنَ أَحَـدٍ مِـنْ رُسُـلِهِ، ونُصَدِّقُهـم كُلَّهم على مـا جَـاؤُوا بِـهِ).**

أركانُ الإيمانِ الستَّةُ

الشَّرْحُ: أهـمُّ أمُـورِ الإيمـانِ القلبيَّـةِ وأعظَمُهـا التصديـقُ بوجـودِ اللَّهِ وملائكتِـه، وأنَّ اللَّهَ تعـالى أنـزَلَ كتُبًـا على النَّبِـيّينَ كلُّهـا حـقٌّ، والتصديـقُ برسُـلِ اللَّهِ كلِّهـم صلـواتُ اللَّه وسلامُـه عليهـم، وأنَّـهُ تعـالى أرسـلهم مُبَشِّـرِينَ وَمُنْذِرِيـنَ، والمـرادُ بالرُّسُـل هنـا مـا يشـملُ الأنبيـاءَ جميعًـا[2] مـن كان نبيًّـا رسـولًا ومـن كان نبيًّـا غير رسـول،

---

(١) سورة الحجرات/ ءاية (١٣).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [سورة البقرة/ ءاية ٨٧]. الرازي، تفسير الرازي، (٣/ ٥٩٤).

وأَنَّـهُ سَـيَبعَثُ النـاسَ للحسـابِ يـومَ القيامـةِ، والتَّصديـقُ بالقـدَرِ خيـرِه وشـرِّه أي بـأنَّ كُلَّ مـا يحصـلُ في الوجـودِ بها في ذلـكَ أعمالُ العبـادِ خيـرُها وشـرُّها، والأشـياءُ الملائمـةُ للطبع كالصحَّـةِ وغيـرُ الملائمـةِ كالمـرضِ فبتقديـرِ اللَّهِ وُجِـدَ.

ثـم المقـدَّرُ منـه حسـنٌ ومنـه قبيـحٌ، ومنـه حلـوٌ ومنـه مُـرٌّ، ونحن مأمُـورون بالرضَـا بقـدرِ اللَّه الـذي هـو صفـةٌ لـه، وأمـا المقـدورُ -أي المخلـوقُ- فمنـه مـا نرضَـى بـه وهـو مـا كانَ حسـنًا شرعًـا، ومنـه مـا نكرهُـه وهـو مـا كان مكروهًـا شرعًـا.

وأخـذَ الإمـام الطحـاوي رحمـه اللَّه قولَـهُ مِـنْ حَديـثِ جبريـلَ الـذي رواه الشـيخان البخـاريُّ[1] ومسـلمٌ[2] وغيـرُهما وهـو حديـثٌ مشـهور فيـه أن جبريـلَ قـال يـا محمـدُ أخبرني مـا الإيمـانُ فقـال ﷺ: «**الإيمـانُ أَنْ تُؤْمِـنَ بـاللَّهِ وملائِكتِـهِ وكُتُبِـهِ ورُسُـلِهِ واليَـوْمِ الآخِـرِ والقَـدَرِ خيـرِه وشـرِّهِ**». ومـعنى الحديـثِ أنَّ أهـمَّ أمـورِ الإيمـانِ القلبيَّـة هـي هـذا القَـدْرُ، وتسـمى أركانَ الإيمـانِ السـتَّةَ لأنها أهـمُّها وأعظمُهـا، مع كـونِ التكذيـبِ بـأيٍّ منهـا كُفْـرًا. وليـس معنى الحديـثِ أنَّ مـن لَـمْ يستحضـرْ هـذه الأمـورَ السـتَّةَ فليـس بمؤمـنٍ أصلًا.

وأمَّـا القَـدْرُ الـذي لا بُـدَّ منـه لحصـولِ أصـلِ الإيمـانِ فهـو الإيمـانُ

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيّ ﷺ، (١/ ١٩).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو وبيان خصاله، (١/ ٤٠).

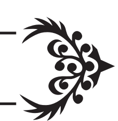
والتصديقُ بوجودِ اللهِ واستحقاقِه وحدَهُ العبادةَ مع التنزيهِ، وبرسالَة محمَّدٍ ﷺ، فَمَن استحضرَ هذا القَدْرَ فقط واعتقدَه اعتقادًا جازمًا مِن غيرِ أنْ يخطُرَ ببالِه ما سوى ذلك من أصولِ الإيمانِ، ومِن غير أنْ يُكَذِّبَ بها فهُو مؤمنٌ سواءٌ عرف الدليلَ على ذلك أم لَمْ يعرفْ[1].

ومعرفةُ الدليلِ على وجود اللهِ واجبٌ على المكلّف، فإن استدلَّ بالدليلِ التفصيليّ أو استدلَّ بالدليلِ الطبيعيّ فهو مؤمنٌ عن دليلٍ، وإن خَلا عن الأمرينِ فهو مؤمنٌ عاصٍ[2].

---

(١) الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، (٨/ ٣٢٦).

(٢) فائدة: ذكر العلماءُ أنَّه يجبُ على كلِّ مكلَّفٍ معرفةُ الدليلِ العقليّ الإجماليّ على وجودِ اللهِ تعالى كأنْ يقولَ الشخصُ في نفسه: الكتابةُ لا بُدَّ لها من فاعل، والبناء لا بُدَّ له من فاعل، والكتابةُ والبناءُ جزءٌ من هذا العالَمِ، فهذا العالَمُ بالأَوْلى لا بُدَّ له من خالقٍ خَلَقَهُ لا يشبِهُه بوجهٍ من الوجوهِ، أو يقولَ في نفسِه أنا كنتُ بعد أن لَمْ أكنْ، وما كانَ بعد أنْ لَمْ يكنْ لا بُدَّ لَه من مكوّن، فإذًا أنَا لا بُدَّ لِي مِنْ مكوّنٍ كَوَّنَني موجودٍ لا يشبِه شَيئًا، وهكذا سائرُ أفرادِ العالَمِ لا بُدَّ لَهَا مِنْ مُكوّنٍ كوَّنها لا يشبِهُها بحالٍ.
أمَّا الدليلُ العقليُّ التفصيليُّ على وجودِ اللهِ تعالى فقَد قال علماءُ أهلِ السنَّةِ يجبُ معرفتُه وجوبًا كفائيًّا وذلك مثلُ أنْ يقالَ: العالَمُ بجميعِ أجزائِه محدَثٌ إذْ هو أعيانٌ وأعراضٌ، فالأعيانُ جمعُ عَينٍ وهو ما له قيامٌ بذاتِه، والعَرَضُ ما لا يقومُ بذاتِه بل بغيرِه، والأعيانُ لا تخلُو من الأعراضِ كالحركةِ والسكونِ، وهذا أمرٌ ظاهرٌ مُدْرَكٌ بالبديهةِ، والحركةُ والسكونُ حادثانِ، لأنَّه بحدوثِ أحدِهما ينعدمُ الآخرُ، فما مِنْ ساكنٍ إلا والعقلُ قاضٍ بجوازِ حركتِه، وما من مُتحرّكٍ إلا والعقلُ قاضٍ بجوازِ سكونِه، فالطارئُ منهما حادثٌ بطروئه، والسابقُ حادثٌ لعدمِه،=

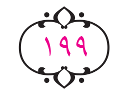


=لأنَّه لو ثبتَ قِدَمُه لاستحالَ عدمُه، فالأعراضُ حادثةٌ، والأعيانُ حادثةٌ، لأنها ملازِمَةٌ للأعراضِ الحادثةِ، وما لا يخلُو عن الحادثِ حادثٌ، لأنَّه لو لَمْ يكن حادثًا لكانَ قبل كلِّ حادثٍ حوادثُ لا أوَّلَ لها وهو محالٌ، لأنَّ وجودَ حوادثَ لا أوَّلَ لها يَسْتلزِمُ استحالةَ وجودِ الحادثِ الحاضرِ، لأنَّ انقضاءَ ما لا نهايةَ له محالٌ، ووجودُ الحادثِ الحاضرِ ثابتٌ بالحِسِّ فبطلَ القولُ بوجودِ حوادثَ لا أوَّلَ لها.

وقد قالَ أهلُ الحقِّ في إبطالِ القولِ بحوادثَ لا أوَّلَ لها ما كفى وشفَى، فمثَّلُوا ذلك بملتزِمٍ قال: لا أعطي فلانًا في اليوم الفلانيّ دِرهمًا حتى أُعطيَه درهمًا قبلَه ولا أعطيه درهمًا قبلَه حتى أعطيَه درهمًا قبلَه وهكذا لا إلى أولَ، فمِنَ المعلومِ أنَّ إعطاءَ الدرهمِ الموعودِ به في اليومِ الفلانيِّ محالٌ لتَوقُّفِه على محالٍ، وهو فراغُ ما لا نهايةَ له من إعطائِه شيئًا بعد شيء، ولا ريبَ أنَّ ادعاءَ حوادثَ لا أوَّلَ لها مُطابِقٌ لهذا المثالِ، فتبيَّنَ أنَّ الأعيانَ حادثةٌ والأعراضَ حادثةٌ، فالعالَمُ حادثٌ له بدايةٌ.

ثُمَّ الحادثُ محتاجٌ إلى محدِثٍ فاعلٍ بالإرادةِ والاختيارِ، ولا يصحُّ أن يكونَ وجودُ العالَم بالصُّدفَةِ، لأنَّ العقلَ يحيلُ وجودَ شيءٍ ما بدونِ فاعلٍ، لأنَّه يلزمُ على ذلك مُحالٌ، وهو تَرَجُّحُ وجودِ الجائزِ على عدمِه بدونِ مرجِّحٍ، وذلك لأنَّ وجودَ الممكنِ وعدمَه متساويانِ عقلًا فلا يترجَّحُ أحدُهُما على مُقَابِلِه إلا بمرجِّحٍ.

وكذلك لا يصحُّ أنْ يكون العالَمُ خلقَ نفسَه، لأنَّ في ذلك جمعًا بين مُتَنافِيَيْنِ، لأنَّك إذا قلتَ خلقَ زيدٌ نفسَه فقدْ جعلتَه قبلَ نفسِه باعتبارٍ ومتأخِّرًا عن نفسِه باعتبارٍ، فباعتبارِ كونه خالقًا جعلتَه متقدِّمًا وباعتبارِ كونه مخلوقًا جعلتَه متأخِّرًا وذلك محالٌ عقلًا، ولا يصحُّ أنْ يكونَ ذلك المحدِثُ طبيعةً لا اختيارَ لها ولا إرادةَ، إذْ لا يتأتَّى منها تخصيصُ الممكنِ بالوجودِ بدلَ العَدَمِ وبوقتٍ دونَ وقتٍ أو بصفةٍ دون صفةٍ.=



صحةُ إيمانِ المقلّد[١]

وقد نقلَ الآمدي في «**الأبكارِ**» اتفاقَ الأصحابِ على انتفاءِ كُفْرِ المقلّدِ في الإيمان، وأنَّه ليس للجمهورِ والمحقّقِينَ إلا القولُ بعصيانِه بتركِ النَّظَرِ إن قدَر عليهِ، مع اتفاقِهم على صحَّةِ إيمانِه، وأنَّه لا تثبتُ نسبةُ القولِ بعدمِ صحةِ إيمانِ المقلّد لأحدٍ من العلماءِ المعتبرين[٢] وأنَّ الإمامَ الأشعريَّ رضي الله عنه يقولُ بإيمانِ المقلّدِ.

قال رحمه الله: **(وأهلُ الكَبائرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ في النَّارِ لا يَخْلُدُونَ إذا ماتُوا وهُمْ مُوَحِّدُونَ، وإنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِيْنَ، بَعْدَ أنْ لَقُوا اللهَ عارِفِينَ مُؤْمِنِينَ وهُمْ في مَشِيئَتِهِ وحُكْمِهِ، إنْ شاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُم بفَضْلِهِ**

=ولا بُدَّ أنْ يكونَ محدِثُ العالَمِ أزَليًّا، لأنَّه لو لَمْ يكنْ أزليًّا للزِمَ حدوثُه فيفتقِرُ إلى محدِثٍ فيلزم الدورُ أو التسلسلُ، وكُلٌّ منهما محالٌ، فالتسلسلُ هو توقُّفُ وجودِ شيءٍ على شيءٍ قبلَه متوقفٍ على شيء قبلَه إلى غير نهايةٍ، وهذا محالٌ كما بيَّنَّا. والدَّورُ توقُّفُ وجودِ الشيءِ على ما يتوقَّفُ وجودُه عليه، وهذا أيضًا محالٌ، لأنَّه يلزمُ عليه تقدُّمُ الشيءِ على نفسِه باعتبارِ توقُّفِ وجودِه على سَبْقِ وُجُودِ غيرِه المسبوقِ بوجودِه هُو، فيكونُ سابقًا لنفسِه بهذا الاعتبارِ، وتأخُّرُه عنها باعتبارِ تأخُّرِ وجودِه عن وجودِ غيرِه المتأخِّرِ عنْ وجودِه هو، فيكونُ متأخِّرًا عن نفسِه بهذا الاعتبارِ، فثبتَ أنَّ لهذا العالَمِ محدِثًا أزليًّا فاعلًا بالإرادةِ والاختيارِ، وهو اللهُ تعالى. ينظر: عبد الله الهرري، **الدليل القويم على الصراط المستقيم**، (ص ٥٣-٦٦).

(١) المقلّد هو الذي ءامن بالله ورسوله إيمانًا جازمًا لكن تقليدًا دونَ معرفة الدليلِ ولو دليلًا إجماليًّا.

(٢) الآمدي، **أبكار الأفكار**، (ص ١٠٧).

كما ذكرَ عزَّ وجلَّ في كتابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، وإنْ شاءَ عذّبَهُمْ في النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخرِجُهُم منها برحمتِهِ وشفاعةِ الشَّافعينَ مِنْ أَهْلِ طاعتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهم إلى جنَّتِهِ، وذلك بأنَّ اللهَ تعالى تَوَلّى أَهْلَ مَعْرِفتِهِ ولَمْ يجعَلْهُم في الدَّارينِ كأَهْلِ نُكْرَتِهِ الذين خابُوا مِنْ هِدايَتِهِ ولَمْ يَنالُوا مِن وِلايَتِهِ، اللَّهُمَّ يا وَلِيَّ الإسلامِ وأهلِهِ ثبِّتْنا على الإسلامِ حتَّى نلقَاكَ بهِ).

أهلُ الكبائرِ منْ أمَّةِ محمدٍ ﷺ

الشَّرْحُ: الكبائرُ عددُها قريبٌ من سبعين معصيةً، عدَّ منها بعض أهلِ العلمِ خمسةً وثلاثين من غيرِ ادِّعاءِ حصرٍ[2]، وأوْصَلَها بعضُهم إلى أكثرَ من ذلك بكثيرٍ، وليس حسنًا، فإنَّ بعضَ ما ذكرُوه منها لا ينطبِقُ عليه حدُّ الكبيرةِ.

وقوله: **(بعد أنْ لَقُوا اللَّه)** معناهُ إذا ماتُوا، لأنَّ لقاءَ اللَّهِ يعبَّرُ به عن الموتِ، لأنَّ العبدَ إذا ماتَ صارَ مهيَّأً لأنْ يَلْقَى جزاءَه.

ومعنى كلامِ الإمامِ الطحاويّ أنَّ مِن أصولِ عقائدِ أهلِ السُّنةِ أَنَّ عصاةَ المؤمنِينَ الذين ماتُوا بلا توبةٍ وكانُوا من أهلِ الكبائرِ فإنَّ اللَّهَ تعالى يُعَذِّبُ قسمًا منهم ويسامحُ قسمًا.

ومَنْ شاءَ عذابَهم فإنَّه لا بد أن يُخرجَهُم من النار، قسمًا بشفاعةِ الشافعينَ من أهلِ طاعتِه إمَّا بشفاعةِ الأنبياءِ وإما العلماءِ

(١) سورة النساء/ ءاية (٤٨).

(٢) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، (ص ٤٧٨).

الأتقياءِ وإما غيرِهم كشهداءِ المعركةِ، وقسمًا بدونِ شفاعةِ أحدٍ بل يُخرِجُهُم اللَّهُ مِنَ النارِ بمحضِ رحمتِه ويُدخِلُهُمُ الجنَّةَ.

وقوله رحمه الله: **(ذلك بأنَّ الله تعالى تَوَلَّى أهلَ معرفتِهِ)** معناهُ أنَّ اللَّهَ يحفظُ أهلَ معرفتِه المؤمنين به ويدافع عنهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1] أي الذينَ ءامنوا وماتوا مؤمنينَ مسلمِين، **(ولم يجعلْهُم)** أي لَمْ يجعلِ المؤمنينَ الذين هُمْ من أهلِ الكبائرِ **(في الدَّارَيْنِ)** الدُّنيا والآخرةِ **(كأهلِ نكرتِه)**، أي الذين ينكِرُون دينَه بالكُفْرِ به أو بأنبيائِه عليهم السلام و**(الذين خابُوا من هدايتِه)** أي لَمْ ينالوا الولايةَ العامَّةَ التي تكونُ للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾[2] وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾[3]، والمرادُ بالفاسقِ هنا الكافرُ لأنَّ رأسَ الفِسْقِ الكُفْرُ[4].

قال النوويُّ: «أجمعَ العلماءُ على أنَّ الكافرَ الذي ماتَ على كُفْرِه لا ثوابَ له في الآخرةِ، ولا يجازى فيها بشيءٍ من عملِه في الدنيا متقرِّبًا إلى اللَّهِ تعالى»[5] اهـ

---

(١) سورة الحج/ ءاية (٣٨).

(٢) سورة الجاثية/ ءاية (٢١).

(٣) سورة السجدة/ ءاية (١٨).

(٤) النسفي، تفسير النسفي، (٣/ ١٠).

(٥) النووي، شرح مسلم، (١٧/ ١٥٠).

وأما قولُه: (اللهمَّ يا وليَّ الإسلامِ وأهلِهِ ثَبِّتْنَا على الإسلام حتّى نلقاك به) فمعناهُ ثَبِّتْنا على الإيمانِ حتى نموتَ، فإنَّ العبرةَ بما يُختَمُ به للعبدِ، ولَمَّا كانَ الموتُ على الإسلامِ هو سببَ النجاةِ قال سيدُنا يوسفُ عليه السلام حين استقرَّ في الملك واجتمعَ بالأهل: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[1] أي اجعلْ خاتِمَتي كخاتمةِ غيري من أنبيائِك الصَّالحينَ[2]، ولا يخفَى أنَّ كلَّ الأنبياءِ مسلمون حتَّى من قبلِ نزولِ الوحيِ عليهم بالنبوَّة فلا يصدرُ من نبيٍّ كفرٌ لا قبلَ النبوَّة ولا بعدها، ففِي دعائِه بالوفاةِ على الإسلامِ تعليمٌ للأمَّةِ[3].

قال رحمه الله: (ونرَى الصَّلاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفاجرٍ منْ أهلِ القِبْلَةِ).

حكمُ الصلاةِ خلفَ التقيِّ والفاسقِ

الشَّرْحُ: المسلمُ الفاجرُ أي الفاسقُ ما دام لم يخرجْ من الإسلامِ بكُفْرٍ يقطعُ الإسلامَ، فإنَّ الصلاةَ خلفَه تصحُّ كما تصحُّ خلف التَّقيِّ وهو البَرُّ لكنْ لا ثوابَ فيها[4].

---

(١) سورة يوسف/ ءاية (١٠١).

(٢) الطبري، **تفسير الطبري**، (١٦/ ٢٧٨).

(٣) أبو حفص النسفي، **التيسير في التفسير**، (٩/ ١٤٣).

(٤) قال النووي: «قال أصحابُنا الصلاةُ وراءَ الفاسقِ صحيحةٌ ليستْ محرَّمةً لكنَّها مكروهةٌ» اهـ النووي، **المجموع شرح المهذب**، (٤/ ٢٥٣).

والفِسقُ أنواعٌ، فكلُّ من كانت به صفةٌ من تلك المعاصي الكبائرِ يُسمَّى فاسقًا، وقد كان بعضُ الصحابةِ يُصَلُّونَ خلفَ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ[1][2] تجنُّبًا للفتنةِ، وكان ظالمًا فاسقًا.

وأما الصلاةُ خلف المبتدعِ الذي وصلتْ بدعتُه إلى حدِّ الكفر فلا تصحُّ[3] مع معرفةِ حاله.

قال رحمه الله: (وعلى مَنْ ماتَ مِنْهُم).

حكمُ الصلاةِ على المسلمِ الفاسقِ

الشَّرْحُ: إن مِمَّا يَعتقدُهُ أهلُ الحقِّ الصلاةَ على المسلمِ الفاسقِ إذا ماتَ، لأنَّ الرسولَ ﷺ أمرَ أصحابَه بالصلاةِ على بعضِ أصحابِ الكبائرِ، كما روى ابنُ ماجه[4] عَنْ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ قَالَ:

---

(١) الأميرُ الظالمُ المشهور، أبو محمدٍ الحجاج بنُ يوسفَ بنِ الحكَم بن أبي عقيلِ بن مسعودٍ الثَّقفيّ، تولَّى قتالَ ابن الزبير رضيَ اللَّه عنه، فقَهَره على مكة والحجاز، وقتلَ ابنَ الزُّبيرِ وصلبَه بمكة سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ، فولَّاهُ عبدُ الملك الحجازَ ثلاثَ سنينَ، وكان يُصلِّي بالناسِ، ويُقيمُ لهم الموسمَ، ثم ولاهُ العراقَ وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنة، فوليَها عشرينَ سنةً، وحطمَ أهلَها، وفعلَ ما فعل. وتوفِّي بواسطٍ ودُفِن بها، وكانَ موته سنةَ خمسٍ وتسعين. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، (١/ ١٥٣).

(٢) السرخسي، **المبسوط**، (١/ ٤٠).

(٣) البلقيني، **حواشي الروضة**، (١/ ٨٣).

(٤) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، أول أبواب الجهاد، باب الغلول، (ص٦١٢، ٦١٣).

تُوُفِّـيَ رَجُـلٌ مِـنْ أَشْـجَعَ بِـخَيْبَـرَ فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «**صَلُّـوا عَلَى صَاحِبِكُـمْ**» فَأَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ وَتَغَيَّـرَتْ لَـهُ وُجُوهُهُـمْ، فَلَمَّـا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: «**إِنَّ صَاحِبَكُـمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» قَالَ زَيْدٌ فَالتَمَسُوا فِي مَتَاعِهِ فَإِذَا خَرَزَاتٌ مِنْ خَرَزِ يَـهُودَ مَا تُسَاوِي دِرْهَـمَيْـنِ». والغلولُ هـو الأخذُ من مـالِ الغنيمـةِ قبلَ القِسـمةِ الشرعيَّـةِ بغيـرِ حـقٍّ.

قال رحمه الله: **(ولا نُنْزِلُ أحدًا مِنْهُم جَنَّةً ولا نارًا).**

الشَّرْحُ: لا نقـولُ بالتعيينِ: فلانٌ مـن أهـلِ الجنَّـةِ ولـو كان صـالحًا مـا لَـمْ يـردْ فيـه نـصٌّ سـمعيٌّ ثابـتٌ، ولا نقـولُ عـن مسـلمٍ عـاصٍ مهمـا بلـغَ في المعصيـةِ: فلانٌ مـن أهـلِ النَّـارِ، لكـنْ نقـولُ إجمـالًا: الأتقيـاءُ يدخُلُـون الجنَّـةَ بلا عـذابٍ ونعلِّـقُ الأمـرَ بالخاتمـةِ.

ونقـولُ في عصـاةِ المسـلمين الذيـن هـم مـن أهـلِ الكبائـرِ وماتُـوا بلا توبـةٍ إنَّـهم تحـتَ مشيئـةِ اللَّه إن شـاء عذَّبهـم وإن شـاء غَفَـرَ لهـم، فقِسـمٌ منهـم سـيعذَّب وقسـم يَغْفِـرُ اللَّه لهـم، فلا نقـولُ بـأنَّ كلَّ العصـاة يعذَّبُـون كما قـال بذلـك الخـوارجُ، ولا نقـولُ كلُّهـم غيـرُ معـذَّبين كما قـال بذلـك المرجئـةُ.

أمَّـا مَـن أخبر عنـهُ الرسـول ﷺ بأنَّـه مـن أهـل الجنَّـةِ فَنُنْزِلُـهُ الجنَّـةَ، أي نحكـمُ لـه بأنَّـه مـن أهـلِ الجنَّـةِ، كالعَشَـرَةِ المُبَشَّـرين وعبـدِ اللَّهِ ابـنِ سلامٍ وكذلـكَ أهـلُ بـدرٍ وأهـلُ الـحُدَيبِيَةِ رضـوانُ اللَّهُ عليهـم أجمعينَ.

قال رحمه الله: (ولا نَشْهَدُ عليهم بكُفْرٍ ولا بشِرْكٍ ولا بنِفَاقٍ ما لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُم شَيءٌ مِنْ ذلك).

حرمةُ تكفيرِ المسلمينَ بغيرِ حقٍّ

الشَّرْحُ: لا يجوزُ أن نقولَ عن مسلمٍ إنَّه كافرٌ أو مشركٌ أو منافِقٌ، أي إذا أُريدَ بهِ النفاقُ في الإيمانِ إنْ لَمْ يُظهِرْ شَيْئًا مِن ذلك، لأنَّ الطعنَ بذلك من غيرِ ظهورِ ذلك يكونُ اتباعًا للظنّ المحظورِ اتّباعُهُ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[١]، فاتّهامُه بالكُفْرِ بلا سببٍ شرعيٍّ وبلا تأويلٍ مُخْرِجٌ من المِلَّةِ لحديثِ رسولِ الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قالَ لأَخِيهِ: يا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إنْ كَانَ كَمَا قال، وإلّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»[٢].

وقد ابتُلِيت الأمَّةُ منذُ زمنٍ بفِرَقٍ اتخذَت التَّكفيرَ الشُّموليَّ مِنهاجًا لَها وشِرعَةً، ومن هذهِ الفرقِ أتباعُ سيد قطب الذي حكمَ على كلِّ الرعيَّةِ بالكُفرِ لكونِها لا تثُور على الحكامِ[٣]، وكذلك الوهابيَّةُ الذين يكفِّرون كلَّ مَنْ لَمْ يوافِقْهم في عقيدتِهم ويستَحِلُّونَ دمَهُ[٤].

---

(١) سورة الحجرات/ ءاية (١٢).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، (١/ ٥٧).

(٣) راجع كتاب: «**النهج السويّ في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مولوي**». للشيخ عبد الله الهرري، وكتابنا: «**الفكر والاستقطاب عند الجماعات المتطرفة باسم الإسلام والخطر الداهم**».

(٤) راجع كتابنا: «**الوهابية تكفيريون شموليون**».

قال رحمه الله: **(وَنَذَرُ سَرائِرَهُم إلى اللَّهِ تعالى).**

الشَّرْحُ: نفعَلُ ذلك لأنَّ اللَّهَ تعالى هو المطَّلِعُ عليها دونَ العبادِ، فوجبَ تفويضُ ذلكَ إليه، فإنَّ اللَّه تبارك وتعالى لم يُطْلِع الرَّسُولَ ﷺ على ما يُضمِرُه كلُّ أحدٍ مِمَّنْ يأتي إليهِ.

فهذا عبدُ اللَّه بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ كانَ يَظهَرُ منهُ النفاقُ حتى عرفَه المؤمنون، لكن بما أنَّه كان بعدمَا يَظْهَرُ منه يُنكِرُ ويُخالطُ المسلمين فيُصَلِّي معهم، لمَّا مَرِضَ مَرَضَ وفاتِهِ طلبَ له ابنُه عبدُ اللَّه رضيَ اللَّه عنه وكان من المؤمنين الثابِتِينَ الأكارمِ الذين يحبُّهم رسولُ اللَّه ﷺ طلب منَ الرسولِ أن يُكَفَّنَ بثوبٍ منْ رسولِ اللَّه ﷺ، فأعطاهُ الرَّسُولُ ﷺ ثوبًا فَكُفِّنَ به، ثُمَّ الرسولُ ﷺ قامَ فصلَّى عليه، لأنَّه كان تلك الساعةَ ظنَّ أنه أخلَصَ بالإيمانِ مع ما كان عليه من ظاهرِ الإسلام، ثم نَزَلَتِ الآيةُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[1] فَعَلِمَ أنَّهُ ماتَ كافرًا بنفاقِه[2].

فإذا كانَ الرسولُ عليه الصَّلاةُ والسلامُ هذا حاله فكيفَ غيرُه. ولا يجوزُ أنْ يقالَ إنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى على عبدِ اللَّه بنِ أُبَيٍّ هذا وهو يعلمُ حالَه، فإن في هذا الكلام طعنًا بالنبيِّ ﷺ باتِّهامِه بالتَّلاعبِ بالدِّينِ وهو مُخرِجٌ من الإسلام.

(١) سورة التوبة/ ءاية (٨٤).

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، (٨/ ٢١٨-٢١٩). وراجع كتاب: «**التبيين والإفصاح عما ورد في الصلاة على عبد الله بن أبي ابن سلول من الإيضاح**» للدكتور عرفات بن محمد الرفاعي.

قال رحمه الله: (ولا نَرَى السَّيْفَ على أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ إلا مَنْ وجَبَ عليهِ السَّيفُ).

تحريمُ قتالِ المسلمِ بغيرِ حَقٍّ

الشَّرْحُ: لا يجوزُ شهرُ السلاحِ لقتالِ مسلمٍ إلا أن يكونَ لسببٍ شرعيٍّ، كما فعل سيدُنا أبو بكرٍ رضي اللَّهُ عنه في قتالِ مانعي الزكاةِ لأنَّه مَا كانَ يُمْكنُه أن يأخذَ الزكاةَ منهم قهرًا بدونِ قتالٍ لأنَّهم كانُوا ذَوِي قوَّةٍ فاضطرَّ إلى القتالِ.

فقدْ وردَ في «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه قال: «لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ واسْتُخْلِفَ أبو بكرٍ بعدَهُ، وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ من العَرَبِ، قَالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي اللَّه عنه لأبي بكرٍ رضي اللَّه عنه: كيفَ تُقاتِلُ النَّاسَ، وقد قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قالَ: لا إلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**» فقال أبو بكر رضي اللَّه عنه: واللَّهِ لأُقاتِلَنَّ من فرَّقَ بين الصلاةِ والزكاةِ، فإنَّ الزكاةَ حقُّ المالِ، واللَّهِ لو مَنَعُوني عِقالًا[1] كانُوا

---

(١) اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في المراد بالعقال فذهب جماعة منهم إلى أن المراد بالعقال زكاةُ عام وهو معروفٌ في اللغة بذلك، ولأنَّ العقالَ الذي هو الحبلُ الذي يُعقَلُ به البعيرُ لا يجبُ دفعه في الزكاة فلا يجوزُ القتالُ عليه فلا يصحُّ حمل الحديث عليه.

وذهب كثيرون من المحققين إلى أن المرادَ بالعقالِ الحبلُ الذي يُعقَلُ به البعير لأنَّ الكلامَ خرجَ مخرجَ التضييقِ والتشديدِ والمبالغة فتقتضي قلة ما علق به القتال=



يؤدُّونه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لقاتَلتُهم على منعه، فقالَ عمرُ رضي اللَّه عنه: فواللَّهِ ما هو إلَّا أن رأيتُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ فعرفتُ أنَّه الحقّ»[1] اهـ

وكذلك كان من أبي بكرٍ رضي اللَّهُ عنه أنْ أرسلَ إلى المرتَدِّينَ جيشًا أمَّرَ عليه خالدَ بنَ الوليدِ رضي اللَّه عنه فقاتَلُوهم، ورأى أبو بكرٍ أَنْ تُقْتَلَ مقاتِلَتُهم أي رجالُهُمُ البالغون وتُسْبَى أَي تُسترَقَّ نساؤُهم وذراريُّهم أي أطفالُهم.

والعجبُ العُجَابُ قولُ بعض العصريّين إنَّ الإسلام جاءَ ليقطعَ الرِّقَّ بالتدريجِ، ولو فهِم أبو بكرٍ ما يفهَمُ هؤلاءِ ما استرقَّ نساءَ المرتدِّين وصبيانَهم، فهؤلاء لا يعلَمون ما يأتون وما يذَرون، وإذا تكلمُوا في أمورِ الدينِ حرَّفُوا دينَ اللَّهِ وزعمُوا أنَّهم يُرشدُون الناسَ إلى دينِ اللَّهِ بل نقولُ: إنَّ حكمَ الرِّقِ باقٍ إلى يوم الدِّينِ لكنَّ الإسلامَ شجَّعَ على العِتقِ.

=وحقارته وإذا حمل على صدقةِ العام لَمْ يحصلْ هذا المعنى، وليس من عادة العرب والعجم أن يقولُوا قبَّحَ اللَّه فلانًا عرَّض نفسَه للضربِ في عقد جوهرٍ وتعرَّضَ لعقوبةِ الغلول في جِرابِ مسكٍ، وإنما العادةُ في مثل هذا أن يقال لعنه اللَّه تعرَّضَ لقطعِ اليد في حبل رَثٍّ أو في كبة شعر وكل ما كان من هذا أحقر كان أبلغَ، فالصحيحُ هنا أنه أراد به العقالَ الذي يُعقَلُ به البعير ولم يرد عينَه وإنما أراد قدرَ قيمته، والدليلُ على هذا أن المرادَ به المبالغةُ. ينظر: النووي، **شرح مسلم**، (١/ ٢٠٩).

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتى يقولوا لا إلـه إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، (١/ ٣٨).



حكمُ قتالِ البُغاةِ

والبغاةُ هم مخالفو الإمام بخروج عليه وتركِ الانقيادِ أو منعِ حقٍّ توجَّه عليهم[١]، وهؤلاء يجوزُ قتالُهم بشروط حتى يرجِعُوا إلى طاعةِ الخليفةِ.

وكان عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه أولَ من قاتلَ البغاةَ، لأنَّ الرسولَ ﷺ قاتلَ المشركينَ، ثُمَّ سيدُنا أبو بكرٍ رضي الله عنه قاتلَ المرتدِّين ومانعِي الزكاةِ، وسيدُنا عمرُ رضي اللَّهُ عنه قاتلَ المشركينَ فأدخلَ في الإسلامِ أقوامًا، وكذلك سيدُنا عثمانُ رضيَ اللَّهُ عنه.

ثم شَغَلَ سيدَنا عليًّا رضيَ اللَّهُ عنه أمرُ البغاةِ عنْ قتالِ المشركينَ[٢]، فقاتلَ المتمرِّدينَ في وقعةِ الجملِ وصِفِّين والنَّهْروانِ[٣].

وكانَ قتالُ عليٍّ لِـمَنْ خرجُوا عن طاعتِه فرضًا عليه وعلى

---

(١) النووي، **منهاج الطالبين**، (ص ٢٩١).

(٢) قال الماوردي: «وقد حُكيَ عن الشافعيّ أنَّه قال: أخذَ المسلمون السيرةَ في قتالِ المشركينَ من رسولِ الله ﷺ، وأخذُوا السيرةَ في قتالِ المرتدِّينَ من أبي بكرٍ رضي الله عنه، وأخذُوا السيرَة في قتال البغاةِ من عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه» اهـ الماوردي، **الحاوي الكبير**، (١٣/ ١٠٤).

(٣) وقعةُ الجملِ حصلتْ بين سيدِنا عليّ وبين من نكثُوا العَهْدَ بعد مبايعتِه وجاؤوا بمعسكرٍ مضادٍّ لمعسكرِه، وصِفِّين هي الوقعةُ بين سيدنا علي وبين معاوية في مكان يقال له صفِّين، وأما وقعةُ النهروانِ فقدْ كانَتْ بين سيدِنا عليٍّ وبينَ الخوارجِ في مكانٍ يقالُ له النَّهروان.

المسلمينَ، فهو ومَنْ قاتلوا معه مأجُورون لأنهم أدَّوا الفرضَ. ويشهد لذلك قول عليّ رَضِيَ اللَّهُ عنه: «أُمِرْتُ بقتالِ النَّاكِثِين والقَاسِطِينَ والمارِقِينَ[1]»[2] اهـ وهذا صحيحُ الإسنادِ[3].

قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾[4]، أي التي تعدِلُ عن الحقِّ وما عليه أئِمَّةُ المسلمين وجماعتُهُم[5].

وقال البيهقي: «وأمَّا خروجُ مَن خَرَجَ على أميرِ المؤمنينَ رضِيَ اللَّهُ عنه مَعَ أهلِ الشَّامِ في طلَبِ دَمِ عثمان ثمّ مُنازَعَتُهُ إيَّاهُ في الإمارةِ فإنَّهُ غيرُ مُصِيبٍ فيما فَعَلَ»[6] اهـ

فقولُ ابنِ تيميةَ في كتابِه المسمى «**منهاجِ السنَّةِ النبويَّةِ**»: «إنَّ

---

(١) قال ابن منظور: «الناكِثُون: أهلُ الجمَلِ لأنَّهم نَكَثُوا بيعتَهم، والقاسِطُونَ: أهلُ صِفّينَ لأنَّهم جارُوا في الحُكم وبَغَوْا عليه، والمارِقُون: الخوارِجُ لأنَّهم مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُق السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» اهـ ابن منظور، **لسان العرب**، (٧/ ٣٧٨).

(٢) الطبراني، **المعجم الأوسط**، (٨/ ٢١٣).

(٣) قال الهيثمي: «رواه البزار، والطبراني في الأوسط، وأَحَدُ إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد، ووثقه ابن حبان» اهـ الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (٧/ ٢٣٨).

(٤) سورة الحجرات/ ءاية (٩).

(٥) الزجاج، **معاني القرءان وإعرابه**، (٥/ ٣٥).

(٦) البيهقيّ، **الاعتقاد**، (ص ٣٧٤، ٣٧٥).

القتالَ معَ عليٍّ ليسَ بواجبٍ ولا مستحَبٍّ»[١] اهـ ظاهرُ البطلانِ مخالفٌ للآيةِ. واللهُ أعلمُ ماذا أرادَ ابنُ تيميةَ هل أرادَ تنقيصَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه كما وصفَه الحافظُ ابن حجر في «**لسان الميزان**»[٢] بذلك، أم نزلَ به الجهلُ بهذه المسألةِ إلى هذا الحضيضِ.

قال رحمه الله: **(ولا نَرَى الخُرُوجَ على أئِمَّتِنا ووُلاةِ أمُورِنا وإنْ جَارُوا، ولا نَدْعُو عليهِم ولا نَنْزِعُ يدًا مِنْ طاعَتِهِم ونَرَى طَاعَتَهُم مِنْ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ فَرِيضَةً ما لَمْ يَأْمُرُوا بمَعْصِيَةٍ).**

حرمةُ الخروجِ على وُلاةِ الأمرِ

الشَّرْحُ: يحرمُ الخروجُ على السلطانِ الذي انعقَدَتْ له البيعةُ الشرعيَّةُ من أهلِ الحلِ والعقد، أي يحرُمُ منازعتُه ومحاربتُه لخلْعِهِ مِن الخلافةِ وإنْ ظلمَ ما لَمْ يكفُرْ[٣]، لقولِه ﷺ: «**مَنْ كَرِهَ مِن أمِيرِهِ شيئًا فليَصبِرْ عليه فإنَّهُ ليسَ أحدٌ مِنَ النَّاسِ خرجَ**

---

(١) ابن تيمية، الكتاب المسمى **منهاج السنة النبوية**، (١/ ٥٤٢).

(٢) العسقلاني، **لسان الميزان**، (٦/ ٣٢٠).

(٣) قال القاضي عياض: «لا يجوزُ الخروجُ على الإمامِ العَدْلِ باتفاقٍ، فإذا فَسَقَ وجارَ؛ فإن كان فسقُه كُفْرًا وجبَ خَلْعُه، وإن كان ما سواه من المعاصي فمذهبُ أهلِ السُّنَّةِ أنَّه لا يُخلَعُ، واحتجُّوا بظاهرِ الأحاديثِ وهي كثيرةٌ؛ ولأنَّه قد يؤدي خلعُه إلى إراقةِ الدماء وكشف الحريم -وحريم الرجل ما يقاتِل عنه ويحميه-، فيكونُ الضررُ بذلك أشدَّ من الضررِ بهِ» اهـ القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (٦/ ٢٤٦).

من السُّلطانِ شِبْرًا فماتَ عليه إلا ماتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّةً[(١)]» رواه مسلمٌ[(٢)] من حديثِ عبدِ الله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما. وكذلك لا يجوزُ الدعاءُ عليهم دعاءً يُحرِّك فتنةً.

ونُطِيعُهُمْ وُجُوبًا فيما أمرُوا به من المصالح، لأنَّ اللهَ تعالى أمرَنا بذلك، لا في ما يُخالفُ ما طلبَهُ الشَّرعُ فلا تَجِبُ طاعتُهم فيه، فإنَّ طاعةَ الخالقِ مقدَّمةٌ على طاعةِ العبدِ، فالطاعةُ التي أمرَ اللهُ بها المؤمنين لأُولي الأمرِ هي الطاعةُ في طاعةِ اللهِ ليس في معصيةِ اللهِ، لأنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

وقد رَوَى مسلم[(٣)] أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عبدِ ربِّ الكعبةِ قال لعبدِ اللهِ ابنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه: «إنَّ ابنَ عمِّكَ معاويةَ يأمرُنا أن نأكلَ أموالَنا بينَنا بالبَاطِلِ ونقتُلَ أنفُسَنَا وقال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾[(٤)] وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾[(٥)] فسكتَ

---

(١) قال النووي: «أي على صفةِ موتِهم من حيثُ هم فوضَى لا إمامَ لَهُم» اهـ النووي، **شرح مسلم**، (١٢/ ٢٣٨).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (٣/ ١٤٧٨).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء لبيعة الخلفاء الأول فالأول، (٣/ ١٤٧٢).

(٤) سورة النساء/ ءاية (٢٩).

(٥) سورة النساء/ ءاية (٢٩).



عبدُ اللَّه بنُ عَمْرٍو ساعةً -أي وقتًا- ثم قال: «أَطِعْهُ في طاعةِ اللَّهِ واعْصِهِ في معصيةِ اللَّهِ» اهـ

وقد شذَّتْ جماعةُ حزبِ التَّحريرِ في زعمها أن كلَّ من ماتَ ولم يبايعْ خليفةً يموتُ ميتةً جاهليَّةً وليس في الحديثِ المتقدّمِ ما يؤيدُ ما ذكرُوه فإنَّ من أخبرَ عنه النبيُّ ﷺ بأنَّه يمُوتُ ميتةً جاهليَّةً هو مَنْ خرجَ على الخليفةِ بعد أن بايَعَه، أمَّا هم فقدْ جعَلُوا جميعَ المسلمين في أيامِنا مؤاخَذين لأنَّهم لم يبايعُوا خليفةً معَ عجزِهم عن إقامةِ خليفةٍ.

ولهُم مخالفاتٌ عديدة خالفُوا فيها الكتابَ والسُّنَّةَ وما أجمعَت عليه الأمَّةُ[1].

قال رحمه الله: (ونَدْعُو لَهم بالصَّلاحِ والمُعَافاةِ).

الشّرْحُ: أَي نَدْعو أن يصلحَهُمُ اللَّهُ تعالى ويعافِيَهُم مِن مخالفةِ أوامرِهِ.

قال رحمه الله: (ونَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجماعةَ).

وجوبُ اتباعِ أهلِ السُّنَّةِ والجمَاعَةِ

الشّرْحُ: أهلُ السُّنةِ والجماعةِ هُمُ الذين يعتَقِدُون عقيدةَ الصحابةِ والتابعين ومن تبِعَهُم بإحسانٍ، هؤلاءِ هُمْ أهلُ السنَّةِ والجماعةِ، وإنما سُمُّوا أهلَ السُّنَّةِ لأنَّهم على سُنَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وسمُّوا

(١) راجع كتابنا: «حزب التحرير في عين الناقد».

الجماعةَ لأنهم لم يخرجُوا عنْ جمهورِ الأمَّةِ في الاعتقادِ الحقِّ، إنَّما الشراذِمُ المفترِقَةُ عنهُم إلى اثنتين وسبعين فرقةً هي التي خالفت اعتقادَ الصحابةِ رضوانُ اللَّه عليهم.

قال رحمه الله: (ونَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلافَ والفُرقَةَ).

الشَّرْحُ: الشذوذُ والخلافُ والفُرقةُ يُرادُ بها هنا الخروجُ عن الإجماعِ في المسائلِ الاجتهاديَّةِ التي اجتهدَ فيها أهلُ الاجتهادِ.

المرادُ بأهلِ الاجتهادِ

والمرادُ بأهلِ الاجتهادِ ما شرحَهُ أحدُ رؤُوسِهِم وهو الإمام الشافعيُّ رضي اللَّهُ عنه، في بيانِ شرطِ الاجتهادِ في كتابِهِ «**الرسالة**»[(١)] قال: «يُشترطُ أنْ يكونَ عالمًا بالأحكامِ منْ كتابِ اللَّهِ، وبناسِخِه ومنسُوخِه[(٢)] وعامِّه وخاصِّه[(٣)]، ويَسْتَدِلُّ على ما احتملَ التأويلَ بالسُّنَّةِ وبالإجماعِ، فإنْ لَمْ يكنْ فبالقِيَاسِ[(٤)] على ما في الكتابِ،

(١) الشافعي، **الرسالة**، (ص ٥١٠).

(٢) قال الجويني: «وأمَّا النّسخُ فمعناهُ لُغَةً الإزالَةُ وقيل: معناهُ النَّقْلُ من قولهم: نَسَخْتُ ما في هذا الكتابِ أي نقلتُه، وحدُّه هو الخِطابُ الدَّالُّ على رفع الحكم الثَّابِت بالخِطابِ المُتَقدِّم على وَجهٍ لولاهُ لَكانَ ثابتًا مع تراخِيهِ عنه» اهـ الجويني، **الورقات**، (ص ٢١).

(٣) قال الجوينيُّ: «وأمَّا العامُّ فهو ما عَمَّ شَيْئَيْنِ فَصَاعِدًا من قوله: عَمَمْتُ زيدًا وعمرًا بالعطاءِ وعَمَمْتُ جَميعَ النَّاسِ بالعطاءِ» ثم قال: «والخاصُّ يُقَابِلُ العامَّ والتَّخصِيصُ تَمْييزُ بعضِ الجُمْلَةِ» اهـ الجويني، **الورقات**، (ص ١٦).

(٤) قال الجويني: «وأمَّا القياسُ فهو رَدُّ الفَرْعِ إلى الأصْلِ بعِلَّةٍ تجمَعُهُما في=





فإنْ لـمْ يكُنْ فبالقياسِ على ما في السُّنَّةِ، فإنْ لَـمْ يكـنْ فبِالقياسِ على ما اتفقَ عليـه السَّلَفُ وإجماعُ النَّاسِ ولَـمْ يُعرَفْ لـهُ مخالفٌ»اهـ ولا يَـخْفَى أنَّ في كلامِ الشافعيِّ رضي اللَّهُ عنه هـذا إثباتَه حُجِّيَّةَ الإجماعِ.

ونقـلَ الإمـامُ الحافظُ المجتهـدُ ابـنُ المنـذرِ في كتابـهِ «**الأوسـطِ**»[١] عـن الإمـامِ أحمـدَ رضي اللَّهُ عنـهُ في حرمـة بيـعِ الكَالِـئِ بالكالِـئِ -أي الدَّيـنِ بالدَّيـنِ-: «إنَّـهُ بالإجمـاعِ» اهـ فلا يُلتَفَـتُ بعـدَ هـذا إلى قـولِ ابـنِ قيّـمِ الجوزيَّـةِ[٢] تبَعًـا لشـيخِهِ ابـنِ تيميَـةَ: «إنَّ الإمـامَ أحمـدَ قـال مـن ادَّعـى الإجمـاعَ فقـد كـذبَ»[٣] اهـ وإنمـا ادَّعَـى ابـنُ تيميَـةَ هـذا عـن أحمـدَ ليسـهُلَ على مَـن يَسْـمَعُ كلامَـه قبـولُ مخالفتِـه للإجمـاعِ، وهـو قـد خالـف الإجمـاعَ في مسـائلَ كـثيرةٍ، قـال الحافـظُ أبـو زُرْعَـةَ

=الحُكْمِ» اهـ الجويني، **الورقات**، (ص ٢٦).

(١) قال ابن المنذر: «قال أحمد: إجماعٌ أن لا يُباع دين بدين» اهـ ابن المنذر، **الأوسط**، (١٠/ ١١٩).

(٢) هو محمد بنُ أبي بكر الدمشقي، ابن قيم الجوزيَّة ولد (سنة ٦٩١هـ) وغلب عليه حبُّ ابن تيمية حتى كان لا يخرجُ عن شيءٍ من أقوالِه بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذَّبَ كتبَه ونشرَ علمَه، واعتُقِلَ مع ابن تيمية بالقلعة بعد أنْ أُهِينَ وطِيفَ به على جملٍ مضـرُوبًا بالدِّرَّةِ فلمَّا مات ابن تيمية أُفْرِجَ عنه وامتُحِنَ مرّةً أُخْرَى بسببِ فتاوى ابنِ تيمية، وكانَ ينَالُ من علماءِ عصرِه وينالُون منه، قال الذَّهبيُّ في المُخْتَصّ حُبِسَ مرّةً لإنكارِه شدَّ الرَّحلِ لزيارةِ قبرِ الخليلِ وكان مُعجَبًا برأيه، مات (سنة ٧٥١هـ). العسقلاني، **الدرر الكامنة**، (٥/ ١٣٧-١٤٠).

(٣) ابن القيم، الكتاب المسمى **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (٥/ ٣١٧).

العراقيُّ: «قيل: إنها تبلغ ستّين مسألةً»[1] اهـ

قالَ العلماءُ فإذا انقرضَ عصرُ الصَّحابةِ على الإجماعِ على حُكْمٍ من الأحكامِ الفرعيَّةِ حرُمَ على من بعدَهُم أن يخالفُوهم بالاجتهادِ، وكذلك إذا انقرضَ عصرُ التابعين على قولٍ أو قولين، أي قالَ قسمٌ من أئمَّةِ التابعين قولًا وقال قسمٌ قولًا يخالفُه، فإذا انقرضَ عصرُ هؤلاءِ فلا يجوزُ لمن جاءَ بعدَه أن يحدِثُوا قولًا ثالثًا، وهكذا بالنِّسبةِ لمجتهدي أتباعِ التابعين فمَنْ بعدهم[2].

قال رحمه الله: **(ونُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانةِ، ونبغِضُ أهلَ الجَوْرِ والخِيانَةِ)**.

الشَّرْحُ: نحبُّ أهلَ السُّنَّةِ المتمَسِّكينَ بالعدلِ من وُلاةِ الأمورِ، ونبغِضُ أهلَ الجورِ والخيانةِ أي أهلَ الظلمِ والخلافِ والعِصيانِ.

قال رحمه الله: **(ونقولُ اللهُ أَعْلَمُ فيما اشْتَبَهَ علينا عِلْمُهُ)**.

الشَّرْحُ: أرادَ الطحاويُّ رحمه الله بذلك أنَّ الإنسانَ قد يتشكَّكُ

---

(1) أبو زرعة العراقي، **الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية**، (ص ٩٣). وراجع كتاب: «**المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية**» للشيخ عبد الله الهرريّ ففيه بسطٌ في بيان حاله ومقالاتِه والردِّ عليها. وكتاب: «**تهذيب بحث الخوارج والوهابية والمودودية وإخبار النبيّ محمدٍ ﷺ بالعصريّين الزنادقة وذكر أوصافهم التي هم عليها الآن**» للشيخ محمد صالح بن سعيد بن عبد الله بتحقيقنا.

(2) قال الشيرازيُّ: «والإجماعُ حُجَّةٌ في جميعِ الأحكامِ الشرعيَّةِ كالعباداتِ والمعاملاتِ وأحكامِ الدماءِ والفروجِ وغيرِ ذلك من الحلالِ والحرامِ والفتاوى والأحكام» اهـ الشيرازي، **اللمع في أصول الفقه**، (ص ٨٨).

عندما يَشْتَبِهُ عليه الأمرُ في معرفةِ المعنى المراد من بعض الآيات المتشابهات والأحاديث المتشابهة، فعندئذٍ يلجأُ العبدُ إلى التفويضِ إلى اللَّهِ تعالى، ويعتقدُ الحقِّيَّةَ في كلِّ ما ثبتَ عن اللَّهِ عزّ وجلّ وعن رسولِه ﷺ، ويعرفُ يقينًا أنَّ عقولَ الخلقِ قاصرةٌ عن الحِكَمِ البشريَّةِ، فكيف تُدرك جميع الحِكَمِ الرُّبُوبيَّةِ.

ونجزِمُ بأنَّ ما ثبتَ عن اللَّهِ فلَه مَحملٌ حسنٌ يليقُ به تعالى، وما ثبتَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ له مَحملٌ حَسَنٌ يليقُ به، كما كانَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي اللَّه عنه يقول: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا فَظُنُّوا بِهِ الذِي هُوَ أَهْنَاهُ وَأَهْدَاهُ وَأَتْقَاهُ[1]»[2] اهـ

وقال الشافعيّ رضي اللَّهُ عنه: «ءامَنْتُ بما جاءَ عنِ اللَّهِ على مرادِ اللَّهِ وبما جاءَ عن رسولِ اللَّهِ على مرادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ»[3] اهـ

---

(١) قال العيني: «قوله: «فَظُنُّوا بِهِ» أي استيقِنُوا بِهِ؛ لأنَّ الظنَّ يجيءُ بمعنى العلم» ثُمَّ قال: «قولُه: «أهنا» أي أطيب وأقرب إلى الاتباع. قوله: «وأهدى» أي إلى الصواب. قوله: «وأتقى» أي في العملِ. فقدْ دل هذا على أنَّ الواجبَ على الرَّجُلِ إذا بلغَه الحديثُ وله تأويلاتٌ أو معانٍ كثيرةٌ لا يَصرِفُ تأويلَه أو معناه إلا إلى معنًى يوافقُ الكتابَ أو سُنَّةً أخرى أو الإجماعَ، فإذا صرفَه إلى غير ذلك يكونُ مخالفًا لما قصدَه النبيُّ عليه السلامُ، وصارفًا معناه إلى غيرِ ما قَصَدَه، فيكونُ كاذِبًا فيه، فيدخلُ تحت قوله: «مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النَّارِ»» اهـ العيني، **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، (١٤/ ٤٥٢).

(٢) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، باب تعظيم حديث رسول اللَّه ﷺ، (١/ ٩).

(٣) الحصني، **دفع شبه من شبَّه وتمرَّد**، (ص ٨٦).

قال رحمه الله: (ونَرَى الـمَسْحَ على الـخُفَّينِ في السَّفَـرِ والـحَـضَـرِ كمـا جاءَ في الأَثَـرِ).

الشَّرْحُ: لا مخالِفَ في هـذهِ المسألةِ بينَ الصَّحابةِ وجمهورِ مَنْ جاءَ بعدَهـم، وقـد جـاءَ المسحُ على الـخُفِّ عـن رسـول اللَّه ﷺ بروايـات عِـدَّةٍ مـن الصَّحابـةِ منهـم عليٌّ رَضِيَ اللَّه عنـه، فحديـثُ المسـح على الخفَّينِ متواتـرٌ رواهُ مَنْ لا يُحصـى مـن المحـدِّثين في مؤلفاتِـهـم[1].

قال رحمه الله: (والـحَـجُّ والجِهـادُ ماضِيـانِ معَ أُولِـي الأَمْـرِ مِـنَ الـمُسْلِمِيـنَ بَرِّهِـم وفاجِرِهِـم إلى قِيـامِ السَّـاعةِ لا يُبطِلُهُمـا شَيءٌ ولا يَنْقُضُهُمـا).

الحجُّ والجهادُ ماضِيانِ إلى قيامِ السَّاعةِ

الشَّرْحُ: يُطاعُ ولـيُّ الأمـرِ للحـجِّ[2] أي يُقْتَدَى بـهِ ولا يُتَمَرَّدُ عليه، لأنَّـه أدرَى بمصلحـةِ العبـاداتِ كَمَـا هُـو أدرَى بمصلحـةِ الجهـادِ أي قتـالِ الكفَّـارِ.

ويجـبُ الجهـادُ مـعَ الإمـامِ البَـرِّ والفَاجِـرِ، فـإذَا اسـتَنْفَرَ الإمـامُ المسـلمينَ للجهـادِ وجـبَ عليهـم طاعتُـه، إن كان بَـرًّا أي تَقِيًّـا وإنْ كانَ فاجِـرًا أي فاسـقًا.

والمـرادُ بالجهـادِ هنـا جهـادُ الكفـارِ، أمَّـا لـو أمـرَ بقتـالِ طائفـةٍ مـن المسـلمين بـغير حـقٍّ فلا يُطـاعُ.

---

(١) العسقلاني، فتح الباري، (١/ ٣٠٦).

(٢) الحجُّ بفَتْحِ الحاءِ وكسرِها لغةً: القصد، وشرعًا: قصدُ الكعبةِ للنُّسُكِ. زكريا الأنصاري، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، (١/ ٤٤٣).

قال رحمه الله: (ونُؤْمِنُ بالكِرامِ الكاتِبِينَ، فإنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُم علينا حافِظِينَ).

ذكرُ بعضِ الأمورِ السمعيَّةِ التي يجبُ الإيمانُ بها

الشَّرْحُ: يجب علينا الإيمانُ بالملائكةِ الكرامِ الكاتبين الذين وكَّلَهُمُ اللهُ تعالى بكتابةِ أعمالِ العباد كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[1]، والحافظون هُمُ الملائكةُ يحفظونَ أعمالَ العبادِ وأقوالَهم، فهذا نصٌّ صريحٌ في إثباتِ الحفَظَةِ وكتبَةِ أعمالِ بني ءادمَ.

قال رحمه الله: (ونُؤْمِنُ بمَلَكِ المَوْتِ المُوكَّلِ بقَبْضِ أَرْواحِ العالَمِينَ).

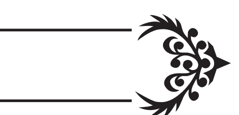
الشَّرْحُ: ملَكُ الموتِ وكَّلَهُ اللهُ تعالى بقبْضِ أرواحِ العالَمِينَ أي الإنسِ والجنّ والملائكةِ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[2].

ولا يريدُ الإمامُ الطحاويُّ رحمه اللهُ بهذا أنَّه لا يقبِضُ إلَّا أرواحَ

---

(١) سورة الانفطار/ ءاية (١٠-١٢). قال النسفي: «﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ أعمالَكُم وأقوالَكُم من الملائكةِ ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ يعني أنَّكم تكذّبون بالجزاء، والكاتبُون يكتُبُونَ عليكم أعمالَكم لِتُجازَوا بها ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ لا يخفى عليهم شيءٌ من أعمالِكُم، وفي تعظيم الكَتَبَةِ بالثَّناءِ عليهم تعظيمٌ لأمرِ الجزاءِ وأنَّه عندَ اللهِ من جلائِلِ الأمُورِ، وفيه إنذارٌ وتهويلٌ للمُجرمِينَ ولطفٌ للمُتَّقِينَ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ٦١١).

(٢) سورة السجدة/ ءاية (١١).



العُقَلاءِ الثلاثةِ الإنسِ والجنِّ والملائكةِ، بل هو عليه السلامُ يقبِضُ أرواحَ البهائمِ ونحوِها كالطُّيورِ لأن لها أرواحًا بخلافِ من نفَى أنْ تكونَ البهائمُ لها أرواحٌ، ودليلنا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾[1]، والجماداتُ لا تحشرُ إنَّما يُحشَرُ من كانَ له روحٌ، وكذلك حديثُ رسول الله ﷺ: «**لَتُؤَدَّنَّ الحُقُوقُ إلى أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[2]، والجلحاءُ التي لا قرنَ لها[3].

واسمُ مَلَكِ الموتِ عزرائيلُ كما ذكر ذلك المفسرون وغيرهم من العلماءِ كالثعلبيِّ والبغويِّ وابنِ عطيَّةَ والرازيِّ وأبي حيان الأندلسي والسيوطيِّ في تفاسيرهم[4] والقاضي عياضٌ في كتابِه «**الشفا**» وغيرهم الكثير فلا يلتفَتُ لإنكارِ الوهابيَّةِ تسميةَ مَلَكِ الموتِ بعزرائيلَ.

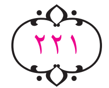
---

(١) سورة التكوير/ ءاية (٥).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٨/ ١٨).

(٣) المازري، **المعلم بفوائد مسلم**، (٢/ ١٥).

(٤) الثعلبي، **تفسير الثعلبي**، (٢١/ ٢٧٤). البغوي، **تفسير البغوي**، (٦/ ٣٠٢). ابن عطية، **تفسير ابن عطية**، (٤/ ٣٦٠). الرازي، **تفسير الرازي**، (٢/ ٣٨٦). أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، (٨/ ٤٣٤). السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (٦/ ٥٤٢).



قال رحمه الله: (وبِعَذابِ القَبْرِ لِـمَنْ كانَ لهُ أَهْلًا).

الشَّرْحُ: يجبُ أن نؤمِنَ بحصولِ عذابِ القَبرِ[1] ونعيمِه وذلك لآياتٍ وأحاديثَ، منها قولُ اللَّه تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ فاللَّهُ تباركَ وتعالى يُخبِرُنا أنَّ ءالَ فرعونَ وهمُ الذين عَبَدُوه واتَّبعوه في أحكامِه الجائرةِ يُعرَضُونَ في البرزخِ على النّار عَرْضًا من غيرِ أن يدخلُوها حتى يمتلئوا رُعبًا، والبرزَخُ ما بين الموتِ والبعثِ، والغداةُ من الصُّبحِ إلى الضُّحى، وأما العشيُّ فهو وقتُ العصرِ ءاخِرَ النّهارِ، ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ في الآخِرَةِ يقالُ للملائكةِ: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي أتباعَه ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[2]، فَدلَّ ذلكَ على أنَّ العَرْضَ على النَّارِ إنَّما يكونُ قبلَها في البَرْزَخ.

وعنْ أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه عن النَّبيِّ ﷺ في قولِه جَلَّ وَعزّ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾[3]، قالَ: «عَذابُ القَبْرِ»[4].

وقد خالفَ في هذه المسألةِ المعتزلةُ وحزبُ التحرير ومحمد راتب النابلسيّ وعلي منصور الكيَّالي وعدنان إبراهيم.

---

(١) قال أبو منصور البغدادي: «وقَطَعُوا -أي أهلُ السنة والجماعةِ- بأنَّ المنكرين لعذابِ القبرِ يعذَّبُون في القبر» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٣٣٩). أي لتكذيبهم الدين فيكونون بذلك خارجين عن الإسلام.

(٢) سورة غافر/ ءاية (٤٦).

(٣) سورة طـٰه/ ءاية (١٢٤).

(٤) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، التقاسيم والأنواع، النوع الحادي والسبعون، ذكر الخبر الـمُدْحِض من أنكر عذاب القبر، (٦/ ١٥٦).

ولا يجبُ عينًا معرفةُ كيفيَّةِ التعذيبِ والتنعيمِ في القبرِ للميّتِ.

وقولُه: (لِمَنْ كانَ له أَهْلًا) أي إنَّه لا يُعَذَّبُ في القَبْرِ إلَّا مَنْ كان مستحِقًّا لهُ، وهمُ الكفارُ وأهلُ الكبائرِ من المؤمنين، لكنَّ قِسْمًا مِنْ أهلِ الكبائرِ يعفُو اللَّهُ تعالى عنهُم فلا يُعذِّبُهُم في القبرِ مع استحقاقِهِم للعذابِ، فعذابُ القبرِ يحصلُ للكفَّارِ ولبعضِ عصاةِ المسلمين.

قال رحمه الله: (وسُؤالُ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ فِي قَبْرِه عَنْ ربِّه ودينِه ونبيِّهِ).

الشَّرْحُ: يجبُ الإيمانُ بسؤالِ الملَكَيْنِ للميّتِ تصديقًا للنبيِّ ﷺ، ولا يجبُ عينًا معرفةُ كيفيَّةِ السؤالِ، لكنَّه يجبُ اعتقادُ أنَّ الميّتَ يعودُ إليه عقلُه وإحساسُه بعودِ الروحِ إلى الجسدِ، وأنَّ الذينَ يُسألُون همُ البالغُون المكلَّفُون، ويُستثنى منهم النَّبيُّ ﷺ وشهداء المعركة[1].

ويحصُلُ السؤالُ لأُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ[2] فقط أي لأُمَّةِ الإجابةِ وأُمَّةِ الدَّعوة. والمرادُ بأمة الدعوة من أرسل إليهم النبيُّ ﷺ والمراد بأمة الإجابة من استجابوا لدعوته وءامنوا به ﷺ.

أما الأمم السابقةُ فلم يكن فيها سؤالٌ في القبر لكنْ كانَ يوجدُ نعيمٌ وعذابٌ.

---

(١) ينظر: السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، (ص١٥١).

(٢) ينظر: السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، (ص١٤٥).

قال رحمه الله: (على ما جاءَتْ بِهِ الأَخْبارُ عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ وعَنِ الصَّحابَةِ رِضوانُ اللَّهِ عليهم، والقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أو حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ).

الشَّرْحُ: سؤالُ الملكينِ ونعيمُ القبرِ وعذابُه قد جاءَتْ بإثباتِها الأخبارُ الصحيحةُ المتكاثِرَةُ عن رسول اللَّه ﷺ، وعن أصحابِه الكرامِ رضوانُ اللَّه عليهم، حتَّى إنَّ علماءَ الحديثِ قالُوا: إنَّ أخبارَ عذابِ القبرِ بلغَتْ درجةَ التواتُرِ المعنويّ[1][2] كما نص على ذلك

(١) قال القرافي: «وهو -أي المتواترُ- ينقسمُ إلى اللفظيّ [وهو] أن يقعَ المشترَكُ بين ذلك العدد في اللفظِ المروي، والمعنويِّ وهُو وقوعُ الاشتراك في معنى عامّ كشجاعةِ عليّ رضي اللَّه عنه وسخاءِ حاتم.
اللفظيُّ كما تقول: القرءانُ الكريمُ متواترٌ أي كلُّ لفظٍ منه اشترَكَ فيها العددُ الناقلُ للقرءانِ، وكذلك دمشقُ وبغدادُ أي جميعُ النقلة نطقُوا بهذهِ اللفظةِ، وأمَّا المعنويُّ فلا يقعُ الشِّرْكة في اللفظِ كما يروى أن عليًا رضي اللَّه عنه قتلَ ألفًا في الغزوةِ الفلانيَّةِ وتُروى قِصَصٌ أخرى بألفاظٍ أخرى، وكلُّها تشترِك في معنى الشجاعةِ، فنقولُ شجاعةُ عليّ رضي اللَّه عنه ثابتةٌ بالتواترِ المعنويّ، ويُروى أن حاتِمًا وهبَ مائةَ ناقةٍ ويروي ءاخرُ أنَّه وهبَ ألفَ دينار ونحوَ ذلك، حتى تتحصَّل حكاياتٌ مجموعُها يفيدُ القطعَ بسخائِه، وإنْ كانتْ كلُّ حكايةٍ من تلك الحكاياتِ لَمْ يتواترْ لفظُها فهذا هُو التواترُ المعنويُّ» اهـ القرافي، **شرح تنقيح الفصول**، (ص ٣٥٣).

(٢) قال ابن الدماميني: «وقد كثرت الأحاديثُ في عذاب القبرِ حتى قال غيرُ ما واحدٍ: إنها متواترة، لا يصحُّ عليها التواطؤ» اهـ ابن الدماميني، **مصابيح الجامع**، (٣/ ٢٩٩).




السـيوطي[١].

ومعنى كـونِ القبـرِ روضـةً مـن ريـاض الجنَّـةِ أو حُفْـرةً مـن حُفَـرِ النارِ تشبيهُ نعيمِـهِ بنعيـمِ الجنَّـة وعذابِه بعذابِ النَّـارِ، وليس المـرادُ أنه يصيـرُ قطعـةً مـن الجنَّـةِ أو مـن النـارِ أو مسـاويًا لهـذه أو لهـذه سـواءً بسـواءٍ.

قال رحمه الله: **(ونؤمِـنُ بالبَعْـثِ وجَـزاءِ الأعمـالِ يـومَ القِيامـةِ والعَـرْضِ والحِسـابِ وقِـراءَةِ الكِتـابِ والثَّـوابِ والعِقـابِ والصِّـراطِ والـمِيـزانِ).**

القيامةُ

الشَّرْحُ: القيامـةُ هـي قيـامُ الموتـى للحسـابِ، وأوَّلُـها مِـنْ خـروجِ النَّـاسِ مـن قبورهِـم إلى اسـتقرارِ أهـلِ الجنَّـةِ في الجنَّـةِ وأهـلِ النَّـارِ في النَّـارِ، ومقـدارُ القيامـةِ خمسـونَ ألـفَ سـنةٍ وفيهـا خمسـونَ موقِفًـا، كلُّ موقـفٍ ألـفُ سـنةٍ قـال تعـالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾[٢].

ويجـبُ الإيمـانُ بمـا ذُكِـرَ مـن البعـثِ وجـزاءِ الأعمـالِ، والعـرضِ والحسـابِ، وقـراءَةِ الكتُـبِ والثوابِ والعقـابِ، والصراطِ والميزانِ، لأنَّ كُلًّا وردَ بـهِ النـصُّ الشرعيُّ، فهـذه المذكـوراتُ مـن العقائـِدِ السمعيَّةِ التي لا يسـتقلُّ العقـلُ بمعرفتِهـا، فيُبعَـثُ العبـادُ مـن القبـور يـوم القيامـةِ للحسـاب ونيـلِ جـزاءِ أعمالهـم.

---

(١) ذكر السيوطي في **الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة** حديثًا يدل على عذاب القبر، (ص ٢٠).

(٢) سورة المعارج/ ءاية (٤).



الحسابُ

والحسابُ هو عرضُ أعمالِ العبادِ عليهم، لأنَّ الدُّنيا جُعِلَتْ دارَ العمَلِ لا دارَ الجزاءِ العامِّ، وإنَّما الآخرةُ هي دارُ الجزاءِ، وعرضُ الأعمالِ يكونُ بسماعِ العبادِ كلامَ اللهِ الذي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً لا عربيَّةً ولا غيرَها وهو كلامٌ واحدٌ يَفْهَمُ كلُّ السؤال عمَّا فَعَلَه بالنِّعَمِ التي أعطاه اللهُ إياها على حسبِ حالِه.

ويُعرَضُ العبادُ على اللهِ تعالى، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ﴾[1]، ويُعطى كلُّ إنسانٍ كتابَهُ الذي كتبَهُ له الملكانِ رقيبٌ وعتيدٌ كما في قولهِ تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾[2].

---

(١) سورة الكهف/ ءاية (٤٨). قال الرازي: «قالت المشبِّهةُ قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [سورة الفجر/ ءاية (٢٢)] يدلُّ على أنَّه تعالى يحضُرُ في ذلك المكانِ وتُعرضُ عليه أهلُ القيامةِ صفًّا، وكذلك قولُه تعالى: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا﴾ يدُلُّ على أنَّه تعالى يحضُرُ في ذلك المكانِ، وأجيب عنه: بأنَّه تعالى جعلَ وقوفَهم في الموضعِ الذي يسألُهم فيه عن أعمالِهم ويحاسبُهم عليها عرضًا عليه، لا على أنَّه تعالى يحضُرُ في مكانٍ وعُرِضوا عليه لِـيَراهم بعدَ أن لَمْ يكنْ يراهُم» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (٢١/ ٤٧٠). فاللَّه تعالى منزَّهٌ عن المكانِ والانتقالِ والجلوسِ، تعالى اللهُ عن ذلك.

(٢) سورة الإسراء/ ءاية (١٤). قال النسفي: «﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ عَمَلَهُ ﴿فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ يعني أنَّ عمَلَه لازمٌ له لزومَ القِلادةِ أو الغِلِّ للعُنقِ لا يُفكُّ عنه ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ﴾ هو صفةٌ لكتابًا يُلقَّاهُ شاميٌّ ﴿مَنشُورًا ١٣﴾ حالٌ=

الثَّوابُ والعِقَابُ

ثم يُثابُ بعد ذلك العبدُ على أعمالِهِ أو يُعاقَبُ إِنْ لَمْ يسامِحْهُ اللَّهُ تعالى. والثواب هو الجَزاءُ الذِي يُجزَى به المُؤمنُ مِمَّا يَسُرُّهُ في الآخرةِ على ما فَعَلَ مِنْ طاعةٍ. والعقاب هو ما يَسُوءُ العبدَ يومَ القيامةِ على ما فَعَلَ مِنْ معصيةٍ.

والعِقابُ على قسمين: أَكْبَرَ وَأَصْغَرَ. فالعِقابُ الأكبرُ هو دخولُ النَّارِ، والعِقابُ الأصغَرُ ما دُونَ ذلكَ كأذَى حَرِّ الشَّمسِ يومَ القِيامَةِ.

وقد تضمَّنَ قولُه: **(وجزاءِ الأعمالِ)** الإيمانَ بالثوابِ والعقابِ ولكنَّه أعادَه رحمهُ اللَّهُ تأكيدًا ومبالغَةً.

العبورُ على الصِّراطِ

ثم يعبُرونَ على الصِّراطِ، لقولِه تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1]،

=من يلقَاهُ يعني غيرَ مطويّ ليُمكنَه قراءتُه أو هما صفتانِ للكتاب، ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ أي كتابَ أعمالِك وكلٌّ يُبعث قارئًا ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ﴾ الباءُ زائدةٌ أي كفَى نفسُك ﴿حَسِيبٗا ١٤﴾ تمييزٌ وهو بمعنى حاسبٍ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٢/ ٢٤٩).

(١) سورة مريم/ ءاية (٧١). قال الزبيدي: «قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم/ ءاية (٧١)] فسَّرَه ثعلبٌ فقال: يرِدُونَها مع الكفارِ فيدخُلُها الكفَّارُ ولا يدخُلُها المسلمون -أي لا يدخلها جميعُ المسلمين بل يدخلها بعض العصاة ثم يخرجون منها-، والدليلُ على ذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ [سورة=

ولِمَـا ثبتَ عنْ رسولِ اللَّه ﷺ من أخبارِ ضَـرْبِ الصراطِ على متنِ جهنَّمَ.

فمنهـم مَنْ يَرِدُه ورُودَ دخولٍ في النارِ وهـم الكفارُ الذين يقعون في جهنَّم من ابتداء ورُودِهـم ويخلَّدون في النارِ أبدًا، وكذلك يرِدُه ورودَ دخول بعضُ عصاةِ المسلمين من أهلِ الكبائرِ أي يزِلُّون منه إلى جهنّم وهؤلاء العصاةُ لا يخلَّدُون في النَّار، وفي حافَتَي الصِّراطِ كلاليبُ معلّقةٌ تأخذُ مَنْ أُمِرَت به، فمن العصاةِ من تأخُذُه ثم تُفلِتُه فهو مخدُوشٌ ناجٍ.

ومنهم من يَرِدُه ورُود مرورٍ في هوائِه من غيرِ أن يَمَسَّه بقَدَمِه وهؤلاء يصدُق عليهم أنَّهم ورَدُوا النَّارَ، لأنَّه ليس من شرط الورُودِ الدخولُ، فمن هؤلاءِ وهمُ الأتقياءُ من يَمُرُّ كالبرقِ الخاطِفِ أي اللامع، ومنهم من يَمرُّ كطَرْفَةِ عينٍ، وهو محمولٌ على ظاهرِه بغير تأويلٍ، ومنهم من يَمُرُّ عليه كالرّيحِ العاصفِ أي الشديدةِ الهُبوبِ، ومنهم كالفَرَس الجواد أي السّريعِ الجريِ[1].

=الأنبياء/ ءاية (١٠١، ١٠٢)]. وقال الزجَّاجُ: وحجتُهم في ذلك قويَّةٌ، ونقلَ عن ابن مسعودٍ والحسنِ وقتادةَ أنَّهم قالوا: إنَّ ورُودَها ليسَ دخولَها، وهُو قويٌّ، لأنَّ العربَ تقول: ورَدْنا ماءَ كذا، ولم يدخلُوه، وقال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [سورة القصص/ ءاية (٢٣)] وفي اللغة: وَردتُ بلدَ كذا وماءَ كذا، إذا أشرفَ عليه، دخلَه أو لَمْ يدخُلْهُ» اهـ الزبيدي، **تاج العروس**، (٩/ ٢٨٩).

(١) البيهقي، **البعث والنشور**، (ص ٣٠٨).

وصفُ الصِّراطِ

والصراط جسـرٌ عريـضٌ ممـدودٌ على جهنَّـمَ تَرِدُ عليـه الخلائقُ، أحدُ طرَفيـه أي الصراطِ في الأرضِ الـمُبَدَّلَةِ والآخـرُ في مـا يلي الجنَّـةَ، وقـد وردَ في صفتِـه مـا رواه مسـلمٌ في «**صحيحـه**» أنّـه «دَحْـضٌ مَـزَلَّةٌ»[١] والدَّحـضُ والـمَزَلَّة بمعنى واحـدٍ وهـو الموضِعُ الأملَسُ الزَّلِقُ الـذي تَزِلُّ عنـه الأقـدامُ ولا تَستقرُّ.

وقد وردَ أنَّه أحدُّ من السيفِ وأَدَقُّ من الشعرةِ كما روى مسلم عن أبي سعيد الخدريِّ رضي اللَّه عنـه: «بَلَغَنِـي أَنَّ الجِسـرَ أَدَقُّ مِـنَ الشَّـعْرَةِ وَأَحَـدُّ مِـنَ السَّـيْفِ»[٢] اهـ وليس المـرادُ ظاهـرَه، بـل هـو عريضٌ كما جاء في الحديـث الصحيح، وإنَّمـا المـرادُ بذلك أنَّ خطرَه عظيـمٌ فـإنَّ يُسْـرَ الجـوازِ عليـه وعسـرَه أي سهولتَه وصعوبتَه على قـدرِ الطاعـاتِ والمعـاصي، ولا يعلـمُ حـدودَ ذلـك إلَّا اللَّهُ لخفائِهـا وغموضِهـا. قـال البيهقـي نـقلًا عـن الحليمـي: «وقـد جَـرَتِ العـادةُ بتسـميَةِ الغامِـضِ الـخفِيِّ دَقِيقًـا، وضَـرْبِ الـمَثَلِ لَـهُ بِدِقَّـةِ الشَّـعْرَةِ»[٣] اهـ وقـد وردَ في الصَّحِيـحِ «أَنَّـهُ تَـجْرِي بِـهِمْ» أيْ بالنَّـاسِ «أَعْمَـالُـهُمْ»، رواهُ مسلمٌ في

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١/ ١١٤).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١/ ١٦٧).

(٣) البيهقي، **شعب الإيمان**، (١/ ٣٣٢).




«صحِيحِـهِ»[1]، معنـاهُ أنَّ أعمـالَـهم تصيـرُ لهـم قـوَّةَ السَّيـرِ، أي إن سرعةَ سيـرِهم على حَسَبِ أعمـالِـهم.

الميزانُ

وتُـوزَنُ أعمـالُ العبـاد كما قـال تعـالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[2]، ومن العلمـاءِ من قـالَ بـأنَّ اللهَ تعالى يخلُقُ من الأعمـالِ أجسـامًا تُـوزَنُ، ومنهُـم مـن قـالَ المـوزُونُ الصحائـفُ[3]، ويكفِـي للإيمـانِ بذلـك الاعتقـادُ بِـحَقِّيَّةِ المـرادِ بـهِ بـدونِ معرفـةِ التفاصيـلِ.

قال رحمه الله: (والـجَنَّةُ والنَّارُ مَـخْلُوقَتانِ لا تَفْنَيانِ أبدًا ولا تَبِيدَانِ).

بقاءُ الجنَّةِ والنَّارِ

الشَّرْحُ: يجـبُ الإيمـانُ بالجنَّـةِ ودوامِهـا ونعيمِهـا، وبالنَّـارِ ودوامِهـا ودوامِ عقابِـها، فالجنَّةُ أُعِدَّتْ للمتَّقينَ لإيمـانِـهم على التأبيدِ، والنارُ أُعِدَّتْ للكافريـنَ جـزاءً لكُفْرِهِـم على التأبيـدِ، وهمـا موجودتـانِ الآنَ

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١/ ١٢٩).

(٢) سورة الأنبياء/ ءاية (٤٧). قال النسفي: «﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ﴾ جمعُ ميزانٍ وهو ما يُوزَنُ به الشيء فتُعرَفُ كمِّيَّته، عن الحسنِ هو ميزانٌ له كفَّتانِ ولسانٌ، وإنَّما جُمِعَ الموازين بالقِسطِ وهو العدلُ مبالغةً كأنها في نفسِها قِسْطٌ، أو على حذفِ المضافِ أي ذواتِ ﴿ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهَٰذَا﴾ لأهلِ يومِ القيامةِ أي لأجلِهم» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٢/ ٤٠٧).

(٣) السمرقندي، **تفسير السمرقندي**، (١/ ٥٠٤).

بخلافِ قولِ المعتزِلَةِ حيثُ يزعُمُونَ أنَّهما ليستا موجودتين الآنَ وأنَّهما ستُوجَدان في الآخرة.

وقدْ صرَّحَ اللَّهُ تعالى في كتابِهِ بذكرِ الخلودِ الأبديّ في جزاءِ الكافرينَ وجزاءِ المؤمنين، فوجبَ القولُ ببقاءِ الجنَّةِ والنَّارِ إلى الأبدِ، ولم يخالفْ في ذلك أحدٌ من المسلمين.

وكان ابنُ تيمية نقلَ في كتابِهِ المسمى «**منهاج السنَّةِ النبويَّةِ**»[1] أنَّه لا خلافَ بين المسلمينَ في ذلك إلا أنَّ جهْمًا[2] خالفَ فكفَّرهُ المسلمون، أي ابن تيمية نقل إجماع المسلمين على تكفير جهم لأنه قال بفناء الجنَّة والنَّارِ، ثم قالَ ابنُ تيميةَ بعد ذلك بخلافِ ذلك فنفَى بقاءَ النَّارِ كما في كتابِه: «**الردّ على من قال بفناءِ الجنَّةِ والنارِ**»[3] فيكون وافقَ الجهميَّةَ بنصفِ عقيدتهم.

وقد نقل ذلك عنه تلميذُه ابنُ قيِّمِ الجوزيّةِ في كتابه «**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**»[4]، وقدْ عمِلَ السبكيُّ ردًّا عليهِ سمَّاهُ «**الاعتبار ببقاءِ الجنَّةِ والنَّار**».

---

(١) ينظر: ابن تيمية، الكتاب المسمى **منهاج السنة النبوية**، (١/ ٣١٠).

(٢) جهمُ بنُ صفوانَ السمرقنديُّ، أبو محرز، من موالي بني راسب، رأسُ الجهميَّةِ، ضالٌّ مبتدِعٌ، هلكَ في زمانِ صغارِ التابعين وقد زرعَ شرًّا عظيمًا، وله ضلالاتٌ كثيرةٌ، منها أنَّه يقول إنَّه تعالى في جميع الأمكنةِ، توفي سنة (١٢٨هـ). ينظر: الزركلي، **الأعلام** (٢/ ١٤١).

(٣) ابن تيمية، **الرد على من قال بفناء الجنة والنار**، (ص ٥٢).

(٤) ابن القيم، **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، (ص ٣٥٢).

قال رحمه الله: (وإنَّ اللّهَ تعالى خَلَقَ الـجَنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الـخَلْقِ، وخلَقَ لَـهُما أَهْلًا، فَمَنْ شاءَ مِنْهُم إلى الـجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، ومَنْ شاءَ مِنْهُم إلى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ).

الشَّرْحُ: الإمامُ الطحاويُّ رحمه اللّهُ تعالى رجعَ إلى الكلامِ في إثباتِ أمرِ القدَرِ، وذلك لأنَّه مِنْ أهمِّ أمورِ العقيدةِ، فذكرَ أنَّه يجبُ أن نؤمِنَ بأنَّ الجنَّة والنَّار خُلِقَتا قبل البَشَر، وهُم المرادون بقولِه: (قبلَ الـخَلْقِ)، وأنَّ اللّهَ تعالى خلق للجنَّةِ والنارِ أهلًا، أيْ علمَ تبارك وتعالى في الأزلِ أنَّ قِسْمًا من العبادِ سيكونُون منْ أهلِ النارِ، وشاءَ ذلك لهم وقدَّرَهُ عليهم، وخلقَهُم لتكونَ النارُ عاقبَتَهم، وعلمَ في الأزلِ أنَّ قسمًا مِن العبادِ سيكونُون من أهلِ الجنَّةِ، وشاءَ ذلك لَهُم وقدَّرَهُ عليهم، وخلقَهُمْ لتكونَ الجنَّةُ عاقبَتَهُم، فهو يُدخِلُ مَنْ شاء من خَلْقِهِ الجنَّةَ بفَضْلِهِ على ما سبقَ في عِلمِهِ ومشيئتِه وقَدَرِهِ، لا لأنَّ إدخالَهم الجنَّةَ واجبٌ عليه سبحانَه، ويسُوقُ مَن شاءَ إلى النَّارِ بعدلِهِ، ولو لَمْ يَشَأْ عَذابَهُم لَمَا كَانَ ذلك ظلمًا منه عزَّ وجلَّ.

وقوله: (فمَنْ شاءَ منهم إلى الجنَّةِ فضلًا منه) فيهِ ردٌّ على المعتزلةِ القائلينَ بأنَّه يجبُ على اللّهِ أن يفعلَ ما هو الأصلحُ للعبادِ والعياذُ باللّهِ تعالى.

وممَّا يدلُّ على أنَّ الثوابَ في الجنَّةِ فضلٌ من اللّه تعالى قولُه ﷺ: «لا يُنجِي أحدَكُمْ عملُه»، قالُوا: ولا أنت يا رسول اللّه، قال: «ولا



أنا إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِـيَ اللَّهُ برَحمتِهِ»[1].

وأما كـونُ تعذيـبِ الكُفَّـارِ ومـن شـاءَ سبحانَه من عصاةِ المسلمين عـدلًا، فلأنَّ الظُّلْمَ هـو وَضْعُ الشيءِ في غير موضعِهِ، والتَّصَـرُّفُ في غيرِ الـمِلْكِ[2]، وهـو تعالى حكيمٌ مُتَصَـرِّفٌ في مِلكه إثابةً وعُقُوبةً لا في مِلْـكِ غيره، لأنَّـه تعـالى المالِـكُ لـكلِّ شيء علـى الحقيقـة، ولأنَّ الظُّلْـمَ كذلـك هـو مخالفـةُ أمـرِ ونَـهْيِ مَـنْ لـه الأمـرُ والنَّهـيُ، واللَّهُ تعالى ليسَ لـه ءامرٌ ولا نـاهٍ، فيعذِّبُ مَنْ يشاءُ على تـركِ الواجباتِ وارتـكابِ المحرَّمـاتِ عـدلًا منـهُ وحكمَـةً.

قال رحمه الله: (وكُلٌّ يَعملُ لِـمَـا قَدْ فُرِغَ لَهُ وصَائِرٌ إلى ما خُلِقَ لَهُ).

الشَّرْحُ: كلُّ عبـدٍ مِـنَ العبـادِ يعمـلُ باختيـارِه، على وَفْـقِ مـا عَلِـمَ اللَّهُ تعـالى منـهُ وشـاءَ وقـدَّرَ لـه وكتَـبَ في اللـوحِ المحفـوظِ أنـهُ يعمـلُ، وهُـو صائـرٌ إلى مـا قُـدِّرَ لـه مِـنَ الـحَالِ والخاتـمةِ.

(١) أحمد، مسند أحمد، (١٦/ ٣٩٥). قال ابن بطال: «أخبرَ النبيُّ ﷺ في الحديثِ أنَّه لا يستحقُّ أحدٌ دخولَ الجنَّةِ بعَمَلِه، وإنَّما يدخلُها العبادُ برحمةِ اللَّه، وأخبرَ اللَّه تعالى في الآيةِ أنَّ الجنَّةَ تُنَال المنازلُ فيها بالأعمالِ، ومعلومٌ أنَّ درجاتِ العبادِ فيها متباينةٌ على قدرِ تبايُنِ أعمالِهم، فمعنى الآية [﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾] في ارتفاعِ الدَّرجاتِ وانخفاضِها والنعيم فيها، ومعنى الحديثِ في الدُّخولِ في الجنَّةِ والخلودِ فيها، فلا تعارضَ بين شيءٍ من ذلك» اهـ ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (١٠/ ١٨٠).

(٢) قال الزبيدي: «الظُّلمُ بالضمِّ: التَّصرُّف في ملكِ الغيرِ ومجاوزةُ الحدِّ، قاله المناويُّ» اهـ الزبيدي، **تاج العروس**، (٣٣/ ٣٢).

قال رحمه الله: (والخَيْرُ والشَّرُّ مُقَدَّرانِ على العِبادِ).

الشّرْحُ: كُلُّ ما يحصلُ في العَالَمِ مُقَدَّرٌ، ومِن ذلك أفعالُ العبادِ سواءٌ كانتْ خيرًا أم شرًّا، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[1].

قال رحمه الله: (والاستِطاعَةُ التي يَجِبُ بِها الفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوفِيقِ الذي لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المَخْلُوقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ، وأمَّا الاستِطاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ والوُسْعِ والتَّمكُّنِ وسَلامَةِ الآلاتِ فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وبِها يَتعلَّقُ الخِطابُ، وهِيَ كما قالَ تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾).

الاستطاعةُ عندَ أهلِ الحَقِّ نوعان

الشّرْحُ: اللَّهُ عزَّ وجلَّ أخبرنا أنَّه لا يأمرُ العبدَ إلَّا بِمَا في وُسعِهِ، فالأمرُ بالفعلِ لا بُدَّ له مِنَ القُدرةِ على الفعلِ، أي لا بُدَّ أن يكونَ الفعلُ في استطاعةِ العبدِ، كما نَصَّ على ذلك الكتابُ في نحوِ قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[2].

وقد قالَ أهلُ الحقِّ إنَّ الاستطاعةَ عندَهُم نوعان، إحداهما مقارِنَةٌ للفعلِ وهِيَ القدرةُ الباطنةُ، وتُسَمَّى أيضًا الاستطاعةَ الباطنةَ، وهيَ في الطاعاتِ تُسَمَّى توفيقًا، وفي المعاصي تُسَمَّى خِذْلانًا، ولا يتعلَّقُ بها خطابُ اللَّهِ التَّكليفيُّ للعبادِ[3]، ويُحدِثها اللَّهُ تعالى في العبدِ

---

(١) سورة الفرقان/ ءاية (٢).

(٢) سورة البقرة/ ءاية (٢٨٦).

(٣) قال الرازي: «الحُكْمُ الشرعيُّ قالَ أصحابُنا إنَّه الخطابُ المتعلِّقُ بأفعالِ=

مقرونةً بالفعلِ، فهي تكُون مع الفعلِ، ويكونُ العبدُ بذلك مفتَقِرًا إلى توفيقِ اللَّه تعالى ومشيئتِه وتأييدِه في كلّ لَمْحَةٍ ولحظةٍ، وهي حقيقةُ العبوديةِ كما قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[1].

والاستطاعةُ الأُخرى تسبقُ الفعلَ، وهيَ القدرةُ الظاهرةُ أي الوُسعُ والتمكُّنُ وسلامةُ الأسبابِ والآلاتِ، أي كونُ الحواسّ التي يَتأدَّى بها الفعلُ سالمةً، وتكونُ قبلَ الفِعلِ بلا خلافٍ، وهي التي يتعلَّقُ بها خطابُ اللهِ التَّكليفيُّ للعبادِ.

قال القُونَويُّ في «**القلائد**»: «الاستطاعةُ نوعان: إحداهما سلامةُ الآلات وهِي سابقةٌ على الفعلِ بلا خِلافٍ، وصحةُ التكليفِ تعتمِدُ تلك الاستطاعةَ، والاستطاعةُ الثانيةُ عَرَضٌ تحدث عندنا مقارِنةً للفعلِ.

وقالت المعتزلةُ هي سابقةٌ على الفعلِ، ولنا في ذلك النصُّ والمعقولُ، أما النصُّ فقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾[2]،

=المكلَّفين بالاقتضاءِ أو التخييرِ، أمَّا الاقتضاءُ فإنَّه يتناولُ اقتضاءَ الوجودِ واقتضاءَ العدم إمَّا مع الجزمِ أو مع جوازِ التركِ فيتناولُ الواجبَ والمحظورَ والمندوبَ والمكروهَ، وأمَّا التخييرُ فهو الإباحةُ» اهـ الرازي، **المحصول**، (١/ ٨٩).

(١) سورة فاطر/ ءاية (١٥).

(٢) سورة الكهف/ ءاية (٦٧). قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾ أي إنَّك يا موسى لا تطيقُ أن تصبرَ على ما تراه من عِلْمِي، وكيفَ تصبرُ على ما تراه خطأً ولَمْ تُخْبَرْ بوجهِ الحكمةِ فيه ولا طريقَ=

ولو كانت الاستطاعةُ قبلَ الفعلِ لَمْ يقُلْ ذلك، وأمَّا المعقولُ فمِنْ وجُوهٍ: أحدُها أنَّا أُمِرْنا بسؤالِ المعُونةِ على العبادةِ مِنَ اللَّهِ تعالى، فلو كانت الاستطاعةُ قبلَ الفعلِ لكانَ الأمرُ بسؤالِ المعونةِ لَغْوًا»[1] اهـ

قال رحمه الله: (وأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللَّهِ وكَسْبٌ مِنَ العِبادِ).

الشَّرْحُ: العبادُ يكسِبُونَ أعمالَهم ولا يخلقُونها، بل هِيَ كلُّها مخلوقةٌ للَّهِ تعالى.

وهذا يُخالِفُ قولَ الجبريَّةِ الذين زعمُوا أنَّهُ لا فِعْلَ للعبادِ على الحقيقةِ وإنما يُضافُ إليهم الفعلُ مجازًا كما يُقال جَرَى الماءُ واسودَّ الشعرُ، ويخالفُ أيضًا قولَ المعتزلةِ بأنَّ العبدَ هُو الذي يخلقُ فِعْلَهُ.

بيانُ معنى الكسبِ

الكسبُ هو توجيهُ العبدِ قصدَه وإرادتَه نحوَ العملِ، فإنْ خلقَ اللَّهُ في العبدِ هذا العملَ يقالُ إنَّ هذَا العبدَ اكتَسَبَه.

والكسبُ أمرٌ بين الاضطِرارِ المحضِ وبينَ الاختيارِ المحضِ، فالعبدُ له اختيارٌ لكنَّ اختيارَه تحتَ مشيئةِ اللَّه، فليسَ هو مُجْبَرًا

=الصواب. ويقال: معناه كيف تصبر على ما ظاهره منكرٌ، وهذا معنى قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨﴾ والأنبياءُ لا يقِرُّون على منكرٍ، لا يجوزُ لهم التقريرُ، أي لا يسعُك السكوتُ جريًا على عادتِك وحكمِكَ. القرطبي، **تفسير القرطبي**، (١١/ ١٧). السمرقندي، **تفسير السمرقندي**، (٢/ ٣٥٥).

(١) ينظر: القونوي، **القلائد في شرح العقائد**، (ص ٤٣٧-٤٤٠).

بالمعنى الذي تقولُه الجبريَّةُ القائلين بأنَّ العبدَ لا فِعلَ له بالمرَّة وإنما هو كالريشة المعلَّقة بالهواء تأخذُها الرياح يمنةً ويسرةً، وليس هو مختارًا بالمعنى الذي تقولُه المعتزلةُ القائلين بأنَّ العبد يخلق أفعاله، إنما نحن وَسَطٌ بين الجبريَّة والقدريَّة أي المعتزلة.

وهذا البيان هو معنى قول الإمام علي رضي الله عنه عندما سئِل عن القدر فقال: «لا جبرٌ ولا تفويضٌ» اهـ يريدُ به أن عقيدةَ أهل السنة والجماعة هي أنَّ العبدَ له اختيارٌ ممزوجٌ بجبرٍ فالعبدُ مختارٌ تحتَ مشيئةِ اللهِ.

أدلَّةُ أهلِ السُّنَّةِ على مَسألةِ خلقِ اللهِ أفعالَ العبادِ، وردُّ قولِ المعتَزلةِ والجبريَّةِ

ومن أوضح الأدلة على مذهب أهلِ الحقِّ أي على أنَّ العباد لا يخلقون شيئًا من أفعالهم قوله تعالى: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٧﴾[1] فإنَّ القتلَ للكفارِ حصلَ منهم ونسبَه اللهُ إليهم معنًى من حيثُ الظاهرُ أي الكسبُ، ونفاه عنهم من حيثُ التكوينُ، كذلك رميُ الرسولِ ﷺ بالحصى الذي ملأ أعيُنَهم فانهزمُوا حصلَ من الرسولِ ﷺ كسبًا فنسبَه اللهُ تعالى إليهِ من حيثُ الكسبُ ونفى عنهُ من حيثُ التكوينُ أنْ يكونَ خالقًا لرميِه[2].

---

(١) سورة الأنفال/ ءاية (١٧).

(٢) ينظر: النسفي، تفسير النسفي، (١/ ٦٣٧).

ودلَّ أيضًا على ما ذهبَ إليه أهلُ السنَّةِ مِنَ المنقُولِ قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[(١)].

ومن حُجَجِ العُقُولِ أنَّ العالَمَ أعيانٌ وأعراضٌ، والأعيانُ إمَّا متركّبةٌ وهي الأجسامُ أو غيرُ متركِّبةٍ وهي الجواهرُ، وأمَّا الأعراضُ فمنها الحركاتُ والسكناتُ والأقوالُ والأفعالُ والإراداتُ والاعتقاداتُ، فالجسمُ الواحدُ من الأعيانِ يتَّصفُ بهذه الأعراضِ الكثيرةِ، فصار على قولِ المعتزلةِ أكثرُ العالَمِ مخلوقًا لغيرِ اللهِ تعالى، وهو قولُ الثَّنويَّةِ[(٢)]، بل الثنويَّةُ أقربُ حالاً منهُم، لأنَّ الثنويَّةَ أثبتُوا للعالمِ خالقَيْنِ اثنين، والمعتزلةُ أثبتُوا خالقِينَ لا يُحصَوْن كثرةً، حتى قالوا إن كلَّ فاعلٍ مختارٍ مِمَّنْ جلَّت رتبتُه كالمَلَك والبَشَر، أو صغُرَت جثَّتُه كالبَقّ والبعوضِ، أو انحطَّت رتبتُه كالكلبِ والخنزيرِ، فهو خالقٌ لأفعالِه في قولهم[(٣)]، ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «**القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هذه الأُمَّةِ**[(٤)]» رواهُ البيهقيُّ

---

(١) سورة الصافات/ ءاية (٩٦). قال النسفي: «أيْ وخلقَ أعمالَكم، وهُو دليلُنا في خلقِ الأفعالِ، أي الله خالقُكم وخالقُ أعمالِكم، فلِمَ تعبُدُون غيرَه» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (٣/ ١٣٠).

(٢) قال أبو منصور البغداديّ: «الثَّنَويَّةُ زعمتْ أنّ النُّورَ والظلمةَ صانِعان قديمان، والنَّورُ منهما فاعلُ الخيرَاتِ والمنَافِع، والظلامُ فاعلُ الشرورِ والمضارّ» اهـ أبو منصور البغدادي، **الفرقُ بين الفرقِ**، (ص ٢٦٩).

(٣) أبو منصور البغدادي، **أصول الدين**، (ص ١٣٥).

(٤) قال السندي في شرح الحديث: «ووجه كونهم كالمجوس أنَّ المجوسَ يقولون بتعدد الخالقِ، وكذلك من يقولُ بنفي القدَرِ وأنَّ العبد خالقٌ لأفعاله=

في كتابِ **القدرِ**[1] وغيرِه[2]، حيثُ أثبتُوا لأنفُسِهم تخليقَ الأفعالِ الاختياريةِ دونَ اللهِ تعالى، كما أثبتَت المجوسُ قسمًا من أفعالِ العالَمِ للنُّورِ وقسمًا للظلمةِ.

والعجبُ من وقاحةِ المعتزلةِ أنهم يُسَمُّون أنفسَهم أهلَ عدلٍ وتوحيدٍ[3]، وقد كَفَرُوا بعُمُوم قولِه تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[4]، وبعمُوم قولِه: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾[5]، وقد تقدَّم

=يقول بتعدد الخالق، والحديثُ قد حسَّنه الترمذي وصححه الحاكم وحقق الحافظ ابن حجر أنَّه صحيح على شرط مسلم في الاكتفاء بالمعاصرة، فلا وجه للحكم بوضعه كما قيل، والله تعالى أعلم» اهـ السندي، **فتح الودود في شرح سنن أبي داود**، (٤/ ٤٧١).

(١) البيهقي، **القضاء والقدر**، (ص ٢٨١).

(٢) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، باب في القدر، (١/ ٣٥).

(٣) قال البغوي: «وأصولُ المعتزلة خمسة يسمُّونها: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
وتوحيدُهم هو توحيدُ الجهميَّة الذي مضمونُه نفي الصفات، وقالوا: إنَّ الله لا يُرى، والقرءان مخلوق -أي لا يثبتون لله صفة الكلام الذاتية-، ولا يقومُ بالله علمٌ ولا حياة ولا سمع ولا بصر إلخ.
وأما عدلُهم فمضمونه: أن الله لَمْ يشأ جميعَ الكائنات ولا خلقَها كلَّها، ولا هو قادرٌ عليها كلِّها وأفعال العباد لم يخلقها لا خيرَها ولا شرَّها، ولم يرد إلا ما أمر به شرعًا، وما سوى ذلك فإنه يقع بغير مشيئته» اهـ البغوي، **تفسير البغوي**، (١/ ١٥).

(٤) سورة الرعد/ ءاية (١٦).

(٥) سورة البقرة/ ءاية (١٠٦).

أن تكفيـرَهم هـو الحـقُّ وهـو مذهبُ السلفِ كما نقل تكفيـرهم عن ابـن عبـاس رضي الله عنهمـا[١] وعـن الإمـام أحمـد رضي الله عنـه[٢]، وقـال الأسـتاذ أبـو منصـور البغـدادي في كتابـه «**تفسير الأسماء والصفات**»: «أصحابُنا أجمعوا على تكفير المعتزلة» اهـ أي الذين يقولـون العبـد يخلق أفعالـه.

وأما الجبرِيَّةُ فقدْ ذكرَ سيفُ الحقِّ أبو المعين[٣] النسفيُّ رحمه الله أنها طائفةٌ لم يبقَ لَهم مُنَاظِرٌ يحاجُّ عن نِحْلتِهم، ولا تدعُو الحاجةُ إلى الاستعدادِ لمناظرتِهم[٤] اهـ أقولُ[٥] ثبت لديّ وجودُهم فقد التقيتُ بمن يعتقدُ عقائدَ الجبريَّةِ لكن لا ينسبُ نفسَه إليهم، ومنهم من يقولُ بالإرجاءِ مع أنه لا يعلمُ اسمَ المرجئةِ، فمُهِمٌّ التحذيرُ من هذه العقائدِ ولو انقرضت الفرقُ القديمةُ.

قال رحمه الله: **(ولَـمْ يُكلِّفهُمُ اللَّهُ تعالى إلا ما يُطِيقُون، ولا يُطَيِّقُونَ إلَّا ما كَلَّفَهُم)**.

---

(١) اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، (٤/ ٧١٣).

(٢) الخلّال، **السُّنَّة**، (٣/ ٥٥٨).

(٣) هو ميمونُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ معبدِ بنِ مكحولٍ، أبو المَعِين النَّسفي الحنفيّ، عالِمٌ بالأصول والكلام، كان بسمرقند وسكنَ بخارى. من كتبه: «بحر الكلام» و«تبصرة الأدلة» ولد سنة (٤١٨هـ) وتوفي سنة (٥٠٨هـ). الزركلي، **الأعلام**، (٧/ ٣٤١).

(٤) أبو المعين النسفي، **تبصرة الأدلة**، (ص ٨٤٨).

(٥) هذا كلام الأستاذ الدكتور طارق اللحام.

الشَّرْحُ: الجملةُ الأولى معناها ظاهرٌ وهو أنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يكلِّف العبادَ إلّا ما يُطِيقُونه من الأعمال كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].

وأما الجملةُ الثانيةُ فمعناها لا يُلْزَمُونَ أيْ ليسَ للعبادِ أن يُلزِمُوهم إلا ما كلَّفَهُم اللَّهُ به، فيُطِيْقُون في الجملةِ الأولى بضمِّ الياءِ وكسرِ الطاء، وأما الثانيةُ فيَتَعَيَّنُ قراءتُها بضمِّ الياء وفتحِ الطاءِ وتشديدِ الياءِ التي بعدَها، ولا يصحُّ معنى هذهِ الجملةِ الثانيةِ إلا على هذا الوجهِ لأنه إذا قُرِئَ (ولا يُطِيْقُون) بكسرِ الطَّاءِ (إلا ما كلَّفَهُم) لا يصحُّ المعنى، لأنَّهُ على ذلك يعطِي أنَّ العبادَ لا يستطيعُونَ أن يفعلُوا سوى ما كلَّفَهُم اللَّهُ به، والواقعُ أن العبادَ قادرُون على أن يخالفُوا ما كلَّفهم اللَّهُ به، وذلك حالُ أكثرِ البَشَرِ[2].

قال رحمه الله: (وهُو تَفْسِيرُ لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللَّهِ، نقولُ لا حِيْلَةَ لأحدٍ ولا حَرَكَةَ لأَحَدٍ ولا تحوُّلَ لأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إلا بِمَعُونَةِ اللَّهِ، ولا قُوَّةَ لأَحَدٍ على إقامَةِ طاعَةِ اللَّهِ والثَّباتِ عليها إلا بتَوْفِيقِ اللَّهِ).

معنى لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللَّهِ

الشَّرْحُ: هذه الكلمةُ الشريفةُ صحَّ تفسيرُها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) سورة البقرة/ ءاية (٢٨٦).

(٢) وهذا التحقيقُ مما فتحَ اللَّه بهِ على شيخنا الشيخ عبد اللَّه الهرري، ولم أرَ شارِحًا قبلَهُ عَرَّجَ عليه ولله الحمدُ.

فيمَا رواهُ البزار[١] وأبو يعلى[٢] وغيرُهما[٣] عنهُ، قال: «**لا حولَ عن معصيةِ اللَّهِ إلا بعصمةِ اللَّهِ، ولا قُوَّةَ على طاعةِ اللَّهِ إلا بعونِ اللَّهِ**». وهذا حقيقةُ العبوديَّةِ أن يكونَ العبدُ مفتقرًا إلى اللَّهِ في العصمةِ أي الحفظِ عن المعاصي والتوفيقِ للطَّاعاتِ، فلذلك سَمَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ في الخبرِ الصحيحِ هذه الكلمةَ كنزًا من كنُوزِ الجنَّةِ، فإنَّه قال لأبي موسى الأشعريِّ رضي اللَّه عنه: «**ألا أدلُّك على كلمةٍ هي كنزٌ من كنوزِ الجنَّةِ**، فقالَ: بلى يا رسول اللَّه، فقال ﷺ: «**لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللَّهِ**»[٤].

وأجمعَتِ الأُمَّةُ[٥] على كونِها منْ أصولِ العقائدِ وهي كقَوْلِه تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾[٦]، أيْ أنَّ العبادَ

---

(١) البزار، **مسند البزار**، (٥/ ٣٧٤).

(٢) العسقلاني، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، كتاب الأذكار والدعوات، باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، (١٤/ ١٦٥).

(٣) الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، كتاب الأذكار، باب ما جاء في الأذكار عقب الصلاة، (١٠/ ٩٩).

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (٥/ ١٣٣). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، (٤/ ٢٠٧٦)، وهو لفظ مسلم.

(٥) أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٣٢٣).

(٦) سورة التكوير/ ءاية (٢٩). قال الطبري: «قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ يقولُ تعالى ذكرُه: وما تشاؤون أيُّها الناسُ الاستقامةَ على الحقّ إلا أنْ يشاءَ اللَّه ذلك لكم. وذُكِر أنَّ السببَ الذي من أجلِه نزلَت هذهِ الآيةُ ما=

لا تكونُ لهم مشيئةٌ إلا أن يشاءَ اللّه أن يشاؤُوا، فما شاءَ اللّهُ في الأزلِ أن يشاءَهُ العبادُ تحصُلُ مشيئتُهم له وإلا فلا تحصلُ، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[(١)]، أي أنَّ اللّه تعالى لو نزَّلَ إلى الكُفَّارِ الملائكةَ فكلَّموهم، وأخرجَ الموتى من قبورِهم فكلَّموهم، وحشرَ عليهم كلَّ شيءٍ قُبُلًا أي عِيانًا، ما كانُوا ليُؤمنوا إلا أنْ يشاءَ اللّهُ أنْ يؤمنُوا[(٢)]، وكقولِهِ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[(٣)].

=حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا مِهْرانُ عن سفيانَ عن سعيدِ بن عبدِ العزيزِ عن سليمانَ قال: لما نزلت: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ قال أبو جهلٍ: ذلك إلينا إنْ شئْنا استقَمْنا. فنزَلت: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (٢٤/ ١٧٢).

(١) سورة الأنعام/ ءاية (١١١). قال الرازي: «أما قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ففيه مسألتان: المسألة الأولى: المرادُ من الآيةِ أنَّه تعالى لو أظهرَ جميع تلك الأشياءِ العجيبةِ الغريبةِ لهؤلاءِ الكفارِ فإنَّهم لا يؤمنون إلا أن يشاءَ اللّه إيمانَهم، قال أصحابنا: فلمَّا لم يؤمنوا دلَّ ذلك الدليلُ على أنَّه تعالى ما شاءَ منهم الإيمانَ، وهذا نصٌّ في المسألة» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (١٣/ ١١٨).

(٢) ينظر: الطبري، **تفسير الطبري**، (١٢/ ٤٦).

(٣) سورة البقرة/ ءاية (٢٥٣). قال النسفي: «﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرَّره للتأكيدِ أي لو شئتُ أن لا يقتتِلوا لَمْ يقتَتِلوا إذ لا يجري في مِلكي إلا ما يوافقُ مشيئتي، وهذا يُبْطِلُ قولَ المعتزلةِ، لأنه أخبرَ أنَّهُ لو شاءَ أنْ لا يقتتِلُوا لم يقتتِلوا=

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه علَّم بعض بناته قول: «مَا شاءَ اللَّهُ كانَ ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»[1].

قال رحمه الله: (وكلُّ شَيءٍ يَجرِي بمَشِيئَةِ اللَّهِ تعالى وعِلمِه وقَضائِه وقَدَرِه).

الشّرْحُ: أفعالُ العبادِ وكلُّ ما يدخُلُ في الوجودِ منْ أعيانِ الأشياءِ وأعراضِها، كحركةِ العبدِ وسكونِه وإدراكِه وخواطرِه ونيَّاتِه من خيرٍ وشرٍّ وإيمانٍ وطاعةٍ وكُفْرٍ ومعصيَةٍ، كلُّ ذلك يحصل بمشيئةِ اللّهِ الأزليَّةِ، وعلمِ اللّهِ الأزليِّ، وقَدَرِ اللّهِ الأزليّ، وقضاءِ اللّهِ الأزليّ.

ومعنى المشيئةِ التخصيصُ أي تخصيصُ اللّهِ تعالى الممكنَ العقليَّ أي ما يجوزُ عليهِ الوجودُ والعدمُ كَكُلِّ ما في هذا العالَمِ بالوجودِ بعدَ العدمِ وبالعدمِ بعدَ الوجودِ وبحالٍ دون حالٍ[2]، وأما القَدَرُ فهُو التقديرُ أي التدبيرُ، والقضاءُ هو التخليقُ[3].

=وهُم يقولون شاءَ ألَّا يقتِتلوا فاقتتَلُوا، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ أثبتَ الإرادةَ لنفسِه كما هُو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ» اهـ النسفي، **تفسير النسفي**، (١/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، (٧/ ٤٠٩).

(٢) قال الرازي: «الإرادةُ عبارةٌ عنْ صفةٍ تقتَضِي ترجيحَ أحدِ طرفَي الممكنِ على الآخرِ» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (١٦/ ٦٢).

(٣) قال ابن فرحون: «والمراد بالقَدَر: التقدير، وبالقضاء: الخلق، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾[سورة فصلت/ ءاية (١٢)]، أي: خَلَقَهُنَّ» اهـ ابن فرحون، **العدة في إعراب العمدة**، (١/ ١٨٤).

قال رحمه الله: (غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الـمَشِيئَاتِ كُلَّهـا، وغَلَـبَ قَضَـاؤُهُ الحِـيَلَ كُلَّهـا).

الشَّرْحُ: غلبَت مشيئةُ اللهِ تعالى مشيئاتِ العبادِ، لأنَّ مشيئةَ اللهِ عزّ وجلّ أزليَّةٌ لا ابتداءَ لها، أمَّا مشيئةُ العبادِ فحادثةٌ محتاجةٌ إلى اللهِ تعالى لتُوجَدَ، واللهُ تعالى يُوجِدُ الحوادثَ بمشيئتِه وقُدْرَتِه وتخليقِه وعلمِه، فلا توجَدُ مشيئةُ العبدِ إلا على وَفْقِ مشيئةِ اللهِ تعالى، فلا بُدَّ أن تكونَ تحتَها، وأن تكونَ مغلوبةً لها، ولذلك غلبَ قضاؤُه الحِيَلَ كُلَّها، فلا تَرُدُّ حِيَلُ العبادِ مَا قَضَاهُ اللهُ تعالى، لأنَّ حِيَلَهُم حادثةٌ لا تحصُلُ ولا تُوجَدُ إلا بقضاءِ اللهِ السابقِ.

والحِيَلُ جمعُ حِيلَةٍ وَهِيَ الحِذْقُ[١] في تدبيرِ الأمورِ وجَوْدَةُ النَّظَرِ والقدرةُ على دِقَّةِ التَّصَرُّفِ[٢].

قال رحمه الله: (يَفْعَلُ ما يَشاءُ وهُوَ غيرُ ظالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وحَيْنٍ، وتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وشَيْنٍ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾[٣]).

الشَّرْحُ: قولُه تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾[٤] موافقٌ لِمَا

(١) قال الفراهيدي: «الحِذْقُ والحَذاقةُ: مَهارةٌ في كُلِّ شيءٍ» اهـ الفراهيدي، العين، (٣/ ٤٢).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، (١١/ ١٨٥).

(٣) سورة الأنبياء/ ءاية (٢٣).

(٤) سورة الأنبياء/ ءاية (٢٣). قال الطبري: «قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: لا سائلَ يسألُ ربَّ العرشِ عن الذي يفعلُ بخلقه=

سبقَ بيانُهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تعالى متصرِّفٌ في مِلكِه من غيرِ أنْ يكونَ له ءامِرٌ ولا ناهٍ.

ويدلُّ على ذلك أيضًا قولُه تعالى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾[1]، وقولُه تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾[2]، فبطَلَ مُعْتَقَدُ المعتزلةِ أنَّ اللَّهَ شاءَ لكُلِّ كافرٍ الإيمانَ، وشاءَ الكافرُ من نفسِه الكفرَ، فكانَ بزعمهم ما شاءَ الكافرُ ولَمْ يكنْ ما شاءَ اللَّه، أي فَنَفَذَتْ مشيئةُ الكافرِ ولَمْ تنفُذْ مشيئةُ اللَّهِ والعياذُ باللَّهِ، وأيُّ تعجيزٍ يكونُ أبلغَ من هذا.

قالَ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّه عنهما، ورُوِيَ أيضًا

=من تصريفهم فيما شاءَ من حياةٍ وموتٍ وإعزازٍ وإذلالٍ وغير ذلك من حُكْمِه فيهم؛ لأنهم خَلْقُه وعبيدُه، وجميعُهم في مِلكه وسلطانِه والحكمُ حكمُه، والقضاءُ قضاؤُه، لا شيءَ فوقَه يسألُه عمَّا يفعلُ فيقولَ له: لِمَ فعلت؟ ولِمَ لَمْ تفعلْ؟ ﴿وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ يقولُ جلَّ ثناؤُه: وجميعُ من في السمٰوات والأرضِ مِنْ عبادِه مسؤُولون عن أفعالِهم، ومحاسَبُون على أعمالِهم، وهو الذي يسألُهم عن ذلك ويحاسبُهم عليه، لأنَّه فوقهم -أي بالقهرِ- ومالِكُهم، وهُم في سلطانِه» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (١٨/ ٤٢٥).

(١) سورة البروج/ ءاية (١٦). قال القرطبي: «﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾ أيْ لا يَمْتَنِعُ عليه شيءٌ يريدُهُ» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (١٩/ ٢٩٧).

(٢) سورة يونس/ ءاية (١٠٧). قال القرطبي: « قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ أي يُصِبْك به ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ أيْ لا دافعَ ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ﴾ أي يصبْك برخاءٍ ونعمةٍ ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي بكلِّ ما أرادَ من الخيرِ والشرِّ ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (٨/ ٣٨٨).

عن غيرِهِ مِنَ السّلَفِ: «إنَّ القدريَّةَ لَمْ يوافِقْ قولُهُم قَوْلَ الملائكةِ ولا قولَ إبليسَ، لأنَّ الملائكةَ قالُوا ما أخبرَ اللَّه عنهُم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[1]، معناهُ أنتَ تخلقُ فينا الإدراكاتِ لسنا نحن نخلقُها[2]، وقال إبليسُ ما أخبرَ اللَّه عنه: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[3] فنَسَبَ إغواءَه إلى مشيئةِ اللَّه وتخليقِهِ، معناهُ أنتَ شئتَ أن أكونَ غاويًا، وأنتَ خلقْتَ فِيَّ الغوايَةَ، فلَمْ يُكَذِّبْهُ اللَّهُ تعالى في ذلك، ولو كان كاذبًا فِيهِ لدلَّ سياقُ القرءانِ على تكذيبِه، رواهُ البيهقيُّ في «**القدرِ**»[4].

---

(١) سورة البقرة/ ءاية (٣٢).

(٢) قال الرازي: «احتج أصحابُنا بقوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ على أنَّ المعارفَ مخلوقةٌ لله تعالى» اهـ الرازي، **تفسير الرازي**، (٢/ ٤٢٥).

(٣) سورة الأعراف/ ءاية (١٦). قال الطبري: «﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ يقول جل ثناؤه: قال إبليسُ لربِّه: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ يقول: فبِمَا أَضْلَلْتَنِي» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (١٠/ ٩١).

(٤) البيهقي، **القضاء والقدر**، (ص ٣٠١). والرواية بتَمامِها: عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه قال: قال أبي الحسينُ بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنهم: «واللَّه ما قالت القدريَّةُ بقولِ اللَّه ولا بقولِ الملائكةِ ولا بقولِ النَّبيّينَ ولا بقولِ أهلِ الجنَّةِ ولا بقولِ أهلِ النَّارِ ولا بقولِ صاحبِهم إبليسَ، فقالوا له: تفسّرُه لنا يا ابنَ رسولِ اللَّه فقال: قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الآية، وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾، وقال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾، فأمَّا موسى عليه السلامُ فقال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ الآية، وأمَّا أهلُ الجنَّةِ فإنَّهم قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ وأمَّا أهلُ النَّارِ فإنَّهم قالوا: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ الآية، وأمَّا أخوهم إبليسُ=

وقولـه: (تَقَـدَّس) أي تَنَـزَّه (عـن كُلّ سُـوءٍ وحَينٍ)، أي عـنْ كلّ ظُلْـمٍ، (وتَنَـزَّه عـن كُلّ عيـبٍ وشينٍ) أي عـن كُلّ نقـصٍ.

قال رحمه الله: (وفِـي دُعـاءِ الأحيـاءِ وصَدَقَاتِـهم مَنفعةٌ للأمـواتِ، واللَّهُ تعـالى يستَجِيبُ الدَّعَواتِ ويَقْضِي الـحَاجَاتِ ويَـمْلكُ كلَّ شَيءٍ ولا يَـمْلِكُه شَيءٌ).

انتفاعُ الأمواتِ بالأحياءِ

الشَّرْحُ: أهـلُ السُّـنَّةِ اتَّفَقُـوا على أنَّ الأمـواتَ ينتَفِعُـون بدعـاءِ المسلمِينَ واستغفارِهِم لَـهُمْ[1]، وعلى أنَّ قراءةَ القرءانِ على القبـرِ تنفعُ الميّـتَ[2]، واستُدِلَّ على ذلـك بحديـثِ العَسِـيب الرَّطْـبِ الـذِي شـقَّهُ النبـيُّ ﷺ اثـنين، ثُـمَّ غـرَسَ على قبرٍ نصفًـا وعلى قبرٍ نصفًا وقال: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عنهُمـا مـا لَـمْ ييبَسَا**» رواه الشيخان[3] أي لعلَّهُ يُـخَفَّفُ عنهما بتسبيحِهِمـا مـا داما رطبَيْـنِ، كما في بعضِ الرِّوايات، وإذا خُفِّف عن

=فقال: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾ الآية. فزعَمَت القَدريَّةُ بأنَّ اللَّهَ لا يُغوِي» اهـ

(١) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطَعَ عملُه إلا من ثلاثةٍ، إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعُو لهُ**». مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الوصية، بابُ ما يلحَقُ الإنسانَ من الثواب بعد وفاته، (٣/ ١٢٥٥).

(٢) السيوطي، **شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور**، (ص ٣٠٢).

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب الغيبة، (٨/ ١٧). مسلم **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، (١/ ٢٤٠).

الميّتِ بتسبيحِ الغُصْنِ فكيفَ بقراءةِ الرَّجُلِ المؤمنِ القرءانَ.

قال النوويُّ رحمه اللَّه: «استَحَبَّ العلماءُ قراءةَ القُرْءَانِ عند القبرِ لهذا الحديثِ، لأنَّه إذا كانَ يُرْجَى التخفيفُ بتسبيحِ الجريدِ فتلاوةُ القرءان أَوْلَى واللَّهُ أعلم»[1] اهـ فإنَّ قراءَةَ القرءانِ مِن إنسانٍ أعظمُ وأنفعُ مِن تسبيحِ العُودِ، وقد نفعَتْ قراءةُ القرءانِ الأحياءَ فكذلكَ الأمواتُ.

وقال النووي أيضًا: «وروينا في **سنن أبي داود** و**البيهقي** بإسناد حسن، عن عثمان رضي الله عنه، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا فرغَ من دفن الميت، وقفَ عليه فقال: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، واسألوا اللَّهَ لَهُ التَّثْبِيتَ فإنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**» قال الشافعي والأصحاب: يُستحبّ أن يقرؤُوا عنده شيئًا من القرءان، قالوا: فإنْ ختموا القرءان كلَّه كان حسنًا. وروينا في **سنن البيهقي** بإسناد حسن، أن ابن عمر استحبَّ أن يُقْرَأَ على القبرِ بعد الدفن أوّلُ سورة البقرة وخاتمتُها»[2] اهـ

وقال الخَلَّالُ في «**الجامع**»: «حدثنا أبو بكر المروزيّ سمعتُ أحمد ابنَ محمدِ بنِ حَنبَلٍ يَقُولُ: «إذا دَخَلْتُم المقَابِرَ فاقرؤُوا بفاتحةِ الكتابِ والمعَوِّذَتَيْنِ وقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَاجْعَلُوا ذلكَ لأَهلِ المقابِرِ فَإِنَّهُ يصلُ إليهم»[3] اهـ وروى أيضًا عنِ الزَّعْفَرَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ

---

(١) النووي، **شرح مسلم**، (٣/ ٢٠٢).

(٢) النووي، **الأذكار**، (ص ١٦٢).

(٣) العسقلاني، **الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع**، (ص ٨٥).

الشَّـافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عنـه عـن القـراءة عنـدَ القَبْرِ فقـال: «لا بأسَ بِـهِ»[1] اهـ وأخـرجَ في «الجامعِ» أيضًـا عـن الشَّعْبِي قـال: «كانـتِ الأنصـارُ إذا مات لهـم ميّـتٌ اختلفُـوا إلى قبرِه -أي زاروا قبره- يَقْـرَؤُونَ لـه القُـرْءَانَ»[2] اهـ وقـد ذكـرَ هـذهِ الآثـارَ الحافـظُ ابـنُ حجرٍ[3]، واحتَـجَّ بـهـا فيمـا أجـابَ بـه عـنْ بعـضِ الأسـئلةِ الـواردةِ إليـه.

وما شُـهِرَ مـن خلافِ الشـافعيّ مـن قولـه: «إنَّ القـراءةَ لا تصـلُ إلى الميّـت»[4] اهـ فهُـو محمـولٌ على غيـرِ مـا إذا كانـتْ قـراءةُ القارئِ لنفسِـه ثـم دعـا بوصـولِ ثـوابِ قراءتِـه إلى الميّـتِ، وبغيرِ مـا إذا كانـت القراءةُ عنـد القبـرِ، فـإنَّ الشـافعيَّ رضي اللَّه عنـه لم يَـرَ بهـا بأسًـا كما تقـدَّم، فليـسَ في العقـلِ ولا في الشرعِ مـا يمنـعُ انتفـاعَ الميّـتِ بقـراءةِ الـحَيّ، فَـإِنَّ اللَّه تعـالى يملِـكُ كُلَّ شيءٍ، ولا يَـجْرِي في مِلكـه إلا مـا يشـاءُ.

وقـد حثَّنـا اللَّهُ تعـالى على الدعـاءِ في القـرءانِ الكريـم كما في قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ٦٠﴾[5] وقولـه تعـالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[6]، وحثَّنـا عليـه الرسـولُ الكريـمُ عليـهِ الـصلاةُ والـسلامُ في الحديـثِ كما في قولـه عليـه الـصلاة والـسلام:

---

(1) الخلال، **القراءة عند القبور**، من الجامع، (ص ٨٩).

(2) الخلال، **القراءة عند القبور**، من الجامع، (ص ٨٩).

(3) العسقلاني، **الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع**، (ص ٨٥).

(4) العيني، **عمدة القاري**، (٣/ ١١٩).

(5) سورة غافر/ ءاية (٦٠).

(6) سورة الأعراف/ ءاية (٥٥).

«**إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[1]، وهو تعالى قادرٌ على تحقيقِ الحاجاتِ وإعطاءِ الدَّاعِي سُؤلَهُ، لا يمنعُه مُمَانِعٌ ولا يُؤخِّرُه مُؤَخِّرٌ.

وذهبَ مجسِّمةُ العصرِ الوهابيَّةُ إلى عدمِ وصولِ شَيءٍ ألبتَّةَ لا الدعاءِ ولا غيرِه، وقولُهم مردودٌ بالكتابِ والسنَّةِ والإجماعِ، واحتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾[2][3] مدفوعٌ بأنَّه لم يَنْفِ انتفاعَ الرجلِ بِسَعْيِ غيرِهِ، فإنَّ الصَّدقةَ والحجَّ عن الميّتِ ينفعانِه بالنَّصِّ، وإنَّما نَفَى أَن يَملِكَ غيرَ سَعْيِهِ.

---

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، أول أبواب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (ص٨٠٣).

(٢) سورة النجم/ ءاية (٣٩).

(٣) اختلَفَ العلماءُ في هذه الآيةِ على أقوال: منها: أنَّ ذلك كان لقومِ إبراهيم وموسى، وأمَّا هذه الأمَّة فلهم ما سَعَوا وما سعى غيرُهم، قاله عكرمة. ومنها: أنَّ المرادَ بالإنسانِ هـٰهنا: الكافرُ، فأمّا المؤمنُ فله ما سَعَى وما سُعِيَ له، قاله الربيع ابن أنس. ومنها: أنَّه ليس للإنسان إلَّا ما سعى من طريق العدل، فأمَّا مِنْ باب الفضلِ فجائزٌ أن يزيدَه الله عزَّ وجلَّ ما يشاءُ، قاله الحسين بن الفضل. ومنها: ليس للكافر من الخيرِ إلا ما عمله في الدُّنيا، فيُثاب عليه فيها -أي يعطى على ذلك في الدنيا- حتى لا يبقى له في الآخرة خير، ذكره الثعلبي. ومنها: أنَّ اللام بمعنى «على»، فتقديره: ليس على الإنسان إلا ما سَعَى، فلا يضرُّه سَعْيُ غيره. ومنها: أنه ليس له إلَّا سعيه، غير أن الأسباب مختلفة، فتارة يكون سعيه في تحصيلِ قرابةٍ وولدٍ يترحَّم عليه وصديقٍ، وتارةً يسعى في خِدمةِ الدِّين والعبادةِ، فيكتسبُ محبةَ أهلِ الدِّين، فيكونُ ذلك سببًا حصلَ بسعيه. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (٤/ ١٩٣). السيوطي، **شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور**، (ص ٣٠٢).



انتفاعُ الأحياءِ بالأمواتِ

وممَّا يدلُّ على انتفاعِ الأحياءِ بالأمواتِ انتفاعُ أمةِ محمدٍ ﷺ بما عملَه سيدُنا موسى عليه الصلاة والسلام في الإسراء من أنَّه كلَّم سيدَنا محمَّدًا ﷺ ليسألَ اللَّهَ أن يخفِّفَ عنا ما فُرض من خمسينَ صلاة إلى خمسة بثوابِ خمسين وهذا ثابتٌ عن النبيِّ ﷺ فقد قال ﷺ: «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، -أي إلى حيثُ كنتَ تتلقَّى الوحيَ وأمَّا اللَّهُ فلا مكانَ له- فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعَنِي فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي»(١).

قال رحمه الله: (ولا غِنَى عَنِ اللهِ تعالى طَرْفَةَ عينٍ، ومن [زَعَمَ أنَّه] استَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عينٍ فَقَدْ كفرَ وصارَ مِنْ أهلِ الحَيْنِ).

الشَّرْحُ: هذا تقدَّمَ بيانُهُ في شرحِ لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللَّهِ، ولكنَّهُ أعادَهُ هُنا للتأكيدِ وللنَّصِّ على تكفيرِ من اعتَقَدَ أنَّه يستغْنِي عنِ اللَّهِ

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، (١/ ٧٨).



تعالى طَرْفَةَ عينٍ، وفي هذا تكفيرٌ للمعتزلةِ، فإنَّهم زعمُوا الاستغناءَ عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ في كلِّ ما أعطاهُم القدرةَ عليه على زعمِهِم[١].

وقوله رحمه اللَّه: **(وصارَ من أهلِ الحَيْن)** معناهُ صارَ من الهالِكِينَ المعَذَّبِين على التأبيدِ في الآخرة، والحَيْنُ الهلاك[٢].

قال رحمه الله: **(واللَّهُ يَغْضَبُ ويَرْضَى لا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى)**.

رضا اللَّه وغضبه صفتانِ أزليَّتانِ

الشَّرْحُ: مِنْ صفاتِ اللَّهِ تبارك وتعالى الرِّضا والغضبُ، وهما صفتانِ أزليَّتان كعِلمه وقدرتِه ومشيئتِهِ وسائرِ صفاته، ليسَ غضبُه ورضاه كما يغضبُ المخلوقُ ويَرْضَى، فَإِنَّ غَضَبَ المخلوقِ مخلوقٌ، لأنَّ الصِّفَةَ تتبَعُ الذَّاتَ.

فنحن ذواتُنا حادثةٌ فصفاتُنا حادثةٌ، كذلك غضبُنا حادثٌ وكذلك رضانا حادثٌ، وكلٌّ منهما تأثُّرٌ، وأما اللَّه تعالى فليس كذلك، بل غضبُه صفةٌ أزليَّةٌ ورضاه صفةٌ أزليَّةٌ، هذا مذهب السادة الماتريديَّةِ[٣].

وأمَّا السادةُ الأشاعرةُ فإِنَّ الغضبَ عندهم معناهُ مشيئةُ العِقَابِ،

---

(١) أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص ٣٢٣).

(٢) الفراهيدي، **العين**، (٣/ ٣٠٤).

(٣) قال الإمام أبو حنيفة رضي اللَّه عنه: «وغضبُه -تعالى- ورضاه صفتان من صفاتِ اللَّه تعالى بلا كيفٍ» اهـ أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، (ص ٣).

والرِّضا معناه مشيئَةُ الثَّوابِ، فيرجِعان إلى صفة المشيئةِ[١].

وما ورد في حديثِ البخاريّ[٢] «**إنَّ اللهَ غضِبَ اليومَ غضَبًا لم يغضَبْ قبلَهُ مثلَهُ ولا يغضَبُ بعدَهُ مثلَه**» فالمرادُ بذلك ءاثَارُ الغضبِ وليسَ المرادُ الصفةَ، أي أنَّ اللهَ تعالى أعدَّ في ذلك اليومِ من ءاثارِ الغضبِ ما لم يُوجَدْ قبلَه مثلَه، فالغَضَبُ في هذا الحديثِ يرادُ منهُ ما يرادُ به في حديثِ مسلم[٣]: كانَ مِنْ دُعاءِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**»، وما يُرادُ به في حديث السنن[٤]: «**بمعافاتِك من غضَبِكَ**»، وفي حديث

---

(١) قال الباقلاني: «وغضبُه -تعالى- على من غضبَ عليه ورضاه عمَّن رضيَ عنه هما إرادتُه لإثابةِ المرضيّ عنه وعقوبةِ المغضوبِ عليه لا غير ذلك» اهـ الباقلّاني، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، (ص٤٧).

وقال البيهقيُّ: «الرِّضا والسّخطُ عند بعض أصحابِنا من صفاتِ الفعلِ، وهما عند أبي الحسن يرجعَان إلى الإرادةِ، فالرِّضا: إرادتُه إكرامَ المؤمنين وإثابتَهم على التأبيدِ، والسخط إرادتُه تعذيبَ الكفَّارِ وعقوبتَهم على التأبيد، وإرادتُه تعذيبَ فُساقِ المسلمينَ إلى ما شاء» اهـ البيهقي، **الأسماء والصفات**، (٢/ ٤٧٧).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [سورة الإسراء/ ءاية ٣]، (٦/ ٨٤).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، (٨/ ٨٨).

(٤) الدارقطني، **سنن الدارقطني**، كتاب الطهارة، باب صفة ما ينقض الوضوء وما روي في الملامسة والقُبلة، (١/ ٢٦٠).

الدارقطنيّ الذي هو في «الأفرادِ»: «أعوذُ بعفوِك من غضَبِكَ»، فإن المرادَ بالغَضَبِ في كلِّ ذلك الأثرُ لا الصفةُ[1].

قال رحمه الله: (ونُحِبُّ أصحابَ رسولِ اللَّه ﷺ، ولا نُفْرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأُ من أحدٍ منهم، ونبغِضُ من يبغِضُهم وبغيرِ الخيرِ يذكرُهم، ولا نَذْكُرُهم إلا بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهُمْ كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغيانٌ).

حُبُّ الصحابةِ رضي اللَّه عنهم

الشَّرْحُ: يجبُ محبَّةُ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن غَيرِ أَنْ نُفْرِطَ أَي نَغلُوَ[2] في حُبِّ أحدٍ منهم، فلا نرفعُهُم فوق مرتبتِهِمْ، وَلَا نُفَضِّلُ أحدًا منهُم على الأنبياءِ عليهم السلام، ولا نعتقِدُ فيهم العِصْمَةَ التي في الأنبياءِ، ومِنْ غيرِ أَنْ نَتَبَرَّأَ مِن أحدٍ منهم فنُكَفِّرَهُ، أو نَنْفِيَ عنه الصُّحْبَةَ الثابتةَ له، أو المَنقبةَ الثابتةَ له، بلْ نُنْزِلُ كلًّا منهُم منزلتَه من غيرِ إفراطٍ ولا تفريطٍ[3]، على وَفْقِ ما رواهُ الإمامُ أحمدُ[4] وغيرُهُ[5] عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي اللَّه عنه قالَ:

---

(١) النووي، شرح مسلم، (٣/ ٦٨).

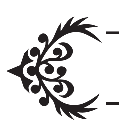
(٢) غلا في الأمرِ غُلُوًّا من باب قعد؛ جاوزَ حدَّه. الزبيدي، **تاج العروس** (٣٩/ ١٧٨).

(٣) الإفراطُ: تجاوزُ الحدِّ في الأمرِ، يقولون: إيَّاك والفَرْطَ في الأمرِ أي: لا تجاوِزِ القَدْرَ. والتفريط: التقصيرُ . ابن فارس، **مجمل اللغة**، (ص ٧١٦).

(٤) أحمد، **مسند أحمد**، مسند علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه (٢/ ٤٦٨).

(٥) الحاكم، **المستدرك**، كتاب معرفة الصحابة رضي اللَّه عنهم، (٣/ ١٣٢).





«قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى أَبْغَضَتْهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ، وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزِلَةِ التِي لَيْسَ بِهِ**» ثُمَّ قَالَ -أَيْ عَلِيٌّ-: «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ، مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيسَ فِيَّ، ومُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي على أنْ يَبْهَتَنِي»[(١)] اهـ

وقدْ أمرَ الدّينُ بمحبَّةِ الصحابةِ من حيثُ الجملةُ، ولِكُلٍّ منهُم مزيَّةٌ من حيثُ نُصرتُه للنَّبيّ ﷺ وإيمانُه به، فَمَنْ أبغضَهُم جملةً

---

(١) قال الملا علي القاري في شرح الحديث: «وعن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: (قال لي) أي مخصوصًا بهِ (النبيُّ ﷺ: «**فِيكَ مَثَلٌ**») أي في حقّك شَبَهٌ («**من عيسى**») أي من وجهينِ متعارِضينِ لقومَين مُتخالفَينِ («**أبغَضَتْهُ اليَهودُ**») أي بُغْضًا مُفْرِطًا («**حتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ**») مِنْ بَهَتَهُ كمَنَعَه قال عليه ما لَمْ يَفْعَلْ، والمعنَى أنَّهم افترَوا عليها بأنْ نسبُوها إلى الزنا. («**وأَحبَّتْهُ النَّصارَى**») أي حُبًّا بليغًا («**حتَّى أنزَلُوه بالمَنْزِلَةِ التي ليستْ لهُ**») أي مع اختلافٍ لهم في تلك المنزِلَةِ ثم قال أي عَلِيٌّ موقوفًا (يَهْلِكُ فِيَّ) أي يَضِلُّ في حَقِّي (رجلان) أي أحدُهُما رافضيٌّ والآخرُ خارجيٌّ، (محِبٌّ مفرِطٌ): بضمٍّ فسكون أي مُبالغٌ عن الحدّ (يُقَرِّظُنِي) بكسرِ الراء المشدَّدَةِ أي: يمدَحُنِي (بما ليسَ فِيَّ) أي بتفْضِيلي على جميع الصَّحابةِ أو على الأنبياءِ أو بإثباتِ الألوهيَّة كطائفةِ النُّصيرِيَّةِ، (ومُبْغِضٌ) وإنَّما لم يقلْ هنا مفرطٌ لأنَّ البُغضَ بأصلِه ممنوعٌ بخلافِ أصلِ الحبِّ فإنَّه ممدوحٌ (يَحمِلُه) أي يبعثُه ويُكسِبُهُ (شَنَآنِي) بفتحتَينِ ويُسكَّنُ الثاني، وحُكي تركُ الهمزِ، أي عداوتي (على أنْ يَبْهَتَنِي) أي: يتكلمَ عَلَيَّ بالبُهتانِ وينسبَ إليَّ الزُّورَ والعصيان، رواه أحمد أي في المسندِ، وعنه قال: (لَيُحِبُّني أقوامٌ حتَّى يدخلُوا النَّار في حبّي، ويبغضُنِي أقوامٌ حتَّى يدخلُوا النارَ في بغضِي)، رواهُ أحمدُ في المناقبِ، وعن السُّدّي قالَ: قال علي: (اللهمَّ العَنْ كلَّ مبغِضٍ لنا وكلَّ محبٍ لنا غالٍ). أخرجه أحمد في المناقب. اهـ الملا علي القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، (٩/ ٣٩٤٣).

أو سبَّهُم جملةً فهُو مبغضٌ للنَّبيِّ ﷺ محقِّرٌ لشأنِه مكذِّبٌ للشرعِ، وهو بذلك خارجٌ عنِ الدِّينِ، كيف لا وقدْ قال تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾[1].

وأمَّا مَن سبَّ واحدًا منهم أو بعضَهم بما ليسَ فيه تكذيبٌ للشرعِ فلا يُكَفَّرُ ولكن عصى وفَسقَ، كيفَ وقَدْ سُبَّ سيدُنا أبو بكرٍ رضي اللَّه عنه في وجهِهِ فأراد أبو بَرْزَةَ رضي اللَّه عنه أَنْ يَقتُلَ السَّابَّ فمنعه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عنه، وقال: «هذا لا يكون إلا لرسول اللَّه ﷺ»[2] اهـ وقد شُتِمَ عثمانُ رضي اللَّه عنه، وشُتِمَ سيدنا عليٌّ رضي اللَّه عنه ولَمْ يُكَفِّرا من شتَمَهُما، وهُو أشهرُ مِن أنْ يُحتاج إلى بيانِ إسنادِهِ.

وقوله رحمه اللَّه: **(ولا نَذْكُرُهُم إلا بخَيْرٍ)** أي مِنْ حيثُ الإجمالُ لا نذكُرُهم إلا بخيرٍ، وأمَّا عندَ التفصيلِ والحاجةِ الشَّرعيَّةِ فنذكرُ الأفرادَ على حسبِ صفاتِهم للمقصدِ الشرعيِّ، فإنَّه ثبَتَ مثلُ ذلك في الحديثِ الشريفِ، فَفِي البُخاريِّ[3] مثلًا أنَّه ﷺ قال عن بعضِ

---

(١) سورة الفتح/ ءاية (٢٩). قال البغويُّ: «قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ أي إنَّما كثَّرهم وقوَّاهم ليكونُوا غيظًا للكافرين، قال مالك بن أنس: «مَنْ أصبحَ وفي قلبِهِ غيظٌ على أصحابِ رسول اللَّه ﷺ فقدْ أصابتْهُ هذهِ الآية»» اهـ البغوي، **تفسير البغوي**، (٧/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ، (٦/ ٤١٨).

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب القليل من الغلول، (٤/ ٧٤).

مَنْ كانَ معَهُ مِنَ الصَّحابَةِ في الغزوِ: «**إنَّهُ في النَّارِ**»، لأنَّه غلَّ شملةً مِنَ الغنيمَةِ، وكذلكَ ثبَتَ مثالُه في كلامِ بعضهم في بعضهم للحاجةِ.

فما وردَ عندَ التِّرمذيِّ[1] وابنِ حِبَّانَ[2] مِنْ أنَّ الرسولَ ﷺ قالَ: «**اللَّهَ اللَّهَ في أصحابي، لا تَتَّخذُوهم غَرَضًا مِن بعدي، فمَنْ أحبَّهُمْ فَبِحُبِّي أحبَّهُمْ، وَمَن أبغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أبغضَهُم**» فالمرادُ بِهِ مِن حيثُ الإجمالُ ليس من حيثُ التفصيلُ، فإنَّ بُغْضَ جميعِ الصحابةِ كُفْرٌ، لأنه معانَدَةٌ لِثَناءِ اللَّهِ تعالى عليهم كما تقدَّمَ، ولا يُعطي هذا الحديثُ أنْ لا يُذْكَرَ أَيُّ فرد منهم إلا بخيرٍ بحيثُ يُتْرَكُ التحذيرُ الشرعيُّ، بل ما أمرَ الشرعُ به مِنَ التحذيرِ لا بُدَّ منه في محلِّه.

ولذلك ضمَّنَ علماءُ الحديثِ كُتُبَهُمُ التي أَلَّفُوها لِتُرْوَى وتُشاعَ مثلَ حديثِ البخاريّ الآنفِ الذِكرِ، وقولِ عُبادَة بنِ الصَّامِتِ رضي اللَّه عنه كذب أبو محمد[3] أي جانبَ الصوابَ.

ففي «**صحيح ابنِ حبانَ**» عن ابن مُحَيريز قَالَ: «جاءَ رجلٌ إلى عبادةَ بنِ الصامتِ رضي اللَّه عنه، فقال: يا أبا الوليدِ، إنّي سمعتُ أبا محمَّدٍ الأنصاريَّ يقولُ: الوترُ واجبٌ، فقال عبادةُ: كذبَ أبو محمدٍ، سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**خمسُ صلواتٍ**

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب المناقب، باب في من سب أصحاب النبي ﷺ، (٣/ ٦٩٦).

(٢) ابن بلبان، **الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان**، (١٦/ ٢٤٤).

(٣) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب في المحافظة على الوقت، (١/ ١١٥).

افتَـرضَهُنَّ اللَّهُ على عبـادِه، فمَـنْ جـاءَ بِـهِنَّ وقَـدْ أكْمَلَهُـنَّ ولَـمْ ينْتَقِصْهُـنَّ اسـتِخفَافًا بحقِّهِـنَّ[1] كانَ لـه عنـدَ اللهِ عهـدٌ أنْ يُدْخِلَـهُ الـجَنَّةَ، ومَـنْ جاءَ بـهِنَّ وقـد انتَقَصَهُـنَّ اسـتِخْفافًا بحقِّهِنَّ لَـمْ يكنْ لـهُ عنـدَ اللهِ عهـدٌ، إنْ شـاءَ عذَّبَـه وإنْ شـاء رحـمَه» قـالَ أبُـو حاتـم: قـولُ عبـادةَ رضي اللّه عنـه: كـذبَ أبُـو محمـدٍ، يريـدُ بـهِ أخطـأَ»[2] اهـ

ثُـمَّ الصحابـةُ رضـوانُ اللّه عليهـم على مراتـبَ، قسـمٌ منهـم بـررَةٌ أخيـارٌ مُقَرَّبـون، وقسـمٌ منهـم منزلتُهـم دون ذلـك، وقـد قـال النَّبِـيُّ عليـه الـصلاةُ والـسلامُ في بيـانِ عُلُـوِّ مقـامِ الطَّبَقَـةِ العُليـا منهـم: «**لا تَسُبُّوا أصحابِـي فَوَالَّـذِي نَفْسِـي بيـدِه لَـو أنْفَـقَ أحدُكُم مثـلَ أُحُدٍ**

(١) قال أبو بكر بن العربي في معنى قوله ﷺ: «**اسْتِخفَافًا بِحَقِّهِنَّ**»: «فاعلم أنَّ تارك العبادات على ضربين: غير قاصدٍ، كالنّاسِي والنائم وما أشبههما، واللَّومُ عنه مرفوعٌ شَرْعًا. وقاصدٌ تركها، إمَّا للاشتغال بغيرها، أو تركًا مجرَّدًا، ولا يكون ذلك على الاستخفاف الذي هو في لسان العرب: التّهاونُ والاحتقارُ، مشتقٌ من الخِفَّةِ؛ فإن المرءَ إذا اعتقد الشَّيءَ عَظيمًا هَابَهُ ووفَّاهُ من الخدمة حَقَّه. وإذا اعتقدَهُ خفيف الوَطْأَة هَيِّنَ المَدْرَكِ احْتَقَرَهُ. وهذا الاستخفاف إمّا أنْ يكون عن رَبّ الرُسُلِ تعالى، أو في المُرْسَلِ ﷺ، فيكون بهذا كافرًا مُخَلَّدًا في النَّار، وإمَّا أنْ يكونَ عن تغَافُلٍ عن عذاب اللّه تعالى واغتِرَارٍ بالأمَلِ، فذلك فاسقٌ عند أكثر العلماء. وهو القسمُ المرادُ في الحديثِ، بدليل قوله: «**إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ**»، ولو كان القسم الذي يكون به كافرًا لما جَعَلَهُ تحت المشيئة» اهـ أبو بكر بن العربي، **المسالك في شرح موطأ مالك**، (٣/ ٨).

(٢) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، التقاسيم والأنواع، (١/ ١٥٣، ١٥٤).

ذهبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نصيفه» رواه البخاريُّ[(١)].

فهذا الحديثُ إنَّما يُعْنَى به السَّابقُون الأَوَّلُونَ مِنَ المهاجِرِين والأنصارِ، كالعَشَرةِ المبَشَّرين بالجنَّةِ وغيرِهم، وذلك أنَّ سببَ الحديثِ أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ سبَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ رضيَ اللَّه عنهُما، فقالَ ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أصحابي**» الحديث[(٢)]، فالخطابُ فيه لقِسْمٍ من الصحابةِ أنَّهم لا يبلغُون مرتبةَ السَّابقينَ الأوَّلِينَ، وأنَّ أَجرَ المُدِّ أو نصفِ المُدِّ الذي يتصدَّقُ به هؤلاءِ السابقون أكبرُ عند اللَّهِ مِمَّا لو تصدَّقَ خالدُ بنُ الوليد رضي اللَّه عنه وأمثالُه مِمَّن ليسُوا من السَّابقينَ الأوَّلين بمثلِ جَبَلِ أُحُدٍ ذهبًا[(٣)]، فَمَن

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا، (٤/ ١٧٧).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي اللَّه عنهم، باب تحريم سب الصحابة رضي اللَّه عنهم، (٤/ ١٩٦٧).

(٣) قال القرطبي: «قوله ﷺ: **لا تسبُّوا أصحابي**. . . إلخ. رواه أبو هريرة مجردًا عن سببه، وقد رواه أبو سعيد الخدري، وذكر أن سبب ذلك القول هو أنه كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء أي منازَعَةٌ، فسبَّه خالد، فقال رسول اللَّه ﷺ ذلك القول، فأظهر ذلك السببَ أن مقصودَ هذا الخبر زجرُ خالد ومَنْ كان على مثلِ حاله ممَّن سُبِقَ بالإسلام، وإظهارُ خصوصيَّةِ السابق بالنبيّ ﷺ وأنَّ السابقين لا يلحقُهم أحدٌ في درجتهم، وإن كان أكثرَ نفقة وعملًا منهم، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [سورة الحديد/ ءاية (١٠)] ويدلُّ على صحة هذا المقصود: أن خالدًا وإن كان من الصحابة رضي اللَّه عنهم، لكنَّه متأخرُ الإسلام. قيل: أسلم سنة خمس، وقيل:=

ظَنَّ أنَّ هذا الحديثَ عامٌّ في جميع أفرادِ الصحابةِ فهُو جَهْلٌ منْهُ بالحقيقة التي أرادَها رسولُ اللهِ ﷺ.

قال رحمه الله: (ونُثْبِتُ الخِلافَةَ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ أوَّلًا لأبي بكرٍ الصدِّيقِ رضيَ اللَّهُ عنه، تَفْضِيلًا لَهُ وتَقْدِيمًا على جَمِيعِ الأُمَّةِ).

الخلافةُ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ

الشَّرْحُ: يجبُ تفضيلُ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ على سائرِ أصحابِ رسولِ اللَّه، وذلكَ لأنَّ الصحابةَ رضوانُ اللَّهِ عليهم أجمَعُوا على إمامَتِه وبايَعُوه، وإجماعُهُم كآيةٍ مِن كتابِ اللَّهِ حجةٌ موجِبَةٌ للعلمِ قَطْعًا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[(١)] والأُمَّةُ: الجماعَةُ، والوَسطُ: العدلُ، قالَه ابنُ عباسٍ رضي اللَّه عنهما[(٢)].

فلو لَمْ تكُنْ إمامتُه حقًّا لكانَتْ مُنكَرًا ولم يُتَصَوَّرْ منهُم المطابقةُ على إثباتِ إمامتِه ومبايعتِه، فمَنْ طعنَ في إمامتِهِ فقدْ طعنَ في إجماعِهم وصيَّرَهُم مُبْطِلِينَ، فيكونُ ذلك طعنًا في خبرِ اللَّه تعالى، لأن اللَّه تعالى قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[(٣)]، واللَّه تعالى عالِمٌ بما

=سنة ثمان» اهـ القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (٦/ ٤٩٤).

(١) سورة البقرة/ ءاية (١٤٣).

(٢) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (١/ ١١٩).

(٣) سورة التوبة/ ءاية (١٠٠).

كانَ وما يكونُ إلى ما لا نهايةَ له، فلَوْ كان في عِلْمِهِ أنهم ينقَلِبُونَ خبيثِينَ خائِبِين مُحَرِّفِينَ لِدِينِ اللَّه ما أخبرَ بأنَّه رضيَ عنهُم، لأنَّه سبحانه لا يَخْفَى عليه شيءٌ.

ثُمَّ إنَّ من جملةِ الأدِلَّةِ على صِحَّةِ خِلافةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه أنَّ الرسولَ ﷺ رَضِيَه لِيَؤُمَّ أُمَّتَهُ في الصلاةِ في ءَاخِرِ حَياتِهِ[١]، والصلاةُ أهمُّ أمورِ الدّين بعدَ التوحيدِ والإيمانِ باللَّهِ ورسولِه، فَلَمَّا رَضِيَه الرسولُ ﷺ لأَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ في مرضِ موتِهِ علِمْنا أَنَّهُ أهلٌ لأَنْ يتقدَّم غيرَه بالخلافَةِ[٢].

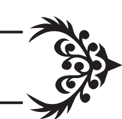
قال رحمه الله: (ثُمَّ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه، ثُمَّ لعُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، ثُمَّ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، وهُمُ الخُلَفاءُ الرَّاشِدُونَ والأَئِمَّةُ المُهْتَدُونَ).

الشَّرْحُ: يجبُ الإيمانُ بحَقِّيَّةِ خلافةِ الأربعةِ على حسبِ ترتيبِهِم في الخلافةِ، لأنَّ الصَّحابةَ رضوانُ اللهِ عليهم بما فيهم عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عنه رَضُوا بذلك. ولا نَعْني بهذا أنَّه لا خليفةَ راشدٌ في الأمَّة سوَى الأربعةِ، بل سيدُنا الحسنُ بن عليٍّ رضي الله عنهما الذي بايَعَه

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، (١/ ١٣٧).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «كانَ في التنصيصِ على إمامةِ أبي بكرٍ في مرضِه إشارةٌ إلى أنَّه أحقُّ بالخلافةِ» اهـ العسقلاني، **فتح الباري**، (١١/ ٦٠).



المسلمون خليفةٌ راشدٌ بنصِّ حديثِ أحمدَ[١] والترمذيّ[٢] وابنِ حبَّانَ[٣]: «**الخِلافةُ بعدِي ثَلاثُونَ سنةً ثم تكونُ مُلْكًا**»[٤] وقد تَمَّت الثَّلاثُونَ بتنازُلِ الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عنه عنِ الخلافة، وكذلك عمرُ بن عبد العزيز خليفةٌ راشدٌ لكنَّهما أقلُّ مرتبةً مِنَ الأربعةِ.

قال رحمه الله: **(وإنَّ العَشَرَةَ الذين سمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وبَشَّرَهُم بالجَنَّةِ نَشْهَدُ لَهُم بالجَنَّةِ على ما شَهِدَ لَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وقولُه الحَقُّ، وهُم أبُو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وسَعْدٌ وسَعِيدٌ وعبدُ الرحمٰن ابنُ عوفٍ وأبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ وهُو أمينُ هذه الأمةِ[٥] رضي الله عنهم**

---

(١) أحمد، **مسند أحمد**، تتمّة مسند الأنصار، (٣٦/ ٢٤٨).

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، (٤/ ٥٠٣).

(٣) ابن بلبان، **الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان**، (١٥/ ٣٩٢).

(٤) الهيثمي، **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، (ص ٣٦٩).

(٥) تسميتُه رضي الله عنه أمينًا وإن كانت الأمانة من صفات غيره من الصحابة، فذلك لأنه عليه الصلاة والسلام قد خص بعضهم بصفات كانت الغالبَ عليهم، وكانوا بها أخص من غيرهم. ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (٧/ ٤٣١). وقال القرطبي: «وكان النبي ﷺ قد أخبر عن كل واحد من أعيان أصحابه رضي الله عنهم بما غلب عليه من أوصافه، وإن كانوا كلهم فضلاء علماء حكماء مختارين لمختار، فقال ﷺ فيما رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك: «**أرحمُ أمَّتي بأمَّتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأعلمُهم بالحلال والحرام معاذٌ، وأفرَضُهم زيدٌ، وأقرؤهم أُبَيٌّ، ولكل أمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمَّة أبو عبيدة**». ومن حديث عبد الله بن عمرو: «**ما أظلَّت الخَضْراءُ، ولا أقلَّت الغبراءُ أصدقَ لهجةً من أبي ذرٍّ**»» اهـ القرطبي، **المفهم**=

أجمعين. ومَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ في أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وأزواجِهِ الطَّاهراتِ مِن كُلِّ دَنَسٍ، وذُرِّيَّاتِهِ المُقَدَّسينَ مِن كُلِّ رِجْسٍ، فقد بَرِئَ مِنَ النِّفاقِ).

العَشَرةُ المُبَشَّرون بالجنَّةِ

الشَّرْحُ: يجبُ محبَّةُ العشَرةِ الذينَ بشَّرَهُمْ رَسولُ اللهِ ﷺ بالجنَّةِ في حديثٍ واحدٍ(١)، وهم أفضلُ صحابةِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ على الإطلاقِ، وكُلُّهم مِنَ المهاجرينَ الأوَّلين، وهمُ الخلفاءُ الأربعةُ وطلحةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ والزبيرُ بنُ العَوَّامِ وسعدُ بنُ أَبي وَقَّاصٍ وسعيدُ بن زيدٍ وعبدُ الرحمٰن بنُ عوفٍ وأبو عبيدةَ عامر ابن الجرَّاح رضوان اللهِ عليهم أجمعين.

ويجبُ أيضًا تعظيمُ ومحبَّةُ أزواجِ النبيِّ ﷺ اللَّاتي فُزْنَ بعِشْرَتِهِ كما تجبُ محبَّةُ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم، وأفضَلُهُنَّ خديجةُ رضيَ اللهُ عنها بالنَّصّ كما في الصَّحيحينِ(٢)، وتُوُفِّيَتْ في مكَّةَ قبلَ الهجْرَةِ، ثم تلِيها في الفضلِ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنْها كما تَدُلُّ عليهِ

=**لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (٦/ ٢٩٣).

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب المناقب، باب مناقب عبد الرحمٰن بن عوف الزهري رضي الله عنه، (٥/ ٦٤٧).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، (٥/ ٣٨). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها (٤/ ١٨٨٦). وفيه عن علي رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**».

أيضًا النصوصُ التي في الصحيحَيْنِ[١]، وتُوفِّي عليه الصلاةُ والسلام عن تسعٍ منهنَّ وهنَّ سودةُ وعائشةُ وحفصةُ وأمُّ سلمَةَ وزينبُ بنتُ جحشٍ وأمُّ حبيبةَ وجويريةُ وصفيَّةُ وميمونةُ[٢].

ومَنْ جمعَ بينَ حُسْنِ القولِ في أزواجِ النَّبيّ ﷺ الطاهراتِ مِنَ الدَّنَس أي الشَّيْنِ وفي أهلِ بيتِهِ المقدَّسِينَ أي المطَهَّرِينَ مِن الرجسِ أي الشِّرْكِ رَضِيَ اللَّهُ عنهم فهُوَ عَلى سَنَنِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، بعيدٌ عن نهجِ أهلِ الخِلافِ والبدعةِ، عاملٌ بما تقدَّمَ مِنَ النُّصوصِ وبقولِه تعالى: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾[٣].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل عائشة رضي الله عنها (٥/ ٢٩). وفي الباب: قال أبو سَلَمَةَ: إنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ يَوْمًا: «**يَا عَائِشُ، هذا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلامَ** فقلت: وعليه السَّلامُ ورحمَةُ اللّه وبركاتُهُ، تَرَى مَا لا أَرَى. تُرِيدُ رَسُولَ اللَّه ﷺ». قال ابن حجر: «وقد استنبطَ بعضُهم من هذا الحديثِ فضلَ خديجةَ على عائشةَ؛ لأنَّ الذي وردَ في حقِّ خديجةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها: **إنَّ جبريلَ يقرئكِ السلامَ من ربِّك**، وأطلقَ هنا السلامَ من جبريلَ نفسِه» اهـ العسقلاني، **فتح الباري**، (٧/ ١٠٧). مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، (٤/ ١٨٨٩).

(٢) العسقلاني، **فتح الباري**، (٩/ ٣١١).

(٣) سورة الأحزاب/ ءاية (٣٣). قال البغوي: «أرادَ بالرجسِ: الإثمَ الذي نهى اللَّه النساءَ عنه، قاله مقاتل. وقال ابنُ عباس: يعني: عَمَلَ الشيطانِ وما ليس للَّه فيه رضى، وقال قتادةُ: يعني: السُّوءَ. وقال مجاهدٌ: الرجس الشِّرك. وأرادَ بأهلِ=

وأهـلُ البيـتِ شـاملٌ لنسـائِه ﷺ، فضلًا عـن شـمولِهِ لِعَلِيٍّ وفاطمةَ والحسـنِ والحسينِ والعبَّاسِ رضـوان اللّٰه عليهـم ونحوِهـم مِنْ أقاربِـه، كمـا يـدُلُّ على ذلك سياقُ الآيات.

ولا يُتَوَهَّـم أنَّ أهـلَ البيـتِ خـاصٌّ بالذُّكُـورِ بدليـلِ قولِـه تعالَـى إخبـارًا عـن خطـابِ الملائكـةِ لسـارةَ زوج سـيِّدنا إبراهيـمَ عليهمـا السـلام: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾[1].

قال رحمه الله: (وعُلَمـاءُ السَّـلَفِ مِـنَ السَّـابقِيـنَ ومَـنْ بَعدَهُـم مِـنَ التَّابِعِيـنَ أَهْـلِ الـخَيْـرِ والأَثَـرِ وأَهْـلِ الفِقْـهِ والنَّظَـرِ لا يُذكَـرُونَ إلا بالـجَميلِ، ومَـنْ ذكَرَهُـم بِسُـوءٍ فهُـو على غَيـرِ السَّـبِيلِ).

الشَّرْحُ: تعظيـمُ هـؤلاءِ المذكوريـنَ وتوقيـرُهم مـن تعظيـمِ الدِّيـن، فَإِنَّــهُم خلفـاءُ الرسـولِ ﷺ في تبليـغ الشريعـةِ إلى النَّـاس، فوجـبَ توقيـرُهم وتعظيمُهـم واتِّباعُهـم، ولأنَّ اللّٰهَ تعـالى نَدَبَنَـا إلى الدعـاءِ والاسـتغفارِ لهـم بقولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[2]، فَمَـنْ ذَكَرَهُـمْ بِسُـوءٍ فقـدْ عـدَلَ

=البيتِ نساءَ النبيِّ ﷺ لأنَّهُنَّ في بيتِه» اهـ البغوي، **تفسير البغوي**، (٦/ ٣٥٠).

(١) سورة هود/ ءاية (٧٣). قال القرطبي: «هذه الآيةُ تعطي أنَّ زوجةَ الرجلِ من أهلِ البيتِ، فدلَّ هذا على أنَّ أزواجَ الأنبياءِ من أهلِ البيتِ، فعائشةُ رضي اللّٰه عنها وغيـرُها من جملةِ أهلِ بيتِ النبـيِّ ﷺ ممن قال اللّٰه فيهم: ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (٩/ ٧١).

(٢) سورة الحشر/ ءاية (١٠). قال البغوي: «﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني=

عن سبيلِ المـوالاةِ الدينيَّةِ، وذلك منْ علاماتِ النِّفاقِ والخِذلانِ، وذلك لأنَّـهم بصَلاحِهم صارُوا أحبابَ اللَّهِ، وقد ثبتَ فيما رواهُ البخاريُّ[1] عن رسولِ اللَّه ﷺ عن ربِّه أنَّه قال: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ ءاذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**».

قال رحمه الله: (**ولا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِياءِ على أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِياءِ عليهِمُ السَّلامُ، ونَقُول نَبِيٌّ واحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِياءِ**).

النبيُّ أفضلُ من الوليّ

الشَّرْحُ: معنى ما ذَكَرَهُ الإمامُ الطحاويُّ رحمه اللَّه ظاهرٌ لقولِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ۝٨٦﴾[2] أي على العالَمِينَ في كلِّ الأزمانِ، إذْ لا دليلَ يوجِبُ تخصيصَ العالَمِينَ بزمانٍ دونَ زمانٍ، وإنَّما فضَّلَ اللَّهُ تعالى كلَّ واحدٍ من أولئك الأنبياءِ المذكورينَ بمرتبةِ النبوَّةِ فيشاركُهم إذنْ في ذلك الفضلِ من لَمْ يُذْكَرْ من الأنبياءِ لاشتراكِهم في تلك المرتبةِ.

وقد قال الحافظُ في «**الفتح**» نقلًا عنِ القُرطبي: «فالنبيُّ أفضلُ مِنَ الوليِّ وهُو أمرٌ مقطوعٌ بهِ عقلًا ونقلًا، والصائرُ إلى خلافِهِ

=التابعينَ وهُم الذين يجيئُون بعدَ المهاجرينَ والأنصارِ إلى يومِ القيامَةِ، ثُمَّ ذكرَ أنَّهم يدعُون لأنفُسِهم ولِمَنْ سبقَهم بالإيمانِ فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾» اهـ البغوي، **تفسير البغوي**، (٨/ ٧٩).

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب التواضع، (٨/ ١٠٥).

(٢) سورة الأنعام/ ءاية (٨٦).

كافرٌ لأنَّهُ أمرٌ معلومٌ من الشَّرعِ بالضَّرُورَة»[١] اهـ

قال رحمه الله: (ونُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَاماتِهم وصَحَّ عَنِ الثِّقاتِ مِنْ رِواياتِهم).

الكلامُ على كراماتِ الأولياءِ

الشَّرْحُ: يَجِبُ الإيمانُ بكراماتِ الأولياء، وهُم المؤمنونَ المُستقيمُون بطاعةِ اللَّهِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾[٢].

تعريفُ الكَرَامَةِ

ثُمَّ الكرامةُ هيَ أمرٌ خارقٌ للعادةِ تَظهرُ على يدِ المؤمنِ المستقيمِ بطاعةِ اللَّهِ، وبذلك تفترِقُ عن السحرِ والشَّعوذَةِ، وتفترقُ عن المعجزةِ بأنَّ المعْجِزَةَ تكونُ لإثباتِ النُّبُوَّةِ، وأمَّا الكرامةُ فتَكُونُ للدِّلالةِ على صِدْقِ اتباعِ صاحبِها لِنَبِيِّ زمانِه[٣].

---

(١) العسقلاني، فتح الباري، (١/ ٢٢١).

(٢) سورة فصلت/ ءاية (٣٠).

(٣) قال النووي ناقلًا عن أبي القاسم القشيري: «ظهورُ الكراماتِ علامةُ صدقِ من ظهرَتْ عليهِ في أحوالِه، فمَنْ لَمْ يكنْ صادِقًا فظهورُ مثلِه عليه لا يجوزُ» ثم قال: «وقال الإمامُ أبو بكر بنُ فورك رحمه الله تعالى المعجزاتُ دِلالاتُ الصدقِ فإن ادَّعى صاحبُها النبوَّةَ دلَّتْ على صدقِه وإنْ أشارَ صاحبُها إلى الولايةِ دلَّت على صدقِه في حالتِه فتُسمَّى كرامةً ولا تُسمَّى معجزةً وإنْ كانت من جنسِ=

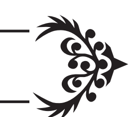
الدليلُ النَّقلِيُّ على وقوعِ الكرامةِ

والدليلُ مِنَ النَّقلِ على وقوعِ الكرامةِ ما جاءَ في القرءانِ من قولِه تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى﴾[1]، فقَدْ جلبَ عرشَ بِلْقِيس منَ اليمنِ إلى بلادِ الشَّامِ بوقتٍ قصيرٍ جدًّا، فهذا خرقٌ للعادةِ.

وكذلكَ ثبتَ بالإسنادِ الصحيحِ أنَّ سيدَنا عمرَ بنَ الخطابِ رضي اللَّهُ عنه نادَى أميرَ الجيشِ الذي كان بنهاوندَ ساريةَ بنَ زُنَيم يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ فسمِعَ ساريةُ صوتَ عمرَ ونداءَه وكانَ سيدُنا عمرُ رضي الله عنه بالمدينةِ يخطُب اهـ أخرجَها

=المعجزاتِ للفرقِ» ثم قال: «وقالَ أوحدُ وقتِه في فنِّه القاضي أبو بكرٍ الباقلانيُّ رضي اللَّه تعالى عنهُ المعجزاتُ تختصُّ بالأنبياءِ والكراماتُ تظهرُ للأولياءِ ولا يكونُ للأولياءِ معجزةٌ لأن من شرطِ المعجزة اقترانَ دعوى النُّبوَّةِ بها، والمعجزةُ لَمْ تكنْ معجزة لعينِها وإنما كانت معجزةً لحصولِها على أوصافٍ كثيرةٍ فمتى اختلَّ شرطٌ من تلك الشرائطِ لا تكونُ معجزةً، وأحدُ تلك الشرائطِ دعوى النبوَّةِ، والوليُّ لا يدَّعي النبوَّةَ فالذي يظهرُ لا يكونُ معجزةً» اهـ النووي، **بستان العارفين**، (ص ٦٢، ٦٣).

(١) سورة النمل/ ءاية (٤٠). قال القرطبي: «﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ أكثرُ المفسّرين على أنَّ الذي عندَه علمٌ من الكتاب ءاصفُ بنُ برخيا، وهُو من بني إسرائيلَ، وكانَ صدِّيقًا -من الأولياء- يحفظُ اسمَ اللَّه الأعظمَ الذي إذا سئلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (١٣/ ٢٠٤).




الحافظ العسقلاني وحسَّنها[1]. وأفردها الحافظُ الدِّمياطيُّ بتأليفٍ وصحَّحَها.

وأخرج ابنُ أبي شَيْبَةَ وغيرُه[2] أنَّ سيدَنا خالدَ بنَ الوليد رضي الله عنه لمَّا نزَلَ الحِيرَةَ[3] قيلَ له: احْذَرِ السُّمَّ تَسْقِيكَهُ الأعاجمُ، فقال: ائتوا به، فأتَوْهُ به فأخذه بيدِه ثُمَّ قال بسم الله واقتَحَمَهُ -أي شربَه- فلم يَضُرَّه[4] اهـ

قال رحمه الله: (ونُؤْمِنُ بأشْراطِ السَّاعةِ مِنْ خُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزُولِ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلامُ مِنَ السماءِ، ونُؤْمِنُ بطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وخُرُوجِ دابَّةِ الأرْضِ مِنْ مَوضِعِها).

أشراط السَّاعةِ

الشَّرْحُ: الأشراطُ جمعُ شَرَط بفتحِ الراءِ بمعنى العلامةِ[5] وأولُ هذه الأشراطِ على ظاهرِ ما وردَ في «**صحيحِ مسلمٍ**» خروجُ الدَّجَّالِ[6]،

---

(١) العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (٣/ ٥).

(٢) العسقلاني، **فتح الباري**، (١٠/ ٢٤٨).

(٣) الحِيرَةُ: بالكسرِ ثُمَّ السكونِ وراءٍ: مدينةٌ كانتْ على ثلاثةِ أميالٍ من الكوفةِ على موضعٍ يقالُ له النَّجَف. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (٢/ ٣٢٨).

(٤) العسقلاني، **فتح الباري**، (١٠/ ٢٤٨).

(٥) الجوهري، **الصحاح**، (٣/ ١١٣٦).

(٦) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، بابٌ في خروج الدجال ومكثه في الأرض، (٤/ ٢٢٦٠).



وهو حَيٌّ منذُ زمانِ رسولِ اللهِ ﷺ، إلى أن يخرُجَ من الجزيرةِ التي هُو محبوسٌ فيها، ثم ينزلُ سيدُنا عيسى عليه السلامُ فيقتلُ الدَّجَّالَ[١]، ثم يُخْرِجُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ[٢] في حياةِ سيِّدِنا عيسَى عليه السلام.

وهذه أخبار سمعيَّةٌ اشتهرَ نقلُها اشتهارًا يُوجِبُ العلمَ بها، فيجبُ الإيمانُ بها والإيقانُ أنَّها لا بدَّ أن تتحَقَّق في الوقتِ الذي شاءَ اللهُ.

ولا يُشترَطُ لوجوبِ الإيمانِ بهذه الأخبارِ ونحوِها التواترُ المصطلَحُ عليه في الأصولِ، بل يكفِي الاشتهارُ على ما عليه جمهورُ الحنفيَّةِ أي الماتُريديَّةِ، فقد صرَّحَ الكمالُ بنُ الهمامِ في كتابِهِ في الأصولِ بالاكتفاءِ بالمشهورِ[٣]، وقد احتجَّ الإمام أبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنه في بعضِ مؤلفاتِه في العقيدةِ بأحاديثَ مشهورةٍ لا تبلُغُ حدَّ التَّواتُر وهي نحوُ أربعين حديثًا، جمعها كمالُ الدينِ البياضيُّ[٤]. ويكفي عندَ سائرِ علماءِ الحديثِ والأصولِ وُرُودُ ذلك بإسنادٍ غيرِ مختلَفٍ فيهِ[٥].

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٨/ ١٩٧).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٨/ ١٧٨).

(٣) ابن أمير الحاج، **التقرير والتحبير**، (٢/ ٢١٩).

(٤) ضمَّنها البياضي كتابه **إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان**.

(٥) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (٢/ ١٦٧).

ومن أشراطِ الساعةِ الكُبْرَى أيضًا خروجُ دابَّةِ الأرضِ قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[(١)]، وتضعُ للمؤمنِ علامةً وللكافرِ علامةً فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ ومَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ بن داود وَعَصَا مُوسَى بن عمران فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بالعصا**[(٢)] **وَتَخْطمُ أَنْفَ الكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الخِوَانِ**[(٣)] **لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ: هذا يَا مُؤْمِنُ، وَيقولُ: هذا يَا كَافِرُ، وَيَقُولُ: هَذَا يَا مُؤْمِنُ ويقول هذا يا كَافِرُ**»[(٤)] ولَمْ يَرِدْ في تعيينِ موضعِ خروجِها حديثٌ صحيحٌ.

ومن الأشراط الكبرى التي لم يَذكُرْها الإمام الطحاويُّ رحمه الله دُخانٌ يعُمُّ الأرضَ ينالُ الكافرَ منه ضيقٌ شديدٌ قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ

---

(١) سورة النمل/ ءاية (٨٢). قال البغوي: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ وجب العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ واختلفوا في كلامها، فقال السُّدي: تكلِّمهم ببطلان الأديانِ سوى دين الإسلام. وقال بعضهم: كلامُها أن تقول لواحد: هذا مؤمن، وتقول لآخر: هذا كافر. وقيل: كلامها ما قال الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾» اهـ البغوي، **تفسير البغوي**، (٦/ ١٧٧).

(٢) أي تنوِّره. السندي، **حاشية السندي على سنن ابن ماجه**، (٢/ ٥٠٤).

(٣) قال المناوي: «الخوان بكسر الخاء المعجمة: المائدةُ التي تَجتَمِع عليها الجماعة للأكل» اهـ المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، (١/ ٤٤٥).

(٤) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، أبواب الآيات، باب دابة الأرض، (ص ٨٥٥).

أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[1]، وثلاثةُ خُسوفٍ خَسْفٌ في المشرِقِ وخَسْفٌ في المغرِبِ وخَسْفٌ في جزيرةِ العربِ، ونارٌ تخرُجُ مِن قَعْرِ عَدَن تسوقُ النـاسَ إلى المغرِبِ، وطلوعُ الشمسِ مِن مَغرِبها.

فعن حذيفةَ بنِ أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلَعَ النَّبيُّ ﷺ علينا ونحنُ نتذاكرُ فقال: مَا تَذَاكَرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ ءايَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَءاخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»[2].

ويكونُ طلوعُ الشمسِ من مغربِها في اليومِ نفسِهِ الذي تخرجُ فيه الدابَّةُ، ولا يُقبَلُ بعدَ ذلك تَوْبَةٌ[3].

---

(١) سورة الدخان/ ءاية (١٠، ١١). قال أبو حيان في تفسير الآية: «قال علي ابن أبي طالب وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري وزيد بن علي والحسن: هو دخانٌ يجيء يوم القيامة، يُصيبُ المؤمنَ منه مثل الزكام، وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين، حتى تكون مصلقة حنيذة» اهـ أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، (٩/ ٣٩٩).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٨/ ١٧٩).

(٣) راجع كتاب: «**الساعة وأشراطها**» للدكتور الشيخ سليم علوان.

قال رحمه الله: (ولا نُصَدِّقُ كاهِنًا ولا عَرَّافًا ولا مَن يَدَّعِي شيئًا يخالفُ الكتابَ والسنَّةَ وإجماعَ الأمَّةِ).

لا يجوزُ تصديقُ الكاهنِ والعرَّاف ولا مَنْ يخالفُ الإجماعَ

الشَّرْحُ: ذَكَرَ الإمامُ الطحاويُّ رحمه اللَّهُ هنا بعضَ ما يجبُ ردُّه، وهُو تصديقُ الكاهنِ والعرَّافِ، ومَن يَدَّعِي شيئًا على خلافِ القرءانِ والسنةِ وإجماعِ المسلمين.

فالكاهنُ هُوَ الذي يتعاطى الإخبارَ عن الكائناتِ في المستقبل[١]، اعتمادًا على النظر في النجوم، وعلى أسبابٍ ومقدّماتٍ يَستدلُّون بِها أو غير ذلك كالذين لهم أصحابٌ من الجنِّ يأتونهم بالأخبار.

وأما العرَّافُ فهو الذي يخبِرُ عن المسروقاتِ ونحوِها[٢]، فلا يجوزُ تصديقُ الكاهنِ ولا العرَّافِ.

والأصلُ في ردِّ خبرِهما أحاديثُ منها حديثُ مسلم[٣]: «**مَنْ أتَى عَرَّافًا فسألَه عن شيءٍ لَمْ تُقبَلْ له صلاةُ أربعينَ ليلةً**»[٤].

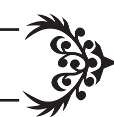
---

(١) النووي، شرح مسلم، (٥/ ٢٢).

(٢) النووي، شرح مسلم، (٥/ ٢٢).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (٤/ ١٧٥١).

(٤) قال النوويُّ: في شرح الحديث: «فمعناهُ أنَّه لا ثوابَ له فيها وإنْ كانتْ مجزئةً في سقوطِ الفرضِ عنه ولا يحتاجُ معها إلى إعادةٍ» اهـ النووي، شرح مسلم، (١٤/ ٢٢٧).





وحديـثُ الحاكـم في «المسْـتَدْرَكِ»[١]: «**مَـن أَتَـى كَاهِنًـا أو عرَّافًـا فصدَّقَهُ بما يقـولُ فقـدْ كَفَـرَ بمـا أُنْـزِلَ على محمـدٍ**»، أي إن اعتقـدَ أنَّـهُ يَطَّلِـعُ على الغيـبِ[٢].

ومِـمَّنْ يَدخُـل في ذلـك مـن يعتمـدُ في إخبـاره على الضربِ بالمنْدَلِ[٣]، والنَّظرِ في فُنجان قهوةِ البنّ، أو كتابِ أبي مَعْشَـرٍ الفلكيّ الذي يَدَّعِي أَنَّ البَشَـرَ كُلَّهُـم أحوالهم مرتبطة بـالبروج الاثْنَـي عَشَـرَ وأنَّ كلَّ مولـودٍ يرجِعُ أمرُه إلى أحـدِ هـذه الأبـراجِ.

ومِـنَ الكُهَّـانِ مَـنْ يُسَـمِّيهِم النـاسُ الرُّوحَانِيِّـينَ يقولـون فـلانٌ روحـانيّ، ويعتَمِـدُون على كلامِه ظنًّـا منهـم أنَّ لـه اتصـالًا بالملائكـةِ، وإنَّمـا هـو مُعْتَمِـدٌ على فُسَّاقِ الجِنّ مـن كفارِهـم وغيرهـم.

ومنهـم مَـن يُـمسِك مقـدارًا مِـنَ الـسُّبْحَةِ مِـن غير عـدٍّ ثـم يَعُـدُّ قـائلًا: «افعـلْ لا تفعـلْ» فـإن انتهـى إلى لفـظِ افعـلْ يقـولُ: «هـذه الحاجَـةُ ناجحـةٌ»، وإن انتهـى إلى «لا تفعـلْ» يقـولُ: «إنهـا غيرُ ناجحـةٍ»، وكُلُّ هـذا حكمُـه حكـمُ الأزلامِ التي حـرَّمَ اللَّهُ الاستقسـامَ بهـا في القـرءانِ الكريـم بقولـه: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ إلى قولـه: ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾[٤]، قـالَ الأزهـريُّ: «الأزلامُ سهامٌ كانـت للجاهِليَّـةِ

---

(١) الحاكم، **المستدرك**، كتاب الإيمان، (١/ ٤٩).

(٢) المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، (٢/ ٣٥٨).

(٣) الضربُ بالمندل هو أن يقرأَ أشياءَ فتظهرَ له صورةُ جنيّ في المرآةِ فيكلّمه. الهرري، **بغية الطالب**، (ص ٦٩٧).

(٤) سورة الأنعام/ ءاية (٣). وتمام الآية: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ=

مكتوبٌ على أحدِها (أمرني رَبِّي) وعلى الآخر (نَهاني رَبِّي) والثالثُ

=أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ وتفسيرها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ والميتةُ ما فارقتْها الحياة بغيرِ تذكيةٍ ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي المَسْفُوحُ وهُو السائلُ ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ وكلُّه نَجسٌ وإنَّما خُصَّ اللحمُ لأنَّه معظمُ المقصودِ ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي ما ذُكِر عليهِ غيرُ اسمِ اللّه ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ أي التي ماتت خَنْقًا ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ التي أَثْخنُوها ضربًا حتى ماتتْ ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي تردَّتْ فماتَتْ ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المنطوحةُ وهي التي ماتَتْ بالنَّطحِ ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ بعضَه وماتَ بجُرْحِهِ ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلّا مَا أدركتُم ذَكاتَه وفيه حياةٌ، والاستثناءُ يرجعُ إلى المنخنقةِ وما بعدَها فإنَّه إذا أدركَها وبِها حياةٌ فذبَحها حَلَّتْ ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وهي حِجَارةٌ منصوبةٌ حولَ البيتِ يذبحونَ عليها يعظِّمُونها ويتقرَّبُون إليها ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ أي حُرِّمتْ عليكُم الميتةُ وكذا وكذا والاستقسامُ بالأزلام وهيَ القِداحُ المُعَلَّمةُ واحدُها زَلَم ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الاستقسامُ بالأزلامِ، ويحتملُ أن يعودَ إلى كلِّ محرَّمٍ في الآيةِ. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ظرفٌ ليَئِسَ، ولم يُرِدْ به يومٌ بعينِه وإنَّما معناهُ الآنَ ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ يَئِسُوا منه أنْ يُبْطِلُوه أو يَئِسُوا من دينِكم أنْ يغلِبُوه، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بعدَ إظهارِ الدِّينِ وانقلابِهم مغلوبينَ ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ أي أخلِصُوا إليَّ الخشيةَ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ظرفٌ لقوله ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أكمَلْتُ لكُم ما تحتاجُون إليه في تكليفكُم مِنْ تعليمِ الحلالِ والحرام والتوقيف على شرائعِ الإسلامِ وقوانينِ القياسِ ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ بفتح مكةَ ودخولِها ءامنينَ ظاهرينَ وهدم منارِ الجاهليَّةِ ومناسِكِهم ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ اخترتُه لكم منْ بينِ الأديانِ وأعلمتُكُم بأنَّه هُو الدِّينُ المَرضيُّ وحدَه وَمَنْ يَبْتغِ غيرَ الاسلامِ دينًا فلَنْ يُقبَلَ، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى الميتةِ أو إلى غيرِها=

ليس عليه كتابةٌ، وقد سُوِّيَتْ وزُلِّـمَتْ أي جُعِلَتْ قِدْحًا لا ريشَ عليه ووُضِعَتْ في الكَعْبَة، فَإذا أَرَادَ رجلٌ نَحوَ سَفرٍ أَو نِكَاحٍ أَتَى السَّادِنَ[1] وَقَالَ: أَخْرِجْ لي زَلَمًا، فيَخلِطُ الأقداحَ ويُخرِجُ أحدَها ويَنظُرُ إليه، فإذا خرجَ قِدْحُ الأَمْرِ مضى على ما عزم عليه، وإن خرجَ قِدْحُ النَّهْي قعَدَ عمَّا أرادَه، وإن خرَجَ الذي ليس عليه كتابةٌ أعادَ السَّادِنُ الخلطَ والإخراجَ، ورُبَّما حمَلَ الرجلُ معه في السَّفرِ زَلَمَينِ وَضَعَهما في قِرابِهِ[2]، فَإِذَا أَرَادَ الاسْتِقْسَامَ أَخْرَجَ أَحدَهُمَا»[3] اهـ

وقول المؤلف: **(ولا مَن يَدَّعِي شيئًا يُخالفُ الكتابَ والسُّنَّةَ وإجماعَ الأمَّةِ)** يعني به بطلانَ كلِّ ما خالفَ الكتابَ والسنَّةَ والإجماعَ من العقائدِ والأعمالِ البدنيَّةِ.

=﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعةٍ ﴿غَيْرَ﴾ حالٌ ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لِّإِثْمٍ﴾ أي غيرَ متجاوزٍ سدَّ الرَّمَقِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لا يؤاخذُه بذلك ﴿رَّحِيمٌ ۝٣﴾ يُبيْحُ المحظورَ للمعذورِ ينظر: النسفي، **تفسير النسفي**، (١/ ٤٢٦). الطبري، **تفسير الطبري**، (٩/ ٤٩٢-٥٤٣).

(١) السادِنُ: خادمُ الكعبةِ وبيتِ الأصنامِ والجمعُ السَّدَنة. الجوهري، **الصحاح**، (٥/ ٢١٣٥).

(٢) هو وعاءٌ كالجراب مستطيلٌ يُجْعَل فيه السَّيفُ بغمدِه، والسكينُ وما أشبهَه من سَوطٍ ونحوِه، وما خفَّ من زادِ الرَّاكبِ بِكَسْرِ القاف. القاضي عياض، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، (٢/ ١٧٦).

(٣) ينظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، (٨/ ٣١٩) (١٣/ ١٤٩).

ومعنى إجماعِ الأمَّةِ اتفاقُ المجتهدين من أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ[١]، وهم الذين يُحمَلُ عليهم حديثُ: «**إذا اجْتَهَدَ الحاكِمُ فأصَابَ فلَهُ أجْرانِ، وإذا اجتهدَ فأخطأَ فلَهُ أجرٌ واحدٌ**»[٢] اهـ فَمَنْ كان على تلك الصِّفةِ فهُو الذي يدخُلُ تحتَ هذا الحديث، وأما مُطلَقُ العلماءِ فلا يصحُّ حملُ الحديثِ عليهم كما يظُنُّ كثيرٌ من أهل هذا العصر، فلا يصحُّ دعوى الاجتهادِ الممدوحِ لابنِ تيميةَ كما ادَّعاهُ لَهُ بعضُ الناسِ، مع أنَّه خرقَ الإجماعَ في مسائل كثيرةٍ كما قال الحافظُ أبو زرعةَ العراقيُّ في كتابهِ «**الأجوبةِ المرضيَّة**»[٣].

وقد كَثُرَ في هذا العصر دعوى الاجتهاد مِمَّنْ ليسَ لَهُم نصيبٌ مِنْ علمِ الدِّينِ وإنَّما يشتَغِلُون بمنشُوراتِ طائفتِهم كحزبِ التحرير، فإنَّهم أَحَلُّوا المشْيَ بقصدِ الزِّنَى بامرأةٍ أو الفجورِ بغلامٍ، قالُوا: «لا معصيةَ في المشي بهذا القصدِ وإنَّما المعصيةُ في التنفيذِ بفعلِ الغايةِ المطلوبةِ مِنَ المشْيِ»[٤] اهـ

وقد قال شيخنا الشيخُ عبد اللَّه الهرري رحمه اللَّه: «وقدْ ناظرتُ

---

(١) الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، (٦/ ٣٧٩).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام، باب إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، (٩/ ١٠٨).

(٣) أبو زرعة العراقي، **الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية**، (ص ٩٣). وراجع كتاب: «**المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية**» للشيخ عبد اللَّه الهرري.

(٤) راجع كتابنا: «**حزب التحرير في عين الناقد**»، (ص ١٧٤).



بعضَ كبارِهم في هذه المسألةِ فقال هذا اجتهادٌ منَّا، فقلتُ له: تجتهدُون مع النصِّ، وقد قال رسول الله ﷺ في الحديثِ المشهورِ: «**الرِّجْلُ تَزْنِي وزِنَاهَا الخُطَا**» رواه مسلم[1] فانقطعَ لكنَّه لَمْ يرجعْ» اهـ

وهذا مثلُ قَوْلِهِم بجوازِ مصافحةِ الرَّجُلِ المرأةَ الأجنبيَّةَ بلا حائلٍ[2]، فهذا أيضًا اجتهادٌ على خلافِ النصِّ.

فقد رَوَى مسلم أنه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**العَيْنُ تَزْنِي واليَدُ تَزْنِي** قال **فَزِنَى العَيْنِ النَّظَرُ وزِنَى اليَدِ البَطْشُ**»[3] والبطشُ هنا الإمساكُ باليدِ، قال الفيوميُّ في المصباحِ: «بطَشَتِ اليدُ إذا عمِلَتْ»[4] اهـ فالمرادُ بالبطْشِ الواردِ في حديث: «**وزِنَى اليدِ البطشُ**» هو الإمساكُ باليد بمصافحةٍ أو غمزٍ لشيءٍ من بدنِها للتلذُّذِ والاستمتاع بِها، فلو لم يرد نصٌّ شرعيٌّ إلا هذا لكفى، فلا جوابَ لَهُم عن هذا الحديثِ.

وكانوا حرَّفُوا أيضًا حديثَ الطبرانيِّ الثابتَ الذي أخرجه من حديثِ معقِلِ بن يسارٍ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لَأَنْ يُطْعَنَ**

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب قُدِّرَ على ابن ءادم حظه من الزنا وغيره، (٤/ ٢٠٤٧).

(٢) راجع كتابنا: «**حزب التحرير في عين الناقد**».

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب قُدِّرَ على ابن ءادم حظه من الزنا وغيره، (٤/ ٢٠٤٧).

(٤) الفيومي، **المصباح المنير**، (١/ ٥١).





أحدُكُم في رأسِهِ بِمِخْيَطٍ[1] **مِنْ حديدٍ خيرٌ لَه مِنْ أن يَمَسَّ امرأةً لا تَحِلُّ لَه»**[2] فَادَّعَوْا أنَّ المَسَّ معناهُ الجماعُ، ويُرَدُّ عليهم بأنَّ المسَّ معناه الحقيقيُّ ما سوى الجماعِ، وأمَّا إطلاقُ المسّ على الجماعِ فمجازٌ كما نَصَّ خاتمةُ اللُّغوِيّينَ مرتضَى الزَّبيديُّ في شرحِ القاموس على أنَّه استعارةٌ[3]، ولا يجوزُ العدولُ إلى المجازِ إلا بدليلٍ عقليٍّ قطعيٍّ أو دليلٍ نقليٍّ ثابتٍ كما قال الأصوليُّون من شافعيِّين وحنفيِّيْن وغيرِهم[4].

ثمَّ لو كانَ مرادُ رسولِ الله ﷺ في هذا الحديثِ الجماعَ وإخراجَ المسّ باليدِ لَمْ يقُل عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في الحديثِ السابقِ: «**والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يُكَذِّبُهُ**»[5] فالمسألةُ ظاهرةٌ ليس فيها خفاءٌ، فلم يبقَ للتحريرِيَّةِ إلا المكابرةُ.

---

(١) الخِياطُ والمِخْيَطُ: ما خِيطَ به، وهما أيضًا الإبرَةُ. ابن منظور، **لسان العرب**، (٧/ ٢٩٨).

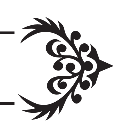
(٢) الطبراني، **المعجم الكبير**، (٢٠/ ٢١١).

(٣) الزبيدي، **تاج العروس**، (١٦/ ٥٠٩).

(٤) قال الكمال بن الهمام: «والأصلُ أنْ لا يصارَ إلى المجازِ إلا عندَ تعذُّر معنى الحقيقةِ أو تعيينِ المجازِ بدليلٍ ءاخرَ» اهـ ابن الهمام، **فتح القدير**، (٤/ ٤٤١). وقال التقي السبكي: «حملُ اللفظِ على المجازِ إنَّما يكونُ بقرينةٍ، أمَّا بغيرِ قرينةٍ، فيحمَلُ على الحقيقةِ قطعًا» اهـ التقي السبكي، **قضاء الأرب في أسئلة حلب**، (ص٣١٢).

(٥) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، (٨/ ٥٤).





قال رحمه الله: (ونَرَى الجماعةَ حقًّا وصوابًا والفرقةَ زيغًا وعذابًا).

وجوبُ التزامِ الجماعةِ وحرمةُ الخروجِ عليهم

الشّرْحُ: مـرادُهُ بالجمـاعةِ إجمـاعُ أهـلِ الحـقِّ في مسـألةٍ دينيَّـةٍ في الاعتقـادِ أو الفـروعِ، ويحتمـلُ أن يكـونَ مـرادُه بالجمـاعةِ طاعـةَ الإمامِ الـذي بايعَـه المسلمُون، لأنَّ الخـروجَ على الإمـامِ الـذي صحَّـتْ بيعتُـه مـن الكبائـرِ.

وعنى المؤلفُ رحمه الله بالفُرقَةِ مخالفةَ الإجماعِ، إمَّا بالمعنى الأولِ وإمَّا بالمعنى الثاني، والزيغُ هـو الميْـلُ[1].

وقوله: (وعذابًـا) معنـاه أنَّ الخـروجَ مـن الجمـاعةِ سببٌ للعذابِ أي في الدنيـا والآخـرةِ، لأنَّ هـذه الفُرقةَ تُسبِّبُ اضطراباتٍ وحروبًـا، كما سبَّبَتْ فُرقةُ الوهابيَّةِ منذُ نحو مِائَتَـي سنةٍ فِتَنًـا وحروبًا وسفكَ دماءٍ مـا زالـتْ مستمرةً إلى أيامِنا كمـا هـو مُشاهدٌ[2].

ولْيُفْهَـم أنَّ الفُرقـةَ المذمومـةَ هِـي الاخـتلافُ فـيما جـاء نصًّـا في الكتـابِ أو السُّـنةِ الثَّابتـةِ، وذلـك هـو الاخـتلافُ في أصـولِ العقيـدةِ ومـا عُلِـمَ مـن الدِّيـنِ بالضَّـرُورةِ مـن الأحـكامِ في الفـروعِ، وأمَّـا الاخـتلافُ في بعـض الفـروعِ بين الأئمـةِ المجتهديـن فليـسَ معنيًّـا بذلـك.

---

(١) الفراهيدي، العين، (٤/ ٤٣٤).

(٢) راجع كتابنا: «رحلة التطرف من التكفير إلى التفجير». وكتابنا: «الوهابيون تكفيريون شموليّون».



قال رحمه الله: (ودِينُ اللهِ في الأرضِ والسَّماءِ واحدٌ وهُو دِينُ الإسلامِ، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]).

الشَّرْحُ: أهلُ السماءِ وهم الملائكةُ يدينُون بالإسلامِ، والمؤمنون من أهلِ الأرضِ من إنسٍ وجنٍّ يدينُون بالإسلامِ وقالَ المؤلفُ استدلالًا على ذلك: (قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4])، فمعنى قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أنَّ الدينَ الصحيحَ المقبولَ عندَ اللهِ هو الإسلامُ، وما سواهُ مِنَ الأديانِ باطلٌ.

وفي هذا دليلٌ على أنَّ أولَ البَشَرِ كانُوا على الإسلامِ لَمْ يكُنْ لَهُم دينٌ غيرُه، قال اللَّهُ تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[5]، قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: «كُلُّهم على الإسلامِ» اهـ رواهُ أبو يعلى في

---

(١) سورة ءال عمران/ ءاية (١٩).

(٢) سورة المائدة/ ءاية (٣).

(٣) سورة ءال عمران/ ءاية (١٩). قال أبو حيان: «﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي المِلَّةُ والشَّرْعُ، والمعنى: إنَّ الدِّينَ المقبُولَ أو النَّافعَ أو المُقرَّرَ -هو الإسلام-» اهـ أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، (٣/ ٦٧).

(٤) سورة المائدة/ ءاية (٣). قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي أعلمْتُكم برضايَ بهِ لكم دِينًا» اهـ القرطبي، **تفسير القرطبي**، (٦/ ٦٣).

(٥) سورة البقرة/ ءاية (٢١٣).

مسنده[1] وغيره[2].

قال رحمه الله: (وهُو بيْنَ الغُلوِّ والتَّقْصِيرِ، وبَيْنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيلِ، وبَيْنَ الجَبْرِ والقَدَرِ، وبَيْنَ الأَمْنِ والإياسِ).

الشَّرْحُ: قولـه: (وَهُـوَ بَيْـنَ الغُلـوِّ والتَّقْصِيـرِ) أي لا غلـوٌّ ولا تقصيـرٌ فالخروجُ إلى أحدِ الطَّرَفيـنِ وهما الغُلُوُّ والتقصيرُ خروجٌ عن الاستقامةِ، والغُلُوُّ هو المجاوزةُ عن الحدِّ المجعولِ للعبادِ في الدينِ[3]، والتَّقصِيرُ نزولٌ عن الحدِّ المجعولِ لَـهُم، وكلُّ واحدٍ منهما مذمومٌ وباطلٌ لخروجِهما عن العدْلِ والحقِّ.

وقول المؤلف: (وبينَ التَّشبيهِ والتَّعطِيلِ) أي لا تشبيهٌ ولا تعطيلٌ فالإسلامُ الذي هو دينُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، هو إثباتُ الأسماءِ والصفات على ما جاءت به الكتُب والرُّسُلُ، مِن غير تشبيهٍ كما فعلتِ المشَبِّهَةُ، ولا تعطيلٍ كما فعلتِ المعتزلةُ.

فأهلُ السنَّة يثبتون ما أثبتَه الشرعُ، ولا يعطِّلون أي لا يَنْفُون ولا يشبِّهون اللَّهَ بخلقِه.

وقول المؤلف: (وبَيْنَ الجَبْرِ والقَدَرِ) أي لا جبرٌ ولا نفيٌ للقدَر

---

(١) أبو يعلى، مسند أبي يعلى، (٤/ ٤٧٣).

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، (١١/ ٣٠٩).

(٣) قال ابن دريد الأزديّ: «الغلو: الارتفاع في الشيءِ ومجاوزةُ الحدِّ فيه، ومنه قولُه جلَّ وعزَّ: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ أي لا تجاوِزُوا المقدارَ» اهـ ابن دريد، جمهرة اللغة، (٢/ ٩٦١).

فالإسلامُ الذي هو دينُ اللَّهِ هو التسليمُ للَّهِ عزَّ وجلَّ، ولِمَا جاءَ منه، من غير جَبرٍ بإسقاطِ فعلِ الاكتسابِ عن العبادِ، ومن غيرِ إثباتِ قدرةِ تخليقِ الأفعالِ للعبادِ.

وقول المؤلف: **(وبَيْنَ الأمْنِ والإياسِ)** أي لا أمنٌ ولا إياس فالإسلامُ الذي هو دينُ اللَّهِ هو أنْ يكونَ العبدُ بين الخوفِ والرجاءِ، فهو حقيقةُ العبوديَّةِ، إذْ في الأمن عمَّا أوعدَ ظنُّ العجزِ عنِ العقابِ، وفي الإياسِ من رحمتِه ظَنُّ العجزِ عنِ العفوِ، وهما يَنْقُلان عن المِلَّةِ فيصيرُ معتقِدُ أيٍّ من الأمنِ والإياس على هذا التفسير لهما كافرًا، وهذا تفسيرُ الماتريديَّةِ للأمنِ والإياسِ كما تقدّم.

وقد اشتهرَ عند الأشعريَّة تفسيرُهُما بغيرِ تفسيرِ الماتريديَّة وعدُّوهما لذلك من كبائرِ الذنوبِ غيرِ المُثْبِتَةِ للرِّدَّةِ وقد تقدم أيضًا.

قال رحمه الله: **(فهذا دينُنا واعتقادُنا ظاهرًا وباطنًا).**

الشَّرْحُ: بَيَّنَ بذلك أنَّه لا بُدَّ مِن موافقةِ الظاهرِ الباطنَ، إذ المُخالَفَةُ بينَ الظَّاهرِ والبَاطنِ من أوصافِ المنافقين أيِ الكفارِ غيرِ المُعْلِنِينَ كُفْرَهُمْ. قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1] واتحادُ الظاهرِ والباطنِ في اعتقادِ الحقِّ دينُ الأنبياء والمؤمنينَ.

(١) سورة النساء/ ءاية (١٤٥). قال الطبري: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ إنَّ المنافقين في الطَّبَقِ الأسفلِ من أطباقِ جهنمَ. وكلُّ طَبَقٍ من أطباقِ جهنَّمَ دَرْكٌ» اهـ الطبري، **تفسير الطبري**، (٧/ ٦١٩).

قال رحمه الله: (ونحنُ بُرَءاءُ إلى اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خالَفَ الذي ذَكَرْناه وبَيَّنَّاه).

الشَّرْحُ: ذلك لأنَّ ما ذكره مِنْ أصولِ التوحيدِ وسائرِ فصولِ العقائدِ قامت على حَقِّيَّتِها حججُ الكتابِ والسنَّةِ الواضحةِ والإجماعُ وبراهينُ العقولِ المستقيمةِ التي هي شاهدةٌ للشَّرعِ، وذلك مِمَّا اختَصَّ به الإسلامُ من بينِ الأديانِ، لأنَّه لم يأتِ بشيءٍ إلا والعقلُ شاهدٌ له، أمَّا سائرُ الأديانِ فعَلَى خلافِ ذلك.

قال رحمه الله: (ونَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يُثَبِّتَنا على الإيمانِ ويَخْتِمَ لنا به).

الشَّرْحُ: ما سألَهُ مِنَ الثَّباتِ على الدينِ وحُسْنِ الختامِ هو مِنْ أهمِّ الأمورِ، فالإيمان هو الأساس، وهو شرطٌ لقبولِ أيِّ عَمَلٍ صالح قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[١] قال ابن الجوزي: في تفسير هذه الآية: «وإنَّما شُرِطَ الإيمانُ، لأنَّ غيرَ المؤمنِ لا يُقبَلُ عملُهُ»[٢] اهـ

قال رحمه الله: (ويَعْصِمَنا مِنَ الأهواءِ المختلفةِ والآراءِ الـمُتَفَرِّقَةِ والـمَذاهبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلِ الـمُشَبِّهَةِ والـمُعْتَزِلَةِ والـجَهْمِيَّةِ والـجَبْرِيَّةِ والقَدَرِيَّةِ، وغَيْرِهِم مِنَ الذينَ خالَفُوا السُّنَّةَ والـجَماعَةَ، وحالَفُوا الضَّلالَةَ، ونَحْنُ منهُم بُرَءَاءُ، وهُمْ عِنْدَنا ضُلَّالٌ وأَرْدِياءُ. وبِاللهِ العِصْمَةُ والتوفيقُ).

الشَّرْحُ: الأهواءُ جمعُ هَوًى وهُو الأمرُ الباطلُ الذي تميلُ إليه

---

(١) سورة النساء/ ءاية (١٢٤).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٣/ ١٧٧)

النفوسُ[(١)].

وذكرَ المؤلفُ رحمه اللهُ المشبهةَ والمعتزلةَ والجهميَّةَ والقدريَّةَ تأكيدًا لِما ذكرَه قبلَ هذا، لأنَّ التحذيرَ من هذه المذاهبِ فرضٌ، وقد تقدَّمَ أنَّ الجهميَّةَ طائفةٌ منسوبةٌ إلى جهمِ ابنِ صفوان، وكان يقولُ: إنَّ اللهَ هُو هذا الهواءُ مع كلِّ شيءٍ وعلى كلِّ شيءٍ، وهذا قولُه الذي أظهرَه أخيرًا، وكان يقول أيضًا بفناءِ الجنَّةِ والنَّارِ كما تقدّم[(٢)].

وقولُ المؤلف: (وحالفُوا الضلالةَ) أي لزِمُوها.

وقد ختَمَ المصنِّفُ عقيدتَهُ بالبراءَةِ مِن أهلِ الزَّيغِ والضَّلالِ، كما تبرَّأَ عبدُ اللهِ بنُ عمر رضي اللهُ عنهما مِن القدريَّةِ لَمَّا أُخْبِرَ عنهم، فقال: «أبلِغُوهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ منهم وهم بُرَءَاءُ مِنِّي» اهـ رواه مسلمٌ في الصحيح[(٣)] وغيرُه[(٤)].

---

(١) قال ابن منظور: «قال الله عز وجل: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠﴾ معناهُ نَهاها عن شهواتِها وما تدعُو إليه من معاصي الله عزَّ وجلَّ» اهـ ابن منظور، **لسان العرب**، (١٥/ ٣٧٢).

(٢) ينظر: اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، (٣/ ٤٢٣). أبو المظفر الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ص ١٠٨).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقَدَر وعلامة الساعة، (١/ ٣٦).

(٤) أحمد، **مسند أحمد**، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، (١٠/ ١٠١).

تنبيـه: كان قـد شرحَ هـذه العقيـدةَ شـارحٌ زائـغٌ دَعَـا فيهـا إلى الضَّلالـةِ والكُفْـرِ كتشـبيهِ اللهِ بخلقِـه واعتقـادِ أزليَّـةِ العالَـم بنوعِـهِ موافَقَةً لابـن تيميـةَ وكأنَّـه ظلُّـه، لا يخالفُـه في شيءٍ مِن ضلالاتِـه التي مَقَتَتْـهُ الأمـةُ مـن أجلِهـا، وهـو ابـنُ أبي العـز[1].

وأمَّـا شرحُنـا هـذا فجـاءَ بفضـلِ اللهِ خاليًـا مـنْ كلِّ مـا يخالِـفُ الإجمـاعَ في الأصـولِ والفـروعِ وللهِ المنَّـةُ وبـه التوفيـقُ.

والله تعالى أعلمُ وأحْكَمُ

تمَّ الكتابُ بحمدِ اللهِ وفَضلِه وتَوفِيقِه

---

(١) ابن أبي العزِّ واسمه عليُّ بنُ عليّ الحنفيّ (المجسم)، المتوفَّى بدمشق سنة (٧٩٢هـ) وله إحدى وستون سنةً، ولي قضاءَ دمشقَ وطلبَه الأشرفُ شعبان وولَّاه قضاءَ الدّيارِ المصرية، ثم استعفَى ورجع إلى دمشقَ وأقام بها، له «حاشيةُ الهداية» و«شرحُ عقيدة الطّحاوي» اهـ حاجي خليفة، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، (٢/ ٣٧٥). ولمـزيد معرفة بحال هذا الرجل فليراجع كتاب: «**البركان الجارف لشرح ابن أبي العز التالف**» للدكتور جميل حليم، فإن فيه توسعًا في بيان حالِه ومفاسده وردها.

نرجو من الغَيَارى على دين اللَّهِ عزَّ وجلَّ

أنْ يُزوّدونا بملاحظاتِهم وزياداتِهم وأنْ يتواصلوا معنا عَبْـرَ:

- Facebook:DrTarikLahham
- Youtube:DrTarikLahham
- Instagram:DrTarikLahham
- X(twitter):DrTarikLahham
- Telegram: DrTarikLahham
- Email:tarek.m.laham@gmail.com
- Whatsapp:+961 3 222 051





وءاخِرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للَّهِ ربّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ محمَّدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيّبينَ الطَّاهِرينَ.

الفَهَارِسُ



فِهْرِسُ المصادِرِ

* **آداب الشافعي ومناقبه**، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

* **أبكار الأفكار في أصول الدين**، سيف الدين الآمدي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الثانية، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

* **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، زكريا بن محمد الأنصاري، (ت ٩٢٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي، د.ب، د.ط، د.ت.

* **أصول الدين**، أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي جمال الدين (ت ٥٩٣هـ)، دار البشائر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

* **أم البراهين (العقيدة الصغرى)**، محمد بن يوسف السنوسي الحسني، د.ب، د.ط، د.ت.

* **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المشهور بمرتضى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

* **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

* **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، أبو العباس، أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، (١٣٢٣هـ).

* **إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان**، أحمد بن حسن البياضي زاده الرومي الحنفي البسنوي كمال الدين (ت ١٠٩٧هـ)، دار

الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، (٢٠٠٧م).

* **إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين** (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (ت ١٣١٠هـ)، دار الفكر، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

* **إكفار الملحدين في ضروريات الدِّين**، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت ١٣٥٣هـ)، المجلس العلمي، باكستان، الطبعة: الثالثة، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

* **إكمال المعلم بفوائد مسلم** (شرح صحيح مسلم)، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، (ت ٥٤٤هـ)، دار الوفاء، مصر، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

* **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، أبو العباس، أحمد بن علي الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

* **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت ٧٣٣هـ)، دار السلام، مصر، الطبعة: الأولى، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

* **إيضاح المحصول من برهان الأصول**، أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازري (ت ٥٣٦هـ)، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

* **الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية**، وليُّ الدين العراقي، مكتبة التوعية الإسلامية، الجيزة - مصر، د.ط، د.ت.

* **الأذكار**، أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر،

بـيروت - لبنـان، د.ط، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

* **الأزهـار المتناثـرة في الأحاديـث المتواتـرة**، عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، مطبعة دار التأليف، د.ب، د.ط، د.ت.

* **الأسمـاء والصفـات**، أبـو بكـر أحمـد بـن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، مكتبـة السـوادي، جـدة - السـعودية، الطبعـة: الأولى، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

* **الأشـباه والنظائـر في قواعـد وفـروع فقـه الشـافعية**، عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر السـيوطي، جـلال الديـن (ت ٩١١هـ)، دار الكتـب العلميـة، د.ب، الطبعـة: الأولى، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

* **الأعـلام**، خـير الديـن بـن محمـود الـزركلي الدمشـقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلـم للملايـين، د.ب، الطبعـة: الخامسـة عـشر، (٢٠٠٢م).

* **الأوسـط في السـنن والإجمـاع والاختـلاف**، أبـو بكـر محمـد بـن إبراهيـم بـن المنـذر النيسـابوري (ت ٣١٩هـ)، دار طيبـة، الريـاض - السـعودية، الطبعـة: الأولى، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)

* **الإتقـان في علـوم القـرآن**، عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر السـيوطي، جـلال الديـن (ت ٩١١هـ)، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، د.ب، د.ط، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

* **الإجمـاع**، محمـد بـن إبراهيـم بـن المنـذر النيسـابوري (ت ٣١٩هـ)، دار المسـلم، د.ب، الطبعـة: الأولى، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

* **الإحسـان في ترتيـب صحيـح ابـن حبـان**، علي بـن بلبـان الفـارسي، عـلاء الديـن (ت ٧٣٩هـ)، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، الطبعـة: الأولى، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

* **الإرشـاد إلى قواطـع الأدلـة في أصـول الاعتقـاد**، عبـد الملـك بـن عبـد الله الجويـني إمـام الحرمـين (ت٤٧٨هـ)، مكتبـة الخانجـي،د.ب، د.ط، د.ت.

* **الإصابـة في تـمـييز الصحابـة**، أبـو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٥هـ).

* **الإعـلام بفوائـد عمـدة الأحـكام**، ابـن الملقـن أبـو حفـص عمـر بـن علي ابـن أحمـد الشـافعي المـصري، سراج الديـن (ت ٨٠٤هـ)، دار العاصمـة، المملكـة العربيـة السـعودية، الطبعـة: الأولى، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

* **الإقنـاع في حـل ألفـاظ أبي شـجاع**، محمـد بـن أحمـد الخطيـب الشربيـني الشـافعي، شـمس الديـن (ت ٩٧٧هـ)، دار الفكـر، بـيروت، د.ط، د.ت.

* **الإمتـاع بالأربعـين المتباينـة السـماع**، أبـو الفضـل أحمـد بـن عـلي بـن حجـر العسـقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان، الطبعـة: الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)

* **الاعتقـاد والهدايـة إلى سـبيل الرشـاد عـلى مذهـب السـلف وأصحـاب الحديـث**، أبـو بكـر أحمـد بـن الحسـين البيهقـي (ت ٤٥٨هـ)، دار الآفـاق الجديـدة، بـيروت، الطبعـة: الأولى، (١٤٠١هـ).

* **الاقتصـاد في الاعتقـاد**، أبـو حامـد محمـد بـن محمـد الغـزالي الطـوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان، الطبعـة: الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

* **البحـر الرائـق شرح كنـز الدقائـق**، ابـن نجيـم، زيـن الديـن بـن إبراهيـم بـن محمـد المـصريّ (ت ٩٧٠هـ) وفي آخـره: «**تكملـة البحـر الرائـق**» لمحمـد بـن حسـين بـن علي الطـوري الحنفي القـادري (ت بعـد ١١٣٨هـ) وبالحاشـية: «**منحـة الخالـق**» لابـن عابديـن (ت ١٢٥٢هـ). د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

* **البحـر المحيـط في أصـول الفقـه**، أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الله بـن

بهادر الزركشي، بدر الدين (ت ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

* **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، (١٤٢٠هـ).

* **البعث والنشور**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، مكتبة دار الحجاز، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٣٦هـ).

* **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، أبو المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني (ت ٤٧١هـ)، عالم الكتب، لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

* **التعرف لمذهب أهل التصوف**، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

* **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

* **التقرير والتحبير في شرح كتاب التحرير**، محمد بن محمد الحلبي المعروف بابن أمير الحاج (ت ٨٧٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

* **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٨٩م).

* **التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز**،

أبـو علي عمـر بـن محمـد بـن حمـد بـن خليـل السـكوني المغـربي المالكـي، (ت ٧١٧)، دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان، الطبعـة: الأولى، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

* **التوحيـد**، أبـو منصـور محمـد بـن محمـد بـن محمـود الماتريـدي (ت ٣٣٣هـ)، دار الجامعـات المصريـة، الإسـكندرية، د.ط، د.ت.

* **التوقيـف عـلى مهـمات التعاريـف**، محمـد المعـروف بعبـد الـرؤوف المنـاوي، زيـن الديـن (ت١٠٣١هـ)، عـالم الكتـب، مـصر- القاهـرة، الطبعـة: الأولى، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

* **التيسـير بشرح الجامع الصغير**، محمد المعروف بعبد الـرؤوف المنـاوي، زيـن الديـن (ت١٠٣١هـ)، مكتبـة الإمـام الشـافعي، الريـاض، الطبعـة: الثالثـة، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

* **التيسـير في التفسـير**، عمـر بـن محمـد بـن أحمـد النسـفي الحنفـيّ، نجـم الديـن (ت ٥٣٧هـ)، دار اللبـاب للدراسـات وتحقيـق الـتراث، إسـطنبول - تركيـا، الطبعـة: الأولى، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م).

* **الجواهـر المضيـة في طبقـات الحنفيـة**، أبـو محمـد عبـد القـادر بـن محمـد القـرشي الحنفـي، محيي الديـن (ت ٧٧٥هـ)، دار هجـر، القاهـرة، الطبعـة: الثانيـة، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)

* **الحـاوي الكبـير في فقـه مذهـب الإمـام الشـافعي** (هـو شرح مختـصر المـزني)، أبـو الحسـن علي بـن محمـد بـن محمـد البـصري البغـدادي، الشـهير بالمـاوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان، الطبعـة: الأولى، (١٤١٩هـ -١٩٩٩م).

* **الحجـة في بيـان المحجـة وشرح عقيـدة أهـل السـنة**، أبـو القاسـم إسـماعيل ابـن محمـد بـن الفضـل القـرشي الطليحـي التيمـي الأصبهـاني، الملقـب بقـوام السـنة (ت ٥٣٥هـ)، دار الرايـة، السـعودية، الريـاض، الطبعـة:




الثانيـة، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

* **الـدر المنثـور في التفسـير بالمأثـور**، عبـد الرحمن بـن أبي بكـر السـيوطي، جـلال الديـن (ت ٩١١هـ)، دار الفكـر، بـيروت، د.ط، د.ت.

* **الـدرة المضيـة في الـرد عـلى ابـن تيميـة**، أبـو الحسـن عـلي بـن عبـد الكـافي السـبكي، تقـي الديـن (ت٧٥٦هـ)، مطبعـة الترقـي، د.ب، د.ط، (١٢٤٧هـ).

* **الـدرر الكامنـة في أعيـان المائـة الثامنـة**، أبـو الفضـل أحمـد بـن عـلي بـن حجـر العسـقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دائـرة المعـارف العثمانيـة بحيـدر آبـاد الدكـن، الهنـد، الطبعـة: الثانيـة، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).

* **الـدرر اللوامـع في شرح جمـع الجوامـع**، أحمـد بـن إسـماعيل الكـوراني، شـهاب الديـن (٨٩٣هـ) مايسـمى: الجامعـة الإسـلامية، المدينـة المنـورة - السـعودية، د.ط، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

* **الدليـل القويـم عـلى الـصراط المسـتقيم**، عبـد الله الهـرري المعـروف بالحبـشي، خـادم علـم الحديـث الشريـف (ت ١٤٢٩هـ)، شركـة دار المشـاريع، بـيروت - لبنـان، الطبعـة: الخامسـة، (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م).

* **الـرد عـلى مـن قـال بفنـاء الجنـة والنـار وبيـان الأقـوال في ذلـك**، أحمـد بـن عبـد الحليـم ابـن تيميـة الحـراني الدمشـقي (المجسـم) (ت ٧٢٨هـ)، دار بلنسـية، الريـاض، الطبعـة: الأولى، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)

* **الرسـالة**، محمـد بـن إدريـس الشـافعي (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ)، مصطفـى البـابي الحلـبي وأولاد، مـصر، الطبعـة: الأولى، (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م).

* **الرسـالة القشـيرية**، عبـد الكريـم بـن هـوازن بـن عبـد الملـك القشـيري (ت ٤٦٥هـ)، دار المعـارف، القاهـرة، د.ط، د.ت.

* **السـحب الوابلـة عـلى ضرائـح الحنابلـة**، محمـد بـن عبـد الله بـن حميـد







النجدي الحنبلي، مكتبة الإمام أحمد، د.ب، الطبعة: الأولى، د.ت.

* **السنة**، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (ت ٣١١هـ)، دار الراية، الرياض، الطبعة: الأولى، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).

* **السنن الكبرى**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م).

* **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

* **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، عبد الله الهرري المعروف بالحبشي خادم علم الحديث الشريف (ت ١٤٢٩هـ)، شركة دار المشاريع، بيروت - لبنان، الطبعة: الحادية عشرة، (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م).

* **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، دار الفكر، د.ب، د.ط، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

* **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

* **الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**، سليمان بن عبد الوهاب، دار ذي الفقار، بيروت، الطبعة: الأولى، (١١٩٨هـ).

* **العدة في إعراب العمدة**، أبو محمد عبد الله ابن الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن فرحون المدني، بدر الدين (ت ٧٩٩هـ)، دار الإمام البخاري، الدوحة، الطبعة: الأولى، د.ت.



※ **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، د.ب، د.ط، د.ت.

※ **الغيث الهامع شرح جمع الجوامع**، أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، ولي الدين (ت ٨٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

※ **الفتاوى الحديثية**، أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، (ت ٩٧٤هـ)، دار الفكر، د.ب، د.ط، د.ت.

※ **الفتاوى الهندية (الفتاوى العالمكيرية)**، جماعة من العلماء برئاسة الشيخ: نظام الدين البرنهابوري البلخي، بأمر السلطان: محمد أورنك زيب عالمكير، الطبعة: الثانية، (١٣١٠هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، د.ط. د.ت.

※ **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، (ت ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٩٧٧م).

※ **الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)**، أبو العباس أحمد بن إدريس ابن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، شهاب الدين (ت ٦٨٤هـ)، عالم الكتب، د.ب، د.ط، د.ت.

※ **الفقه الأكبر**، أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، (ت ١٥٠هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الدكن - الهند، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

※ **القاموس المحيط**، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مجد الدين (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

* **القراءة عند القبور** [من «الجامع لعلوم الإمام أحمد» لأبي بكر الخلال]، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخَلَّال (ت ٣١١هـ) مطبوع بذيل كتاب: **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، من مسائل الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

* **القضاء والقدر**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

* **القلائد شرح العقائد**، محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الدمشقي (ت ٧٧١)، دار المشاريع، بيروت، الطبعة: الأولى، (٢٠١٦م).

* الكتاب المسمى درء **تعارض العقل والنقل**، ويسمى موافقة **صحيح المنقول لصريح المعقول**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المجسم) (ت ٧٢٨هـ) جامعة ابن سعود، السعودية، الطبعة: الثانية، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

* الكتاب المسمى **في ظلال القرءان**، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة: الأولى، (١٩٧٢م)، والطبعة الثانية والثلاثون، (١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م)

* **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أبو البقاء أيوب ابن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.

* **اللمع في أصول الفقه**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، د.ب، الطبعة: الثانية، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

* **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، (ت ٣٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط،

د.ت.

* **المبسوط**، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، د.ت.

* **المجموع شرح المهذب**، أبو زكريا يحيي بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي، القاهرة، د.ط، (١٣٤٤هـ - ١٣٤٧هـ).

* **المحصول**، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

* **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

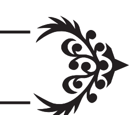
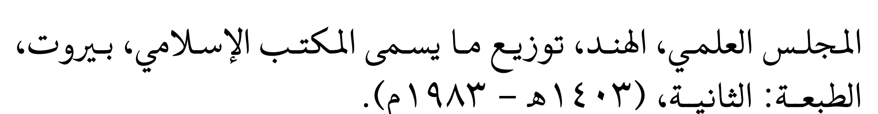
* **المسالك في شرح موطأ مالك**، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

* **المسامرة شرح المسايرة**، الكمال بن أبي شريف بن الهمام (ت٨٦١هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة: الأولى، (٢٠٠٦م).

* **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١١هـ).

* **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أبو العباس أحمد بن محمد ابن علي الفيومي ثم الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

* **المصنف**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)،

المجلس العلمي، الهند، توزيع ما يسمى المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

* **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ).

* **المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية**، عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، خادم علم الحديث الشريف (ت ١٤٢٩هـ)، شركة دار المشاريع، الطبعة: الثالثة، (١٤٣٥هـ ٢٠١٤م).

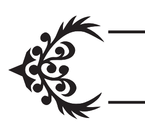
* **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

* **المعجم الكبير**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، د.ت. ومن المجلد (١٣) دار الصميعي، الرياض، الطبعة: الأولى، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

* **المعلم بفوائد مسلم**، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت ٥٣٦هـ)، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، (١٩٨٨م)، والجزء الثالث (١٩٩١م).

* **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العباس أحمد ابن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت ٦٥٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

* **الملخَّص النقيّ لشروح الفقه الأكبر من كلام الماتريدية وأهل المذهب الحنفي**، سمير بن سامي القاضي، شركة دار المشاريع،




بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م).

* **الملل والنحل**، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، د.ب، د.ط. د.ت.

* **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا يحي بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٣٩٢هـ).

* **الميسر في شرح مصابيح السنة**، أبو عبد الله فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف، التُّورِبِشْتِي، شهاب الدين (ت ٦٦١هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

* **النجم الوهاج في شرح المنهاج**، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدَّمِيري الشافعي، (ت ٨٠٨هـ)، دار المنهاج، جدة، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

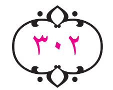
* **النور اللامع والبرهان الساطع**، نجم الدين منكوبرس، شركة دار المشاريع، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م).

* **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

* **الورقات**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، إمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، د.ب، د.ط، د.ت.

* **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، علاء الدين (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٣٢٧هـ - ١٣٢٨هـ).

* **بستان العارفين**، أبو زكريا يحي بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الريان للتراث، د.ب، دط، د.ت.



* **بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب**، عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، خادم علم الحديث الشريف (ت ١٤٢٩هـ)، شركة دار المشاريع، بيروت- لبنان، الطبعة: التاسعة، (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م).

* **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، (١٣٨٥هـ - ١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥م - ٢٠٠١م).

* **تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها)**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)

* **تاريخ دمشق (تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها)**، أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الفكر، د.ب، د.ط، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

* **تبصرة الأدلة في أصول الدين**، أبو المعين ميمون النسفي، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ب، الطبعة: الأولى، (٢٠١١م).

* **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، (١٤٠٤هـ).

* **تحرير ألفاظ التنبيه**، أبو زكريا يحي بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، (١٤٠٨هـ).

* **تشنيف المسامع بجمع الجوامع**، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، بدر الدين (ت ٧٩٤هـ)، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث،

د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

* **تعظيم قدر الصلاة**، محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (١٤٠٦هـ).

* **تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ).

* **تفسير الأسماء والصفات**، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأشعري الشافعي (ت ٤٢٩هـ)، دار التقوى، دمشق - الشام، الطبعة: الأولى، (١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م).

* **تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)**، أبو محمد الحسين ابن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، دار طيبة، د.ب الطبعة: الرابعة، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

* **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، أبو سعيد عبد الله ابن عمر الشيرازي البيضاوي، ناصر الدين (ت ٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ).

* **تفسير التستري**، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُستري (ت ٢٨٣هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢٣هـ).

* **تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)**، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، دار التفسير، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

* **تفسير الجلالين**، محمد بن أحمد المحلي، جلال الدين (ت ٨٦٤هـ) وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، د.ت.

* **تفسير الرازي (التفسير الكبير)**، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، (١٤٢٠هـ).

* **تفسير السمرقندي (بحر العلوم)**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، د.ب، د.ط، د.ت.

* **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.

* **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

* **تفسير القشيري (لطائف الإشارات)**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة، د.ت.

* **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

* **تفسير الماوردي (النكت والعيون)**، ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.

* **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).




* **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المالكي (ت ٤٠٣هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

* **تهافت الفلاسفة**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة: السادسة، د.ت.

* **تهذيب الأسماء واللغات**، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، د.ب، د.ط، د.ت.

* **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، (٢٠٠١م).

* **جامع الخيرات من مجالس الشيخ عبد الله بن محمد بن يوسف الهرري**، الجزء الثاني، عبد الله الهرري المعروف بالحبشي خادم علم الحديث الشريف (ت ١٤٢٩هـ) شركة دار المشاريع، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م).

* **جمع الجوامع (الجامع الكبير)**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الأزهر الشريف، القاهرة - مصر، الطبعة: الثانية، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

* **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٩٨٧م).

* **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المجسم) (ت ٧٥١هـ)، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط، د.ت.

* **حاشية ابن عابدين (ردُّ المحتار على الدر المختار)** محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى

البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الثانية (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

* **حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)**، أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي السندي، نور الدين (ت ١١٣٨)، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

* **حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع**، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، د.ب، د.ط، د.ت.

* **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

* **دفع شبه من شبَّهَ وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد**، تقي الدين الحصني الدمشقي (ت ٨٢٩هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

* **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أبو بكر أحمد ابن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

* **زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفَرَج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، جمال الدين (ت ٥٩٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ).

* **زاد المعاد في هدي خير العباد** أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (المجسم) (ت ٧٥١هـ)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثالثة، (٢٠١٩ م).

* **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت ١٠٦٧هـ)،

مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا، د.ط، (٢٠١٠م).

* **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، دار الرسالة العالمية، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

* **سنن ابن ماجه (جامع السنن)**، أبو عبد الله محمد يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٣هـ)، دار الصديق، الجبيل - السعودية، الطبعة: الثانية، (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)

* **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

* **سنن الدارقطني**، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

* **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد بن عمر مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م).

* **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد عبد الحي بن أحمد ابن محمد العَكري الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م).

* **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت ٤١٨هـ)، دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

* **شرح التبصرة والتذكرة**، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين

العراقي، زين الدين (ت ٨٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

* **شرح الدواني على العقائد العضدية**، جلال الدين الدوَّاني (ت ٩١٨هـ)، دار الأصول العلمية، تركيا-إسطنبول، الطبعة: الأولى، (١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م).

* **شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة، لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

* **شرح العقائد النسفية**، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، مطبعة مورافتلى، مصر، الطبعة: الأولى، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

* **شرح العقيدة الطحاوية** المعروف بشرح عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن محمد البابرتي (ت ٧٢٦)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

* **شرح المعالم في أصول الفقه**، ابن التلمساني عبد الله بن محمد علي المصري، شرف الدين (ت ٦٤٤هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

* **شرح تنقيح الفصول**، أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، شهاب الدين (ت ٦٨٤هـ)، شركة الطباعة الفنية المتحدة، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).

* **شرح حديث النزول** أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المجسم) (ت ٧٢٨هـ)، ما يسمى المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الخامسة، (١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م).

* **شرح سنن أبي داود**، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان

المقدسي الرملي الشافعي، شهاب الدين (ت ٨٤٤هـ)، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - مصر، الطبعة: الأولى، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م).

* **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، الطبعة: الثانية، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

* **شرح عقيدة الإمام الطحاوي**، أبو حفص عمر بن إسحاق الغزنوي الهندي، سراج الدين (ت ٧٧٣هـ)، دار الكرز، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، (٢٠٠٩م).

* **شرح قصيدة السبكي النونية في بيان الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية**، محمد بن أبي الطيب الشيرازي، نور الدين (ت بعد ٧٥٨هـ)، دار التقوى، دمشق - الشام، الطبعة: الأولى، (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م).

* **شعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

* **صحيح ابن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها)**، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م).

* **صحيح البخاري(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي(ت ٢٥٦هـ)، السلطانية، مصر، د.ط، (١٣١١هـ).

* **صحيح مسلم (الجامع الصحيح)** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ط، (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

* **طبقات المفسرين**، أحمد بن محمد الأدنه وي (ت ق ١١١١هـ)، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

* **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين أبو محمد محمود ابن أحمد العينى (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

* **غاية الوصول في شرح لب الأصول**، زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، د.ط، د.ت.

* **فتح الباري بشرح البخاري**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المكتبة السلفية، مصر، الطبعة: الأولى، (١٣٩٠هـ).

* **فتح القدير على الهداية**، محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري، المعروف بالكمال ابن الهمام الحنفي (ت ٨٦١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الأولى، (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م).

* **فتح الودود في شرح سنن أبي داود**، أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي السندي، نور الدين (ت ١١٣٨)، مكتبة لينة، دمنهور - مصر، مكتبة أضواء المنار، المدينة المنورة - السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

* **فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب**، سليمان بن عبد الوهاب (ت ١٢١٠هـ)، د.ن، د.ب، الطبعة: الرابعة، د.ت.




❋ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، محمد المعروف بعبد الرؤوف المناوي، زين الدين (ت١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، (١٣٥٦هـ).

❋ **قضاء الأرب في أسئلة حلب**، أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، تقي الدين (ت٧٥٦هـ)، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، د.ط، (١٤١٣هـ).

❋ **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، أبو محمد الطيب بن عبد الله ابن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (ت ٩٤٧هـ)، دار المنهاج، جدة، الطبعة: الأولى، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).

❋ **قيام الليل**، محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤ هـ)، مكتبة لاهور، د.ب، د.ط، د.ت.

❋ **كتاب أصول الدين**، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، مطبعة الدولة، إستانبول، الطبعة: الأولى، (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م).

❋ **كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام**، محمد بن الفضالي الشرنوبي (ت ١٢٣٦)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، د.ت.

❋ **لسان العرب**، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، جمال الدين (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، (١٤١٤هـ).

❋ **لسان الميزان**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).



* **مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري**، محمد بن الحسن بن فورك، (ت ٤٠٦)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).

* **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، نور الدين (ت ٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

* **مجمل اللغة لابن فارس**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

* **مختار الصحاح**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، زين الدين (ت ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

* **مختصر نشر النُّور والزُّهور**، عبد الله مرداد، دار العالم المعرفة، السعودية-جدة، الطبعة: الثانية، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

* **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

* **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، أبو الحسن علي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

* **مسند أبي يعلى**، أبو يعلى أحمد بن علي التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة: الأولى، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

* **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة

الرسالة، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

* **مسند البزار** (المنشور باسم البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق بن خلاد العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (١٩٨٨م - ٢٠٠٩م)

* **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة - دار التراث، د.ب، د.ط، د.ت.

* **مشكل الحديث وبيانه**، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، (ت ٤٠٦هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٩٨٥م).

* **مصابيح الجامع**، محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني وبابن الدماميني (ت ٨٢٧هـ)، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

* **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن أدهم الوهراني الحمزي، ابن قرقول (ت ٥٦٩هـ)، وزارة الأوقاف، قطر، الطبعة: الأولى، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

* **معالم السنن** (شرح سنن الإمام أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد الخَطّابي (ت ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة: الأولى، (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م).

* **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

* **معجم البلدان**، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية،

(١٩٩٥م).

* **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

* **معيد النعم ومبيد النقم**، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين (ت ٧٧١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

* **ملجمة المجسمة**، محمد بن محمد البخاري الحنفي، علاء الدين، ضمن كتاب **معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول ﷺ**، جميل حليم، المجلد الخامس، شركة دار المشاريع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م).

* **مناقب الإمام أحمد**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، جمال الدين (ت ٥٩٧هـ)، دار هجر، د.ب، الطبعة: الثانية، (١٤٠٩هـ).

* **مناقب الشافعي**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).

* **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المجسم) (ت ٧٢٨هـ) جامعة ابن سعود، السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

* **منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه**، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر، د.ب، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).

* **منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين**، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى،

(١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

* **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، نور الدين (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية، د.ب، د.ط، د.ت.

* **ميزان الأصول في نتائج العقول**، أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (ت ٥٣٩هـ)، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة: الأولى، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

* **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، أبو عبد الله محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم القرشي المصري الشافعي، فخر الدين (ت ٧٢٥هـ)، دار التقوى، دمشق- الشام، الطبعة: الأولى، (١٤٤١هـ - ٢٠١٩م).

* **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، أبو محمد محمود بن أحمد الغيتابى الحنفي العيني، بدر الدين (ت ٨٥٥هـ)، وزارة الأوقاف، قطر، الطبعة: الأولى، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

* **نقد مراتب الإجماع**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المجسم) (ت ٧٢٨هـ)، دار ابن حزم ، بيروت، الطبعة : الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

* **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي، شمس الدين (ت ٦٨١ هـ)، دار صادر، بيروت، الجزء: ١-٣، ٦: (١٩٠٠م)، الجزء: ٤: (١٩٧١م) الجزء: ٥،٧ (١٩٩٤م).

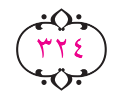
فِهْرِسُ المحتويات

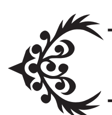
















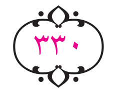


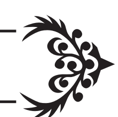




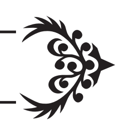















دُرَّةٌ مُضِيَّةٌ تُضافُ إلى عِقدِ مؤلفاتِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الأشاعرةِ والماتريديَّةِ.

أوضح ما قد يُشكِلُ مِن عبارتِها، ووقَفَ على بيانِ الغريبِ من كلماتِها، فجلَى عن عظيمِ ما حوته العقيدةُ من مسائلَ، وأسفرَ عن لآلِئِ معاني ما أكنَّتْه من فوائد، وأيَّد ما ضمَّتْه بالمنقولِ والمعقولِ مِنَ الدَّلائل.

هذا والحقُّ أنَّه قد جرى مؤلِّفُه على خُطا الإمام أبي جعفرٍ الطحاويِّ في ذكر بيانِ عقيدةِ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ، العقيدةِ الحقَّةِ عقيدةِ الرَّسولِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، فلَمْ يمِل ولم يَحِدْ عن الطريقِ القويم والنهجِ المستقيم، فأعظِم به شَرْحًا وأعظِمْ بهِ متنًا.

فهو جديرٌ بالاقتِناءِ، وحريٌّ بالاعتناءِ، قراءةً وفَهْمًا وحِفْظًا، تَعلُّمًا وتعليمًا، ولله الفضلُ والمنَّةُ.

نسألُ اللَّهَ العظيم أن يجعلَه هدًى للمسترشدين، وأن يتقبَّلَه مِنَّا بقَبُولٍ حَسَنٍ، آمين.



